



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

عَلَى هَامِشِ الْقِتَابِ

جدل الرأي والنفس في القرن الأول الهجري

للمجمع العالمي لمعرفتنا الشريفة والتشريع

عبدالرزاق عادي الصالح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على هامش الفتنة : جدل الراى و النص فى القرن الاول الهجرى

كاتب:

عبدالرزاق صالحى

نشرت فى الطباعة:

مجمع جهانى شيعه شناسى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	على هامش الفتنه : جدل الراى و النص فى القرن الاول الهجرى
١٨	اشاره
١٩	اشاره
٢٦	فهرس محتويات
٥٦	مقدمه الاستاذ على الانصارى البويراحمدى
٦٢	مرتكرات
٦٤	مدخل
٧٠	الفصل الأول
٧٠	اشاره
٧٢	متجهات مستقبليه
٨٢	الفتن بعد عصر النبى صلى الله عليه وآله
٨٥	دلالة الألفاظ
٨٦	استقبال وقائع
٨٦	اخباره صلى الله عليه وآله عن الناكثين والمارقين والقاسطين
٨٨	الحكمان
٨٨	اشاره
٨٨	أخباره صلى الله عليه وآله عن خروج حكمين فى أمته
٩١	إشاره
٩١	على بن أبى طالب الموقف الرسالى
٩٢	أحق الناس بتولى الأمر
٩٢	موازنه بين موقفى المهاجرين والأنصار
٩٤	الامام والخلفاء
١٠٨	فاطمه الزهراء عليه السلام شاهد الامام و الأمه

١٠٩	حواريه بعد البيعه
١١٣	خطبه الزهراء عليها السلام
١١٦	الامام وخلافه أبي بكر
١١٦	الامام والشورى
١١٧	الامام وخلافه عثمان
١١٧	دلالة الألفاظ:
١١٨	رؤيه تقييميه ونصح
١١٩	إقامه الحق بوجود الناصر لا بالإكراه
١٢١	الفصل الثاني
١٢١	اشاره
١٢٣	خلافه عثمان بن عفان
١٢٣	الشورى وخلافه عثمان
١٢٤	آليه تطبيق الشورى
١٢٥	على هامش الشورى
١٢٦	مآلات بين النص والواقع
١٣٠	معاويه وحصار الخليفه
١٣١	كتاب الخليفه
١٣٣	مواقف
١٣٣	موقف عائشه من الخليفه
١٣٦	الوليد بن عقبه والى الكوفه
١٣٧	سعيد بن العاص
١٣٧	ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرفاته:
١٣٩	سعد بن أبي وقاص وعثمان
١٤١	اجتماع الولاه مع الخليفه
١٤١	عبد الله بن عامر
١٤١	سعيد بن العاص

- ١٤٢ ----- عبد الله بن أبي سرح
- ١٤٢ ----- معاوية بن أبي سفيان
- ١٤٣ ----- على هامش اجتماع الخليفة بولته
- ١٤٣ ----- نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفة
- ١٤٤ ----- كتاب أهل الكوفة
- ١٤٥ ----- كتاب كعب بن عبيده النهدي إلى الخليفة
- ١٤٦ ----- رسول أهل الكوفة والخليفة
- ١٤٧ ----- موقف الزبير وطلحه
- ١٤٨ ----- الوفد المصري في المدينة
- ١٤٩ ----- وصيه الامام على عليه السلام للوفد المصري
- ١٥٠ ----- حوار الوفد مع الخليفة
- ١٥١ ----- موقف الخليفة من هذه الأحداث
- ١٥٢ ----- الخليفة والامام على عليه السلام
- ١٥٤ ----- توليه محمّد بن أبي بكر
- ١٥٥ ----- نصّ كتاب الخليفة إلى والي مصر
- ١٥٥ ----- أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والكتاب
- ١٥٧ ----- الخليفة يطلب النصرة
- ١٥٨ ----- نصّ كتاب الخليفة إلى ولاته
- ١٥٨ ----- موقف ولاد الخليفة
- ١٥٨ ----- معاوية بن أبي سفيان
- ١٥٩ ----- عمرو بن العاص والخليفة
- ١٥٩ ----- موقف الامام على عليه السلام
- ١٦٣ ----- الفصل الثالث
- ١٦٣ ----- اشاره
- ١٦٥ ----- بيعه أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام
- ١٦٦ ----- مفاهيم

- الخلافة: ١٦٦
- الامام على عليه السلام استشراف المستقبل ١٧١
- خلافه أمير المؤمنين عليه السلام ١٧٣
- عمار والشرعيه ١٧٦
- حوارات ١٧٦
- اشاره ١٧٦
- عبد الله بن عمر ١٧٦
- اشاره ١٧٦
- الحواريه الأولى ١٧٦
- اشاره ١٧٦
- الدلاله الأولى ١٧٧
- الدلاله الثانيه ١٧٧
- الحواريه الثانيه ١٧٧
- لولا ما فى يدى لبايعت علياً ١٧٧
- محمد بن مسلمه الأنصارى ١٧٧
- محمد بن مسلمه: ١٧٧
- اشاره ١٧٧
- الدلاله الأولى: ١٧٨
- الدلاله الثانيه: ١٧٨
- الحواريه الثالثه ١٧٩
- أعطنى سيفاً يقول هذا مسلم وهذا كافر. ١٧٩
- سعد بن أبى وقاص ١٧٩
- موقف أمير المؤمنين ١٧٩
- تقييم عمار لمعاويه ١٨٠
- حواريه الاربعه ١٨٠
- ادخلتنى فى ضيق بعد السعه ١٨٠

- ١٨٠ ابن عباس لعثمان
- ١٨٠ وهذا ما قاله معاوية للخليفة في هذه الجلسة:
- ١٨١ عمرو بن العاص
- ١٨٣ سيكولوجيه عمرو بن العاص في التعامل
- ١٨٤ من أقوال عمرو لمعاوية
- ١٨٦ موقف معاوية من البيعه
- ١٨٨ قبل رفع المصحف
- ١٩١ من كتب الامام عليه السلام لمعاوية
- ١٩٢ كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية
- ١٩٣ وقعه الجمل
- ١٩٣ الناكثون
- ١٩٤ المدعمات الروائيه والنقليته:
- ١٩٤ أم سلمه تحذر عائشه:
- ١٩٥ تشخيص موقف عائشه:
- ١٩٦ إشارات الامام على عليه السلام:
- ١٩٦ تشخيص موقف طلحه:
- ١٩٧ جيش الامام عليه السلام
- ١٩٧ جيش أهل الجمل
- ١٩٧ دوافع الحرب
- ١٩٨ الرسول صلى الله عليه وآله والناكثون
- ١٩٩ خروج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله
- ١٩٩ إشارتان
- ٢٠١ سير الأحداث وتتابعها
- ٢٠٢ الكوفه
- ٢٠٢ خطبه أبي موسى الأشعري
- ٢٠٣ خطبه عمار بن ياسر

- ٢٠٤ كتاب الامام عليه السلام إلى أهل الكوفة
- ٢٠٤ كتاب أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها)
- ٢٠٥ نص الكتاب
- ٢٠٥ كتاب أم الفضل بنت الحارث
- ٢٠٥ كتاب زيد بن صوحان إلى عائشه
- ٢٠٦ نأركم على أعجاز الإبل
- ٢٠٧ أهل الجمل: التخطيط والتحزك
- ٢٠٨ اطمئنان مروان من على
- ٢٠٨ مروان والبيعه لطلحه والزبير
- ٢٠٩ كتب أهل الجمل إلى البصره
- ٢١٠ كتاب كعب بن مسور
- ٢١١ كلمه لعبد الله بن خلف
- ٢١١ قتله عثمان معك
- ٢١٢ طلحه وأهل البصره
- ٢١٣ الناكثون و والى البصره
- ٢١٤ نص كتاب الصلح
- ٢١٥ نقض العهد
- ٢١٦ الإغاره على بيت المال
- ٢١٧ الامام على عليه السلام والناكثون
- ٢١٧ أهم إحدائات أهل الجمل:
- ٢١٨ قراءه أخرى لمواقف أهل الجمل
- ٢١٨ الزبير:
- ٢١٩ تصويره عليه السلام لخروجهم عليه
- ٢٢٠ قتل جيش برجل
- ٢٢١ كتب الامام عليه السلام لقاده حرب الجمل
- ٢٢٢ كتاب الامام عليه السلام إلى عائشه:

- ٢٢٣ خطبه الامام عليه السلام يوم الجمل -
- ٢٢٤ لم يكونوا أنصار عثمان
- ٢٢٤ معاوية والناكثون
- ٢٢٤ أحداث ما قبل الوقعه -
- ٢٢٤ انصراف الزبير:
- ٢٢٧ الزبير وعائشه:
- ٢٢٩ بدء القتال
- ٢٣٠ عدد من حضر وقعه الجمل
- ٢٣١ بيعه أهل البصره
- ٢٣١ كتاب الامام عليه السلام إلى عامله بالكوفه
- ٢٣١ ترحيل عائشه إلى المدينه
- ٢٣٣ سيره الامام عليه السلام مع أهل الجمل
- ٢٣٥ القاسطون
- ٢٣٥ وقعه صفين
- ٢٣٧ أطراف الصراع:
- ٢٣٨ قميص عثمان:
- ٢٣٩ سير الأحداث:
- ٢٣٩ مبعوث الامام عليه السلام إلى معاوية
- ٢٣٩ نص كتاب الامام على عليه السلام لمعاوية؛ وقد أرسله إليه بعد وقعه الجمل:
- ٢٤٢ مبايعه أهل الشام
- ٢٤٣ كتاب معاوية
- ٢٤٣ كتاب الامام عليه السلام لمعاوية
- ٢٤٥ سهم أهل البيت عليه السلام
- ٢٤٥ الإبطاء عن الخلفاء:
- ٢٤٦ البغى على عثمان
- ٢٤٦ قتله عثمان

- ٢٤٦ طلب البيعه
- ٢٤٧ الإيمان يجمع ويفرق
- ٢٤٨ الراهب والامام على عليه السلام
- ٢٤٩ كتاب الامام على عليه السلام لجرير البجلي:
- ٢٤٩ نص الكتاب:
- ٢٥٠ موقف جرير البجلي
- ٢٥٠ كتاب الامام عليه السلام للأشعث بن قيس:
- ٢٥١ موقف الأشعث:
- ٢٥٤ وقعه أهل الجزيره
- ٢٥٤ القاسطون / تداول وتحالفات
- ٢٥٥ كتاب معاويه إلى عمرو بن العاص
- ٢٥٥ استشاره غير ملزمه
- ٢٥٥ عمرو وولديه:
- ٢٥٦ معاويه و عمرو
- ٢٥٧ الوليد بن عقبه ومعاويه
- ٢٥٩ شيوخ الشام والقميص
- ٢٦٠ كتاب معاويه إلى شرحبيل:
- ٢٦١ مبايعه عمرو بن العاص
- ٢٦٤ كتب معاويه إلى أهل المدينه
- ٢٦٤ كتابه إلى أهل المدينه ومكه:
- ٢٦٥ كتاب معاويه إلى ابن عمر
- ٢٦٥ كتاب سعد بن أبي وقاص
- ٢٦٦ كتاب محمد بن مسلمه الأنصارى
- ٢٦٦ كتاب محمد بن مسلمه إلى معاويه:
- ٢٦٨ إشارات وتشخيصات
- ٢٦٨ رساله عمرو بن العاص لابن عباس

- ٢٦٩ جواب ابن عباس
- ٢٧١ مع معاويه
- ٢٧١ البدايه: الدعوه للبيعه
- ٢٧١ كتاب الامام عليه السلام إلى جرير
- ٢٧٢ حقيقه معاويه
- ٢٧٣ وصف الامام عليه السلام لعمر بن العاص
- ٢٧٥ تشخيص الامام عليه السلام لجنده ومقاتليه
- ٢٧٦ خطبه الامام عليه السلام يصف فيها غاره على الأنبار
- ٢٧٧ خطبه الامام الحسن بن علي عليه السلام
- ٢٧٧ خطبه الامام الحسين عليه السلام:
- ٢٧٨ معاويه يساوم مبعوث الخليفه
- ٢٧٩ كتاب علي إلى جرير
- ٢٧٩ موقف مالك بن حبيب
- ٢٨٠ كتاب الامام عليه السلام إلى عماله
- ٢٨٠ سيد التابعين
- ٢٨١ التوجه إلى صفين
- ٢٨١ الخطبه
- ٢٨٢ الإخبار عن مقتل الحسين عليه السلام
- ٢٨٣ النزول بصفين
- ٢٨٥ من آداب الحرب في الإسلام
- ٢٨٥ الغلبه على الماء
- ٢٨٥ الخُلقه الأمويه
- ٢٨٦ إستشاره معاويه
- ٢٨٧ الدعوه إلى الطاعه والجماعه
- ٢٨٩ معاويه وزيد بن خصفه
- ٢٩٠ حجه أخرى قبل الحرب

- ٢٩٠ ما ورد من الأحاديث في معاويه
- ٢٩١ فرقوا بين معاويه وعمرو.
- ٢٩٢ بدء القتال
- ٢٩٤ أهل الشام ومعاويه
- ٢٩٥ لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٢٩٧ الفصل الرابع
- ٢٩٧ اشاره
- ٢٩٩ الخوارج
- ٢٩٩ الراسبي/ وهب بن عبد الله
- ٣٠٤ التحكيم ونتائجه
- ٣٠٥ مواقف من التحكيم
- ٣٠٦ موقف الامام عليه السلام
- ٣٠٧ حكايه لمصعب بن الزبير
- ٣٠٨ موقف عقائدى
- ٣٠٨ معاويه يطلب الأمان
- ٣٠٩ الأشعث ومعاويه
- ٣٠٩ الامام عليه السلام وأبو موسى
- ٣١٠ مواقف ضد اختيار الأشعري
- ٣١٣ صحيفه التحكيم
- ٣١٣ الاختلاف فى كتابتها
- ٣١٤ نص الصحيفه
- ٣١٦ آراء فى صحيفه التحكيم
- ٣١٦ موقف الأشر من الصحيفه
- ٣١٧ سليمان بن صرد الخزاعى
- ٣١٧ محرز بن جريش
- ٣١٧ شعار الخوارج

- ٣١٨ خطبه الامام على عليه السلام بعد الصلح
- ٣١٩ وصايا لأبي موسى الأشعري
- ٣٢٠ شريح بن هاني
- ٣٢٠ الأحنف بن قيس
- ٣٢٠ عدى بن حاتم الطائي
- ٣٢١ عبد الله بن عباس
- ٣٢٢ الحكمان
- ٣٢٢ اشاره
- ٣٢٢ أخبار الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكمين
- ٣٢٣ روايه اليعقوبي
- ٣٢٤ روايه المسعودي
- ٣٢٥ روايه ابن كثير
- ٣٢٦ ما اشترط على الحكمين
- ٣٢٦ وصيه الامام على لعمر بن العاص
- ٣٢٧ اجتماع وتداول الحكمين
- ٣٢٩ تداول وحوار الحكمين
- ٣٣٣ نتيجة التحكيم
- ٣٣٣ إعلان ما اتفق عليه الحكمان
- ٣٣٦ آخر خطبه
- ٣٣٨ حاكم وحقى عليكم
- ٣٤٠ اختلال التوازن/ المأمور أمر
- ٣٤٠ اقتد بفعل عثمان
- ٣٤٠ استشراف المستقبل
- ٣٤١ شاهد
- ٣٤٢ شراء الذمم
- ٣٤٢ تركه أمير المؤمنين وخليفه المسلمين عليه السلام

- ٣٤٣ يقين
- ٣٤٣ آخر وصاياه عليه السلام
- ٣٤٥ خلفه الامام الحسن بن علي عليهما السلام
- ٣٤٥ مبايعه الامام الحسن عليه السلام بالخلافه:
- ٣٤٧ موقف الامام الحسن عليه السلام من معاويه
- ٣٤٧ صلح الامام الحسن عليه السلام الأسباب والدوافع:
- ٣٤٩ الأسباب المباشره (للصلح):
- ٣٤٩ ١- كراهه الناس للحرب:
- ٣٤٩ ٢- تأجيل الحرب:
- ٣٤٩ ٣- ضعف الوازع الديني:
- ٣٥٠ جيش الامام الحسن عليه السلام:
- ٣٥٢ على هامش صلح الامام الحسن عليه السلام
- ٣٥٢ رؤيه تحليليه
- ٣٥٢ اشاره
- ٣٥٤ الأولى:
- ٣٥٥ والثانيه:الظروف الموضوعيه
- ٣٥٥ اشاره
- ٣٥٥ بنود معاهده الصلح
- ٣٥٥ اشاره
- ٣٥٥ ماده الأولى:
- ٣٥٦ ماده الثانيه:
- ٣٥٦ ماده الثالثه:
- ٣٥٦ ماده الرابعه:
- ٣٥٦ ماده الخامسه:
- ٣٥٧ نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السلام:
- ٣٥٧ اشاره

- ٣٦٠ معاويه
- ٣٦٠ من ولايه الشام إلى خلفه المسلمين
- ٣٦٢ الدوله الأمويه
- ٣٦٢ النشوء وعوامل السقوط
- ٣٦٣ العوامل الممهده لنشأه الدوله الأمويه
- ٣٦٥ مُدعم:
- ٣٦٩ أسباب سقوط الدوله الأمويه
- ٣٦٩ اشاره
- ٣٧٠ أولاً: عدم شرعيه الدوله الأمويه
- ٣٧٠ اشاره
- ٣٧١ من المروى التاريخى
- ٣٧١ خليفتان
- ٣٧١ ثانياً:
- ٣٧٢ ثالثاً: الثورات والحروب الداخليه
- ٣٧٢ رابعاً: ولايه العهد وتوريث السلطان
- ٣٧٣ خامساً: إحياء العصبية القبليه
- ٣٧٣ نموذج مروى:
- ٣٧٣ خطبه الحجاج فى أهل العراق
- ٣٧٦ تقييم
- ٣٧٦ الممارسه الأمويه وواقع التجريه الإسلاميه
- ٣٨١ مصادر و مراجع الكتاب
- ٣٩١ تعريف مركز

علی هامش الفتنه : جدل الراى والنص فى القرن الاول الهجرى

اشاره

سرشناسه : صالحى، عبدالرزاق

عنوان و نام پديدآور : على هامش الفتنه: جدل الراى والنص فى القرن الاول الهجرى / عبدالرزاق هادى الصالحى؛ [براى] المجمع العالمى لمعرفة الشيعه والتشيع.

مشخصات نشر : قم: آشيانه مهر، ۱۴۳۲ ق. = ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهرى : ۳۵۲ ص.

فروست : مجمع جهانى شيعه شناسى؛ ۴۳.

شابك : ۵۶۰۰۰ ريال: جلد شوميز ۹۷۸-۶۰۰-۶۱۶۴-۰۲-۱؛ ۷۲۰۰۰ ريال (جلد گالينگور)

يادداشت : عربى.

يادداشت : عنوان ديگر: على هامش الفتنه.

يادداشت : کتابنامه: ص. [۳۴۳]-۳۵۲؛ همچنين به صورت زيرنويس.

عنوان ديگر : على هامش الفتنه.

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- ديدگاه درباره سياست و حكومت

موضوع : على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- فتنه و فتنه انگيزى

موضوع : فتنه و فتنه انگيزى -- جنبه هاى مذهبى -- اسلام

موضوع : اسلام -- تاريخ -- قرن ۱ ق.

شناسه افزوده : مجمع جهانى شيعه شناسى

شناسه افزوده : The World Center for Shite Studies

رده بندي كنگره : BP۳۸/۰۹ / ف ۲ ص ۲ ۱۳۹۰

رده بندي ديويى : ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۲۷۴۰۴۱۳

ص: ۱

اشاره

فهرس محتويات

مقدمه الاستاذ على الانصارى البويراحمدى ٢٤

مرتكرات ٣٠

مدخل ٣٢

الفصل الأول

متجهات مستقبليه ٤٠

الفتن بعد عصر النبى صلى الله عليه وآله ٥٠

دلاله الألفاظ ٥٣

استقبال وقائع ٥٤

اخباره صلى الله عليه وآله عن الناكثين والمارقين والقاسطين ٥٤

الحكمان ٥٦

ص: ٨

أخباره صلى الله عليه وآله عن خروج حكمين فى أمته ٥٦

إشاره ٥٩

على بن أبى طالب الموقف الرسالى ٥٩

أحق الناس بتولى الأمر ٦٠

موازنه بين موقفى المهاجرين والأنصار ٦٠

الامام والخلفاء ٦٢

فاطمه الزهراء عليه السلام شاهد الامام و الأمه ٧٥

حواريه بعد البيعه ٧٦

خطبه الزهراء عليها السلام ٨٠

الامام وخلافه أبى بكر ٨٣

الامام والشورى ٨٣

الامام وخلافه عثمان ٨٤

دلالة الألفاظ: ٨٤

رؤيه تقييميه ونصح ٨٥

إقامه الحق بوجود الناصر لا بالإكراه ٨٦

الفصل الثانى

خلافه عثمان بن عفان ٩٠

الشورى وخلافه عثمان ٩٠

آليه تطبيق الشورى ٩١

على هامش الشورى ٩٢

مآلات بين النص والواقع ٩٣

معاويه وحصار الخليفه ٩٧

كتاب الخليفه ٩٨

مواقف ١٠٠

موقف عائشه من الخليفه ١٠٠

الوليد بن عقبه والى الكوفه ١٠٣

سعيد بن العاص ١٠٤

ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرفاته: ١٠٤

سعد بن أبى وقاص وعثمان ١٠٦

اجتماع الولاه مع الخليفه ١٠٨

عبد الله بن عامر ١٠٨

سعيد بن العاص ١٠٨

عبد الله بن أبى سرح ١٠٩

معاويه بن أبى سفيان ١٠٩

على هامش اجتماع الخليفه بولاته ١١٠

نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفه ١١١

كتاب أهل الكوفه ١١١

كتاب كعب بن عبيده النهدي إلى الخليفه ١١٢

رسول أهل الكوفه والخليفه ١١٣

موقف الزبير وطلحه ١١٤

وصيه الامام على عليه السلام للوفد المصرى ١١٦

حوار الوفد مع الخليفة ١١٧

موقف الخليفة من هذه الأحداث ١١٨

الخليفة والامام على عليه السلام ١١٩

توليه محمد بن أبى بكر ١٢١

نص كتاب الخليفة إلى والى مصر ١٢٢

أصحاب النبى صلى الله عليه وآله والكتاب ١٢٣

الخليفة يطلب النصرة ١٢٤

نص كتاب الخليفة إلى ولاته ١٢٥

موقف ولاء الخليفة ١٢٥

معاويه بن أبى سفيان ١٢٥

عمرو بن العاص والخليفة ١٢٦

موقف الامام على عليه السلام ١٢٦

الفصل الثالث

بيعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ١٣٢

مفاهيم ١٣٣

الخلافة: ١٣٣

الامام على عليه السلام استشراف المستقبل ١٣٨

خلافه أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٠

عمار والشرعية ١٤٣

حوارات ١٤٣

عبد الله بن عمر ١٤٣

الحواريه الأولى ١٤٣

الدلاله الأولى ١٤٤

الدلاله الثانيه ١٤٤

الحواريه الثانيه ١٤٤

لولا ما فى يدى لبايعت علياً ١٤٤

محمد بن مسلمه الأنصارى ١٤٤

الدلاله الأولى: ١٤٥

الدلاله الثانيه: ١٤٥

الحواريه الثالثه ١٤٦

أعطنى سيفاً يقول هذا مسلم وهذا كافر. ١٤٦

سعد بن أبى وقاص ١٤٦

موقف أمير المؤمنين ١٤٦

تقييم عمار لمعاويه ١٤٧

حواريه الاربعه ١٤٧

ادخلتنى فى ضيق بعد السعه ١٤٧

ابن عباس لعثمان ١٤٧

وهذا ما قاله معاويه للخليفه فى هذه الجلسه: ١٤٧

عمرو بن العاص ١٤٨

سيكولوجيه عمرو بن العاص في التعامل ١٥٠

ص: ١٢

من أقوال عمرو لمعاوية ١٥١

موقف معاوية من البيعة ١٥٣

قبل رفع المصحف ١٥٥

من كتب الامام عليه السلام لمعاوية ١٥٨

كتابه عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية ١٥٩

وقعه الجمل ١٦١

الناكثون ١٦١

المدعمات الروائية والنقلية: ١٦٢

أم سلمة تحدّر عائشه: ١٦٢

تشخيص موقف عائشه: ١٦٣

إشارات الامام عليّ عليه السلام: ١٦٤

تشخيص موقف طلحه: ١٦٤

جيش الامام عليه السلام ١٦٥

جيش أهل الجمل ١٦٥

دوافع الحرب ١٦٥

الرسول صلى الله عليه وآله والناكثون ١٦٦

خروج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله ١٦٧

إشارتان ١٦٨

سير الأحداث وتتابعها ١٦٩

الكوفه ١٧٠

خطبه أبي موسى الأشعري ١٧٠

ص: ١٣

خطبه عمّار بن ياسر ١٧١

كتاب الامام عليه السّلام إلى أهل الكوفه ١٧٢

كتاب أمّ المؤمنين أمّ سلمه (رضوان الله عليها) ١٧٢

نصّ الكتاب ١٧٣

كتاب أمّ الفضل بنت الحارث ١٧٣

كتاب زيد بن صوحان إلى عائشه ١٧٣

تأرّك على أعجاز الإبل ١٧٤

أهل الجمل: التخطيط والتحزّك ١٧٥

اطمئنان مروان من على ١٧٦

مروان والبيعه لطلحه والزبير ١٧٦

كتب أهل الجمل إلى البصره ١٧٧

كتاب كعب بن مسور ١٧٨

كلمه لعبد الله بن خلف ١٧٩

قتله عثمان معك ١٧٩

طلحه وأهل البصره ١٨٠

الناكثون و والى البصره ١٨١

نصّ كتاب الصلح ١٨٢

نقض العهد ١٨٣

الإغاره على بيت المال ١٨٤

الامام على عليه السّلام والناكثون ١٨٥

أهم إحدائات أهل الجمل: ١٨٥

ص: ١٤

قراءه أخرى لمواقف أهل الجمل ١٨٦

الزبير: ١٨٦

تصويره عليه السلام لخروجهم عليه ١٨٧

قتل جيش برجل ١٨٨

كتب الامام عليه السلام لقاده حرب الجمل ١٨٩

كتاب الامام عليه السلام إلى عائشه: ١٩٠

خطبه الامام عليه السلام يوم الجمل ١٩١

لم يكونوا أنصار عثمان ١٩٢

معاويه والناكثون ١٩٢

أحداث ما قبل الوقعه ١٩٤

انصراف الزبير: ١٩٤

الزبير وعائشه: ١٩٥

بدء القتال ١٩٧

عدد من حضر وقعه الجمل ١٩٨

بيعه أهل البصره ١٩٩

كتاب الامام عليه السلام إلى عامله بالكوفه ١٩٩

ترحيل عائشه إلى المدينه ١٩٩

سيره الامام عليه السلام مع أهل الجمل ٢٠١

القاسطون ٢٠٣

وقعه صفين ٢٠٣

أطراف الصراع: ٢٠٥

ص: ١٥

قميص عثمان: ٢٠٦

سير الأحداث: ٢٠٧

مبعوث الامام عليه السلام إلى معاوية ٢٠٧

نص كتاب الامام على عليه السلام لمعاوية؛ وقد أرسله إليه بعد وقعه الجمل: ٢٠٧

مبايعه أهل الشام ٢١٠

كتاب معاوية ٢١١

كتاب الامام عليه السلام لمعاوية ٢١١

سهم أهل البيت عليه السلام ٢١٣

الإبطاء عن الخلفاء: ٢١٣

البغي على عثمان ٢١٤

قتله عثمان ٢١٤

طلب البيعه ٢١٤

الإيمان يجمع ويفرق ٢١٤

الراهب والامام على عليه السلام ٢١٦

كتاب الامام على عليه السلام لجرير البجلي: ٢١٧

نص الكتاب: ٢١٧

موقف جرير البجلي ٢١٨

كتاب الامام عليه السلام للأشعث بن قيس: ٢١٨

موقف الأشعث: ٢١٩

وقعه أهل الجزيره ٢٢١

كتاب معاويه إلى عمرو بن العاص ٢٢٢

استشاره غير ملزمه ٢٢٢

معاويه و عمرو ٢٢٣

الوليد بن عقبه ومعاويه ٢٢٤

شيوخ الشام والقميص ٢٢٥

كتاب معاويه إلى شرحبيل: ٢٢٦

مبايعه عمرو بن العاص ٢٢٧

كتب معاويه إلى أهل المدينة ٢٣٠

كتابه إلى أهل المدينة ومكه: ٢٣٠

كتاب معاويه إلى ابن عمر ٢٣١

كتاب سعد بن أبي وقاص ٢٣١

كتاب محمد بن مسلمه الأنصارى ٢٣٢

كتاب محمد بن مسلمه إلى معاويه: ٢٣٢

إشارات وتشخيصات ٢٣٤

رساله عمرو بن العاص لابن عباس ٢٣٤

جواب ابن عباس ٢٣٥

مع معاويه ٢٣٧

البدايه: الدعوه لليبعه ٢٣٧

كتاب الامام عليه السلام إلى جرير ٢٣٧

حقيقه معاويه ٢٣٨

وصف الامام عليه السلام لعمر بن العاص ٢٣٩

ص: ١٧

تشخيص الامام عليه السلام لجنده ومقاتليه ٢٤١

خطبه الامام عليه السلام يصف فيها غاره على الأنبار ٢٤٢

خطبه الامام الحسن بن علي عليه السلام ٢٤٣

ثم قام الحسن بن علي خطيباً فقال: ٢٤٣

خطبه الامام الحسين عليه السلام: ٢٤٣

معاويه يساوم مبعوث الخليفه ٢٤٤

كتاب علي إلى جرير ٢٤٥

موقف مالك بن حبيب ٢٤٥

كتاب الامام عليه السلام إلى عماله ٢٤٦

سيد التابعين ٢٤٦

التوجه إلى صفين ٢٤٧

الخطبه ٢٤٧

الإخبار عن مقتل الحسين عليه السلام ٢٤٨

النزول بصفين ٢٤٩

من آداب الحرب في الإسلام ٢٥١

الغلبه على الماء ٢٥١

الخلقيه الأمويه ٢٥١

إستشاره معاويه ٢٥٢

الدعوه إلى الطاعه والجماعه ٢٥٣

معاويه وزياد بن خصفه ٢٥٥

حجہ أخرى قبل الحرب ٢٥٦

ص: ١٨

ما ورد من الأحاديث في معاوية ٢٥٦

فرقوا بين معاوية وعمرو. ٢٥٧

بدء القتال ٢٥٨

أهل الشام ومعاوية ٢٦٠

لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٦١

الفصل الرابع

الخوارج ٢٦٥

الراسبي / وهب بن عبد الله ٢٦٥

التحكيم ونتائجه ٢٧٠

مواقف من التحكيم ٢٧١

موقف الامام عليه السلام ٢٧٢

فقال الامام على عليه السلام لهم: ٢٧٢

حكايه لمصعب بن الزبير ٢٧٣

موقف عقائدي ٢٧٤

معاوية يطلب الأمان ٢٧٤

الأشعث ومعاوية ٢٧٥

الامام عليه السلام وأبو موسى ٢٧٥

مواقف ضد اختيار الأشعري ٢٧٦

صحيفه التحكيم ٢٧٩

الاختلاف في كتابتها ٢٧٩

نص الصحيفة ٢٨٠

آراء فى صحيفه التحكيم ٢٨٢

موقف الأشر من الصحيفه ٢٨٢

سليمان بن صرد الخزاعى ٢٨٣

محرز بن جريش ٢٨٣

شعار الخوارج ٢٨٣

خطبه الامام على عليه السلام بعد الصلح ٢٨٤

وصايا لأبى موسى الأشعري ٢٨٥

شريح بن هانئ ٢٨٦

الأحنف بن قيس ٢٨٦

عدى بن حاتم الطائى ٢٨٦

عبد الله بن عباس ٢٨٧

الحكمان ٢٨٨

أخبار الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكمين ٢٨٨

روايه اليعقوبى ٢٨٩

روايه المسعودى ٢٩٠

روايه ابن كثير ٢٩١

ما اشترط على الحكمين ٢٩٢

وصيه الامام على لعمر بن العاص ٢٩٢

اجتماع وتداول الحكمين ٢٩٣

ولنعد لحوارات الحكمين وما دار بينهما، وما خلاصا إليه: ٢٩٧

نتيجة التحكيم ٢٩٩

إعلان ما اتفق عليه الحكمان ٢٩٩

آخر خطبه ٣٠٢

حقكم وحقى عليكم ٣٠٤

اختلال التوازن/ المأمور أمر ٣٠٦

اقتد بفعل عثمان ٣٠٦

استشراف المستقبل ٣٠٦

شاهد ٣٠٧

شراء الدمم ٣٠٨

تركه أمير المؤمنين وخليفه المسلمين عليه السلام ٣٠٨

يقين ٣٠٩

آخر وصاياها عليه السلام ٣٠٩

خلافه الامام الحسن بن على عليهما السلام ٣١١

مبايعه الامام الحسن عليه السلام بالخلافه: ٣١١

موقف الامام الحسن عليه السلام من معاويه ٣١٣

صلح الامام الحسن عليه السلام الأسباب والدوافع: ٣١٣

الأسباب المباشره (للصلح): ٣١٥

١- كراهه الناس للحرب: ٣١٥

٢- تأجيل الحرب: ٣١٥

٣- ضعف الوازع الديني: ٣١٥

ص: ٢١

جيش الامام الحسن عليه السلام: ٣١٦

على هامش صلح الامام الحسن عليه السلام ٣١٨

رؤيه تحليليه ٣١٨

الأولى: ٣٢٠

والثانيه:الظروف الموضوعيه ٣٢١

بنود معاهده الصلح ٣٢١

الماده الأولى: ٣٢١

الماده الثانيه: ٣٢٢

الماده الثالثه: ٣٢٢

الماده الرابعه: ٣٢٢

الماده الخامسه: ٣٢٢

نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السلام: ٣٢٣

معاويه ٣٢٦

من ولايه الشام إلى خلافه المسلمين ٣٢٦

الدوله الأمويه ٣٢٨

النشوء وعوامل السقوط ٣٢٨

العوامل الممهده لنشأه الدوله الأمويه ٣٢٩

مُدعم: ٣٣١

أسباب سقوط الدوله الأمويه ٣٣٥

أولاً: عدم شرعيه الدوله الأمويه ٣٣٦

من المروى التاريخى ٣٣٧

ص: ٢٢

خليفةتان ٣٣٧

ثانياً: ٣٣٨

ثالثاً: الثورات والحروب الداخليه ٣٣٨

رابعاً: ولايه العهد وتوريث السلطان ٣٣٨

خامساً: إحياء العصبية القبليه ٣٣٩

نموذج مروى: ٣٣٩

خطبه الحجاج فى أهل العراق ٣٣٩

تقييم ٣٤٢

الممارسه الأمويه وواقع التجربه الإسلاميه ٣٤٢

مصادر و مراجع الكتاب ٣٤٧

ص: ٢٣

مرتکبات

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)

«سيكون بعدى فتنه، فإذا كان ذلك، فالزموا على بن أبي طالب، فإنه الفاروق بين الحق والباطل».

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

كنز العمال، المتقى الهندي: ١١ / ٦١٢

«أبها الناس فإني فقأت عين الفتنة».

الامام على بن أبي طالب عليه السلام

ص: ٣٠

نهج البلاغه، شرح محمد عبده، دار المعرفه، بيروت: ١٨٢

«أنصروا علياً! فوالله إنه لعلی الحق آخراً وأولاً.. اللهم أشهد إنى قد بايعت علياً والحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم، ثم أوصى ولديه: كونا مع على! فستكون له حروب كثيره، واجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق، ومن خالفه على الباطل».

حذيفه بن اليمان

مروج الذهب، المسعودى: ١٥١ / ٢ - ١٥٢

«كان مع على - رضى الله عنه - أصحاب النبى صلى الله عليه وآله، وكان مع معاويه أعراب اليمى لخم وجذام وغيرهم من القبائل» .

البخارى، التاريخ الصغير: ٩٩/ ١.

«لو أنا نظرنا فى السنه نظراً سليماً لرأينا أن ما صنعناه نحن المسلمين يوم السقيفه، كان سبباً لكل المتاعب التى لقيتها أمه الإسلام».

د. حسين مؤنس

عالم الإسلام، طبع دار الزهراء للإعلام العربى، ١٤١٠هـ-: ٥١.

ص: ٣١

إنَّ جملة مواقف وأحداث وظواهر برزت بعيد رحيل الرسول الأ-عظم صلى الله عليه وآله كان لها الدور الأبرز في المنعطف التاريخي في حياة الأمة و دوله الإسلاميه، لما له من صله بالتأسيس لمستقبل الرساله والأمة، ولما اكتنفه من تداعيات أنشئ وفقاً له منهج لتداول السلطه كان معبراً عن الواقع التطبيقي للتجربه التي أعقت سجلات السقيفه والنزاع على اقتسام تركه النبي (ص) والتي عبر عنها الفرقاء بأنها [سلطان محمد].

ولا بدّ للمسلم أن يقف عند تلك التداعيات ناظراً إليها من خلال مرجعيته الإسلاميه، وما أسسه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لمستقبل الرساله الإسلاميه بعالميتها وشموليتها زمانياً ومكانياً، كى يتميز موقف ويمتاز هو عن سابقه ممن قرأ واقفاً على تلك التداعيات وما أعقبها من تجسمات الواقع متخذاً منها مرجعاً للحكم والاحتكام حتى على حساب المرجعيه الأم في أحيين كثيره. وإن لم يكن لتداول السلطه منهج واضح يّين من خلال الواقع التطبيقي، فالاجتهادات قد تجاوزت تداول السلطه إلى ميادين الرساله الأخرى تبريراً للأمر الواقع والتجربه التي قامت بُعيد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله، خصوصاً إذا ما اتخذنا من التأسيسات القرآنيه متجهاً عاماً فى ما رسمته للإنسان كخليفه لله على أرضه، حاملاً للأمانه، يضاف إلى ذلك التكليف والمسؤوليه

التي يترتب عليهما كل ما يكون مظهراً للخلافه والأمانه والتي تحملها الإنسان وقد أشفق سواه من المخلوقات من حملها.

كان الرسول صلى الله عليه وآله مثلاً يساوى فى العطاء بين المسلمين - مهاجرين وانصار- وهذا تأسيس مرجعى شمولى وعام لكل زمان ومكان وتبعه أبو بكر الخليفة الأول على هذا المنحى، إلا- أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب اجتهد - وكان كثير الاجتهادات- مقابل السنه والسيره النبويه المباركه؛ ففرق فى العطاء متذرعاً بأن من قاتل مع الرسول صلى الله عليه وآله ليس كمن قاتله فكان هذا التأسيس - القياسى - منفذاً لمن تولى أمر المسلمين فيما بعد ليميز بين أهله وسواهم ومواليه عن غيرهم، بل تعدى ذلك لتكون الأمصار معياراً فى هذا التفاوت، إذا ما كان هناك توزيع لبيت مال المسلمين - التسميه وحدها تمنع وضع مثل تلك الفوارق - وليكون السواد وهو مما أفاء الله تعالى على جنده بأسياهم - «كله بستان لقريش» ولو أن رجلاً قدم فيه رجلاً لم ترجع إليه، أو قدم فيه يداً لقطعت (١).

فلا- يرى مبرر - مرجعى - لخلق مثل تلك الفوارق بين «مجتمع الأخوه» على وفق التأسيس المفهومى الرسالى، كما لا- يعلم أساس لاستحسان الرواه والمؤرخين وأهل السير والفقهاء لتلك الاجتهادات وغيرها، فلم يتوقفوا عليها، كما أهملها أهل المناقبه والتفضيل التسلسلى على اعتلاء سده الحكم وتولى الأمر، وبأى سبيل كان ذلك وبأيه وسيله، غلبه، قهراً، أو عهداً وبيعه، رضاً أو كراهيه (٢)، وما شاكل ذلك من

ص: ٣٣

١- هذه حواريه بين مالك الأشر وسعيد بن العاص والى عثمان على الكوفه. النص: فقال سعيد إنما هذا السواد بستان قريش، فقال الأشر أتزعم أن السواد الذى أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان، انظر: الكامل، ابن الأثير: ٣ / ٣٠، ٤٠، الفتوح، ابن أعثم الكوفى : ٢/٣٨٥.

٢- كان المبايع لمعاويه بعد «الصلح» يقول له أبايعك كارهاً فيقول معاويه: قد جعل الله فى المكروه خيراً كثيراً!!

تسميات ومسميات - انتزعت مما آل إليه الوضع - لا تمت للرسالة والرسول صلى الله عليه وآله بأية صلة !!! وحتى إذا ما تولى عثمان بن عفان كانت مساحه الاجتهاد مقابل النص تتسع يوماً بعد يوم وتتجاوز حدودها لتعم كل من يمت بصله الى خليفه سواء كان خارج دائره السلطه أو داخلها.. فاستأثر الخليفه بيت المال، وحمل آل أبي معيط على رقاب الناس (حسب عمر)، فبدأ بأبي ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فنفاه إلى الشام، ولما كان لمعاويه هدف بعيد - ينافس عليه حسب وصيه أبي سفيان - أرسل إلى الخليفه طالباً منه أن يعيد عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - أبا ذر- وقد جاء في رساله معاويه: «إن كان للخليفه في الشام شغلٌ، فليعد أبا ذر عنها»، فأبو ذر قد أفسد الشام(١)، فكان صوت أبي ذر منذر - كما هو واقع الحال - بنهايه الجاه الأموى لو خلى حُرّاً في الشام، فأمر الخليفه أن يرسل إليه لينفيه هو بدوره إلى الربذه ليموت وحيداً وتدفعه عصابه من المؤمنين - وهى نبوءه الرسول صلى الله عليه وآله - وهو يحدث أبا ذر عما سيناله في مستقبل الأيام - ومن ثم يُحكّم الخليفه آله ورهطه في الولايات ويتخذ من مروان مستشاراً ووزيراً، فيؤول خاتم الخلافه إليه ليختم به على قتل وتحريق الصحابه وبنائهم - ومنهم محمد بن أبي بكر- وليتخذوا عباد الله خولاً وماله دوله بينهم... وحتى إذا ما ثار المسلمون بعد مكاتبات بين الصحابه في المدينه والأمصار، تطلق عليهم أم المؤمنين تسميه (طغام، غوغاء)، ولتقول: قتلوا الامام فى البلد الحرام فى الشهر الحرام، وهى أول من أمال حرفه(٢) حسب المروى فى التاريخ العام. ويأتى من بعد ذلك من يقول: من

ص: ٣٤

١- اليعقوبى: ١٧١ / ٢ - ١٧٢.

٢- تاريخ الطبرى : ١٢ / ٢ - ١٣.

قتله ظالم وخاذله معذور - انحياز صارخ - ومن ثمَّ لتسمى تلك الأحداث التي قادها الصحابه وأهل الأمصار ضد الخليفه -والتي يراها سيد قطب(١) أنها أقرب إلى روح الإسلام من سلوك الخليفه ومعاضديه - بالفتنه والفتنه الكبرى.. ولنا أن نتساءل ! ما هو المعيار الذى تم أو يتم وفقاً له إطلاق تلك التسميات؟ والتي يقع تحت ظلالها - فضلاً عن التزييف وإضفاء شرعيه للسلوك والمواقف التي تتقاطع مع رساله الإسلاميه بكل تفصيلاتها وتفاصيلها - تشويه واتهام لصحابه أجلاء شهد لهم الرسول صلى الله عليه وآله بالإيمان وحسن المآل وعدم التبديل بعده، فضلاً عن مظاهر سلوكهم التي كانت منسجمه مع المرجعيه الإسلاميه ومبادئها وغاياتها !! والتي نقلها من ينقل ذمهم وتجريحهم فيما دَوَّنَهُ، ولكن بتفاوت صفحات لا أكثر... فكانت نهايه الخليفه الثالث بُعيد «ما أُصطلح عليه بالفتنه»(٢) وبلغه مؤيدى الشرعيه «الثوره الكبرى»، وتولى الامام على بن أبى طالب عليه السَّلام أمر الأمم، فانسحبت تلك التدايعات حامله معها العقده القرشيه لتكون بجملتها موقف تصدَّ وعصيان، فتحشدت القوى المتنافره ضد شرعيه الخليفه ومن ثم الاصطفاف المصلحى والخروج عليه فى حروب ثلاث مزقت الجماعه ومجتمع الأخوه، مع ما صاحبها من آلاف الشهداء والقتلى ولتثمر فيما بعد الملك

ص: ٣٥

١- انظر : العدالة الاجتماعيه، سيد قطب، ١٧٥ وما بعدها.

٢- إنَّ الموروث التاريخى والتراجمى قد حُشد يتناقل هذا اللفظ، كما أنَّ المعاصرين أخذوا ذلك بإضافه أو بدونها وقد صدرل - «طه حسين» دراسه تحت عنوان (الفتنه الكبرى)، وبحث ضمن مؤلفات كثيره حسب وجهه نظر مناصره.

الأموي العضوض أو الهرقليه والكسرويه(1)، فلم يبق من الإسلام إلا- الرسم، ومزق القرآن، وتحققت نبوءه «سعد بن عباد» وخشيته من المستقبل - حيث إنه قد نبه أبا بكر في (السقيفه) يوم تنازعوا «سلطان محمد» إلى ما سيؤول إليه الأمر لو وليه من ليس من الأنصار أو المهاجرين !!! - فقد استيحت المدينة ثلاثاً وسببت نساء الذين آووا المهاجرين ونصروا الرسول والرساله يوم همت قريش بقتل الرسول صلى الله عليه وآله، فقصدهم مهاجراً إليهم للاحتماء والانتصار بهم... ومع هذه التجسمات وسواها كيف سيتسنى لعلي بن أبي طالب عليه السلام أن يوطد دعائم الدوله وينشر مبادئ الرساله وتلك التحديات يتترس بها أعداء الرساله التقليديين وسواهم ممن يحمل على علي قتلهم لمشركى قريش، فضلاً عن الضامرين - البغض أو الشر للإسلام - والمتطلعين إلى التسلط والسلطه... وليس لهم ما لعلي في نفوس المسلمين. ومن هنا فهذه المحاوله تتوسم أن تعطى صورته بملامح واضحه متأسسه على إبعاد التقاطع بين الرأى والنص والاحتكام إليه - أى إلى النص - فى ترسيم معالم تلك الصوره للأحداث والظواهر التى اكتنفت التاريخ الإسلامى خلال الحقبه الزمنيه (٢٤ - ٤١هـ) مع استضافات لأحداث سابقه أو لاحقه لها متجه وهدفه الرساله الإسلاميه وعالميتها وشموليتها لظرفى الزمان والمكان لأولويات كثيره منها:

أن الدراسات والقراءات التى تناولت هذه الفتره هى تجليات لتبرير وتحسين صورته الفاعلين والناقلين دون الاستغلال فى فضاء المرجعيه كحاكم فى الاختلاف، وبالتالي يتسنى لنا فهم واقعيه الرساله الإسلاميه، ووعى الأحداث والظواهر على وفق

ص: ٣٦

١- القائل عبد الرحمن بن أبى بكر، فى محاوره مع معاويه عندما أراد البيعه ليزيد.

هذا الفهم المنسجم شكلاً ومضموناً مع المرجعية الإسلامية؛ وإن تباين وتقاطع مع الواقع التطبيقي للتجربة الإسلامية.

ونرجو من الله تعالى السداد في ما نأمل خدمته للرسالة والأمة، فإن بلغناه كان الغاية، وان قصرنا فتلک محاوله وخطوه بدء.
والحمد لله أولاً وآخراً...

عبد الرزاق هادی الصالحی

١٨ / ذی الحجه / ١٤٢٤.

ص: ٣٧

الفصل الأول

إشاره

ص: ٣٨

كانت نبوه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله خاتمه للنبوات، وإن الرساله الإسلاميه رساله عالميه، فلا بد أن تشتمل مبادئها على ما يتناسب وهذا المنحى وهذا المسار، ولا يصح أن تترك ميادين مهمه كثيره دون أن تُوضح أو تبين حتى يرفع الرسول صلى الله عليه وآله الحرج عن أمته وعن أجيالها في عصورها المختلفه، لذا نجد أن القرآن العزيز قد أوضح أموراً وزادت السنه الكثير بياناً؛ لتكون الحجه لله على الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فكان الرسول صلى الله عليه وآله لا يترك مناسبه إلا ويشير إلى بعض الأحداث المستقبلية، حتى أنه حدثهم عن آخر الزمان و «إشراط الساعه، وما قبلها من أحداث وظواهر» فذكر الدجال ووصفه وتحدث عن نزول المسيح وأنه يأتى بامامكم «المهدى» وكل ذلك وغيره قد أثر عنه صلى الله عليه وآله (١).

ومما أشار إليه صلى الله عليه وآله للتنبيه وبما يتناسب ومحور البحث و متجاهاته:

فى مكه وعند الإعلان والجهر بالدعوه الإسلاميه، وحين نزل على الرسول صلى الله عليه وآله قوله تعالى: {وأندر عشيرتك الأقربين} (٢)؛ فقد دعاهم إلى مؤازرته ومناصرتة،

ص: ٤٠

١- انظر: كتاب الفتن، حماد بن نعيم المروزى : ٣٥١.

٢- سورة الشعراء، الايه: ٢١٤.

واشترط لهم أن من يؤازره(١) ويناصره على أمره يكون خليفته فيهم ووصيه عليهم، وأخبرهم أنهم إن قالوا: لا- إله إلا- الله سيملكون العرب والعجم، إلا- أنهم سخروا منه، وقالوا لأبي طالب: إنه أمر عليك ابنك؛ فضحكوا منه. وفرضوا على بني هاشم وبني المطلب حصاراً في شعب أبي طالب.

يوم الخندق والمسلمون كانوا يحفرون الخندق وعظمت عليهم صخره؛ فضربها صلى الله عليه وآله وشع منها ضوء، فقال صلى الله عليه وآله: ستفتح لكم القصور البيضاء، فارس والروم(٢)، وكان ما قاله صلى الله عليه وآله: واقعاً شهده منهم من شهده وشهدته الأجيال الإسلامية فيما بعد.

بعد الهجره المباركه أخبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المؤمنين أنهم سيدخلون مكة آمنين، واعترض بعض أصحابه على صلح الحديبيه، فقال لهم: إنما أنا عبد الله ولا اعصيه، وفعلاً دخلوها آمنين.

ص: ٤١

١- النص: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة. ثم قال: من يؤازرنى على ما أنا عليه؟ قال على: فقلت: أنا يا رسول الله وإنى أحدثهم سناً وسكت القوم. ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك. قال: دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً. السيره النبويه، ابن كثير: ١/٤٥٧، وفي ذيل الحديث على يكون أخى وكذا وكذا (لم يفصح ما المراد ب- كذا وكذا..!)، ووروى فى تفسيره فى الذيل أيضاً "اسمعوا له وأطيعوا"، تفسير ابن كثير: ٣٦٤، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، شرف الاسلام بن سعيد المحسن، متوفى ٤٩٤ هـ، ط ١- ١٤٢٠، مركز الغدير للدراسات الاسلاميه، تحقيق تحسين آل شيب: ١٢، سبل الهدى والرشاد، الصالحى: ٢/٣٢٤.

٢- تاريخ الطبرى: ٢/٢٣٥.

عن أبي سعيد الخدرى قال:

كنا جلوسا فى المسجد، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والحاصل إلينا ولكأن على رءوسنا الطير لا يتكلم أحد منا، فقال: إن منكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلتم على تنزيله؛ فقام أبو بكر فقال: أنا هو يا رسول الله قال: لا فقام عمر؛ فقال: أنا هو يا رسول الله قال: لا ولكنه خاصف النعل فى الحجره، قال: فخرج علينا على ومعه نعل رسول الله صلى الله عليه وآله يصلح منها (١).

ثم إن النبى صلى الله عليه وآله حدثهم عن فتن مظلمه ستظلمهم بعده وجعل لهم شارات نور يسترشدون بها، وكان القرآن العظيم أخبر عن (فتنه الانقلاب على الأعقاب)، قال تعالى:

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} (٢)

عن أبي سعيد الخدرى قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله تفرق أمتى على فرقتين فتمرق بينهما مارقه تقتلها أولى الطائفتين بالحق (٣).

ص: ٤٢

١- المصنف فى الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى، متوفى: ٢٣٥ هـ، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٠٩، المحقق، كمال يوسف الحوت: ٦/٣٦٧، البدايه والنهايه: ٦ / ٢١٧.

٢- سوره آل عمران الآيه: ١٤٤.

٣- تاريخ مدينه دمشق - ابن عساكر: ١٤/٥٢٧.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحده»(١) - مع عدم الاطمئنان إلى ذيل المتن - رواه البخارى أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريره مثله، ورواه البخارى أيضا عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهرى عن أبي سلمه عن أبي هريره - وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل وأصحاب صفين فانهما جميعا يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون فى شىء من أمور الملك ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا- و(كان ترك القتال أولى من فعله كما هو مذهب جمهور الصحابه)(٢).

وعند حديث النبى صلى الله عليه وآله عن صفين -حسب المنقول التاريخى- يتضح أنّ علياً وأصحابه أدنى (أولى) - حسب مروى آخر - الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاويه، وأصحاب معاويه كانوا باغين عليهم كما ثبت فى ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث شعبه عن أبي سلمه عن أبي نضره عن أبي سعيد الخدرى:

قال: حدثنى من هو خير منى يعنى أبا قتاده، إنّ رسول الله

قال

ص: ٤٣

١- صحيح البخارى محمد بن اسماعيل البخارى، وفاته عام ٢٥٦هجرى، المحقق د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ-: ٦/٢٥٤١. صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابورى، وفاته عام ٢٦١هجرى، المحقق محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ٤/٢٢٣٦: ٤/٢٢١٤.

٢- البدايه والنهايه ابن كثير: ٦/٢٢٤. وهذه الدعوى أكبر من أن تثبت، حيث كان القسم الأعظم وأفاضلهم وقفوا إلى جنب أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وقاتلوا أهل الجمل والقاسطين وأهل النهروان .

ورواه أيضا من حديث ابن عليه عن ابن عون عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت:

قال رسول الله: «يقتل عماراً الفئة الباغية وقاتله في النار».

ولنا أن تتساءل من كان عليه أن يتجنب القتال؟ من أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وآله: «أدنى الطائفتين للحق» - كداله مجمعه ومفرقه في الوقت ذاته في اتجاهين مناصره الحق، وقتال المخالف - ناكثين، وقاسطين، ومارقين، وأمر أصحابه بقتالهم مع على حسب المنقول التاريخي.

ومن دون أن نتأمل في النص، فهو حاكمٌ. ثم من أعرف بوقف القتال الراوى أم من خرج الحديث؟، أو أمُّ المؤمنين وهي التي سمعت من النبي صلى الله عليه وآله وعاصرتة!! أم الحواري - الزبير بن العوام - أم من قطعت إصبهه - طلحه بن عبيد الله - في معركة كان النصر فيها للإسلام ضد الشرك!! أم الطرف الثاني الذي فيه مَنْ مُلئ حتى مشاشه إيماناً(٢) (عمار بن ياسر) حسب المأثور النبوي والذي موعدة الجنه مع والديه، فضلاً عن العدد الكثير من الصحابه(٣) - مهاجرين وأنصار - الذين شاركوا الامام حروبه

ص: ٤٤

١- صحيح مسلم، مسلم بن حجار النيسابوري، م.س: ٤/٢٢٣٦، البدايه والنهائيه ابن كثير: ٦/٢٣٩.

٢- تاريخ ابن عساكر: ٣٩٢ / ٤٣.

٣- يستشعر من الآيه الاشاره إلى الابتعاد عن الانحيازيه في التقييم للسابقين والتعامل أو قراءه مواقفهم وما أسهموا به وفقاً للمرجعيه الاسلاميه لا أن تكون تلك المواقف وأشخاصها وتشخصها واقعاً معيارياً للتعامل؛ فحجيتها مشكوك فيها.

كلها حتى أضحوا بين شهيد أو طريد يوم تولى معاويه أمر الأمه!!؟

فالدفاع أو محاوله تبسيط الأمور بهذا المستوى أو دونه تخدم من؟ ف- {تلك أمه قدخلت....}!!... (١).

ولما كان عليّ ومن معه أدنى للحق وأولى به في قتال الباغين - الناكثين والقاسطين والمارقين - وقد أثبت المنقول التاريخي هذا القدر، فقطعاً في تلك كان علي ومن شايعه أولى وأهل الحق، فلا بدّ من القول بعدم شرعيه الخروج عليه مهما كان الخارج ومهما أضيفت عليه من هاله صحبه أو سواها، وبالتالي صاحبّ عدم الشرعيه تأسيس الدوله الأمويه وما تلاها من كيانات، فألاف القتلى لسان متحدث ويقظه و وعى، وليس حلم من رأى أبا الغاديه أو الفاديه وعماراً في الجنه في خيمتين متقابلين، والرسول صلى الله عليه وآله في أكثر من مناسبه يقول: إن قاتل ابن سميّه وسالبه في النار، وتقتله الفئه الباغيه (٢)، وروى ذلك عن عمرو بن العاص وعبد الله ولده، كما روى ذلك أهل السير والتراجم وغيرهم وبطرق وألفاظ عديده ومتعددده.

لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله عماراً أن آخر رزقه من الدنيا «ضياح أو مذقه من لبن» (٣)، ولما بكاه أهله في مرضه بسبب الفتق الذي أصابه من ضرب الخليفه الثالث

ص: ٤٥

١- سورة البقره الآيه: ١٤٣.

٢- صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخارى الجعفي، متوفى ٢٥٦ هـ، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ط٣، المحقق، د. مصطفى ديب البغا.

٣- مجمع الزوائد، : ٩/٢٩٥، تاريخ ابن عساكر: ٤٣/٤٢٠.

وبنى أميه قال لهم: «لا تبكوا آخر زادي من الدنيا مذقه لبن»^(١)، ولما أتوه به يوم صفين قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله...!! فلنا أن نتسائل، لم يشير النبي صلى الله عليه وآله ويفصل في قضية عمار إلى هذا الدرجة التبينه لمفردات ستصادفه في حياته وهو يواجه الفتن التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله والقرآن، أليكون عمار وأبو الغاديه في خيمتين متقابلين في الجنه حسب المنقول المؤسس وفقاً لرؤيا وأضغاث..؟ أو حتى لا يخرق الستر حسب قول أبي توبه الربيع بن نافع الحلبي: «معاويه ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه»^(٢).

وهل يمكن لقارئ تلك النصوص أن يكتشف واقعيه الإسلام وبعده الزماني من خلال مثل هذه التأسيسات التي ترمى إلى التغطية والتستر على تلك الخروجات على شرعيه الخليفه المبايح بأغلبيه الصحابه وأهل الأمصار، فالشك ينتقل إلى المرجعيه: الإسلام وإلى مواقف الرسول صلى الله عليه وآله!!! ومن ثم تبقى الأجيال الإسلاميه كما قلنا في تيه وحيره؛ فلاتعرف المصيب من المخطف، الموقف البعيد أو القريب من المبادئ والمفاهيم المرجعيه، فمن الأسوه إذن؟ وبمن يُقتدى؟ أ بموقف القاتل والمجتهد الذي أخطأ فله أجر، وهو قد قتل مسلماً ونزا بزوجته، وكان في سيفه رهقاً حسب تعبير الخليفه الثاني عمر

ص: ٤٦

-
- ١- المعجم الأوسط، الطبراني: ٦/ ٣٠١، الآحاد والمثاني، أبو بكر الشيباني: متوفى ٢٨٧ دار الرايه- الرياض، ط ١، ١٤١١، تحقيق د. باسم فيصل الجوابره: ١/ ٢٠٧، تاريخ ابن عساكر، م.س: ٤٣/٤٢.
 - ٢- البدايه والنهايه ٨/ ١٤٨.

بن الخطاب؛ وقال للخليفة الأول: أقتله (١)، أم بموقف المبرر لفعل خالد؟ أم يبحث في غير هذه المواقف الثلاثة؟ فينظر إلى ما تأسس على مواقف الرسول صلى الله عليه وآله من الرسالة والأمة؟ فتكون صله الرسول صلى الله عليه وآله بهما ما دام حياً حسب المدعيات التي يتأسس عليها مثل هذه الإشكاليه، فإن مات فلا صله له بهما وهذا ما لا يقوله أحد من المسلمين.

إنَّ النبي صلى الله عليه وآله أراد لتلك المتجهات المستقبلية أن تُتَّخَذَ نقاطاً مضيئه من قبل أجيال الأمة، لتنظر مدار ومحاور الحق التي سيكون فيها عمار أو أبوذر (رض) أو أويس القرني أو سواهما ممن رسم مواقع تواجههم الرسول صلى الله عليه وآله من قبل حتى لا تحار أمته وحتى لا يبحث من يبحث عن سيف ناطق أو من يستبدل سيفه بقطعه خشب على روايه ينفرد بها صحابي مبرراً بذلك سلبيته تجاه الواقع وتجاه رساله في حالات الحرج وفيها الكلمه موقف تنسجم ومبدأ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ومن أجل ديمومه فاعليه رساله في حياه الإنسان ووفقاً لها يترتب الثواب والعقاب، ومآل عاقبته في زمره أهل اليمين أو مع من يحشروا إلى النار زمراً.

وُبُعِدَ ذلك فكيف تكون دعواهما واحده؟

ص: ٤٧

١- النص: فلما بلغ قتلهم - أي مالك وقومه - عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر؛ وقال عدو الله عدى على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته، وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامه له قد غرز في عمامته أسهما؛ فلما أن دخل المسجد - أي خالد - قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال: أرثاء قتلت امرأ مسلماً، ثم نزوت على امرأته؛ والله لأرجمنك بأحجارك، ولا يكلمه خالد بن الوليد ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر فيه. تاريخ الطبري: ٢/ ٢٧٤، السيره الحلبيه: ٣/ ٢١٢.

وأى مفهوم من مفاهيم رسالته يُبرر ذلك أو يُستند عليه في تمرير هذا التوجه في النظر القياسى لواقعيه رسالته، وما بُعث الرسول صلى الله عليه وآله إلا ليأخذ بيد الخلق إلى سواء الصراط القويم، وينفى الظلم عن الناس ويعطى كل ذى حق حقه، كما أن هذا التوجه ينافى عدل الله تعالى قطعاً.

إنَّ أول كتاب - صحيفه المدينه - كتبه النبي صلى الله عليه وآله عند بدء تأسيس الدوله الإسلاميه بُعيد الهجره المباركه إلى المدينه المنوره كان قد ضمنه النبي صلى الله عليه وآله وجوب اجتماع المؤمنين على الذى يبغى منهم فقال صلى الله عليه وآله: «وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ظلم أو أثم، وإن أيديهم عليه جميعاً»^(١).

غير أنهم نسوا أو تناسوا هذه الماده من كتاب النبي صلى الله عليه وآله الذى تشير إلى مستقبل: الجمل، صفين، النهروان، وقعه كربلاء، والحره... فأمسك من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه، فلم ينصر الحق ولم ينتصر له، لأنه لا يملك سيفاً ناطق، أو يرى أنها فتنة القاعد فيها خيرٌ من القائم، وكيف لم يدرك ذلك البديون وأهل بيعه الرضوان ممن بايع النبي صلى الله عليه وآله، ووعاها أمثال، محمد بن مسلمه، وسعد بن أبى وقاص، وأبى موسى ومن خذل رسالته دون سواهم ممن عاصر وناصر؟!!!

إنَّ محاوله التبرير وفقاً للواقع التطبيقى بعيداً عن المرجعيه الفكرية والمفهوم المرجعى الرسالى لا ينتج عنه إلا التفسير الخيالى المحلق بالإنسان الوهمى نحو مثل تلك التفسيرات التبريرية التى تعمد إلى فهم وتطويع النص بلا مستند كما كان حال التعامل

ص: ٤٨

١- سيره ابن هشام: ٢/ ١٠٦.

مع جميع الوقائع وتطبيقاتها على طول تاريخ الدوله الإسلاميه عاماً كان أو خاصاً، وكله نزوع إرضائي للسلطان وسلطته، مبتعداً عن المشال وأهدافه وغائيته في تعبيد الناس لله تعالى وبيان واقعيه الرساله ومبادئها، مما دفع السابقين للاجتهاد مقابل النصوص واللاحقين لاتخاذ الظرف المعيشى - باللفظ الجاهز - والظروف الاقتصاديه والرفاهيه وخمس الفتوحات - بلفظ موهم - كمبرر أو مبررات لما آلت إليه مسيره التجربه الإسلاميه من انكفاء ونكوص حتى تاه أو يتيه القارئ لتاريخ الرساله بين المخيال والاجتهاد القياسى؛ فَتَحَمَّلَ الرساله والرسول صلى الله عليه وآله والدين كل هذه التداعيات التى رسم ملامحها السلطان وتسلطاته ومخيال الرواه، فكأنما هناك سيناريو يمثل، فلا- جنه ولا- نار ولا- عقيدته، ولا تكليف ولا مسؤوليه، فتكون المسأله تمثليه أو مسلسلاً قرونى، والأجر بعد الانتهاء من تمثيل الأدوار، فيقابل أبو الغاديه عماراً، وخمسين ألفاً على المقل من الرواه - فى الجمل وأكثر من ذلك فى صفين - تقابل طلحه والزبير، ويقابل معاويه وعمرو بن العاص، علياً ومالكاً وعدى الخير وجماعه مرج عذراء وهكذا إلى نهايه الدنيا مسلسلات ومسرحيات تمثل ولا دلالة للمنقول وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله فى هذه الوقائع والأحداث.

الفتن بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله

إنَّ اهتمام ورعاية الرسول الأَـعظم صلى الله عليه وآله لأُمَّته على امتداد وجودها التاريخي أمرٌ لا يحتاج أدنى شك فإلسيره - تقرير، وفعل وإمضاء - تؤكد ذلك وهي مظهر له، حتى تؤدي الأَـمه دورها الحضاري، والأَـحاديث والروايات كثيرة التي ضمنها الرسول صلى الله عليه وآله ما يجري من بعده على أُمَّته شاهد تلك الرعاية وذلك الاهتمام، ما حدث به عن مآل حال ووضعيه أُمَّته من بعده، وذكره الفتن وما يجري عليها حتى قيام الساعة، بين تفصيل وعموم حملته لنا تلك المآثورات عنه صلى الله عليه وآله ومنها:

عن بقيه بن الوليد وأبي المغيرة عن صفوان بن عمرو قال: حدثني السفر ابن نسير الأزدى عن حذيفه بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تكون فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهه كوجه البقر لا تدرون أيها من أي» (١).

وعن عيسى بن يونس حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطيه عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفه بن اليمان، قال: هذه فتن قد أظلت كجباه البقر يهلك فيها أكثر

ص: ٥٠

١- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي السبتي، وفاته عام ٢٥٤ هجرى، المحقق، شعيب الارنؤوط، مؤسسه الرساله - بيروت، ط ٢، ١٤١٤: ١٥/٩٩، الفتن، حماد بن نعيم المروزى، وفاته عام ٢٨٨ هـ، دار التوحيد- القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢: ١٤.

الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك.

وعن ابن لهيعة قال حدثني سلمان بن عامر عن أبي عثمان الأصبحي عن أبي هريره رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا تقارب الزمان أناخ بكم الشرف الجون فتن كقطع الليل المظلم»^(١).

وكان أبو هريره يحدث أن لديه وعاء علم لم يبيته؛ حمله الآلوسى على علم الأسرار لجواز أن يكون المراد منه أخبار الفتن وإشراط الساعه وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله من فساد الدين على أيدي أغليمه من سفهاء قريش، وقد كان أبو هريره يقول:

«لو شئت أن أسميهم بأسمائهم لفعلت»^(٢).

وعن عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفه بن اليمان رضى الله عنه قال: أنا أعلم الناس بكل فتنه هي كائنه إلى يوم القيامة وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إلى في ذلك شيئاً لم يحدث به غيرى ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله حدث مجلساً أتاهم فيه عن الفتن التي تكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى.

ص: ٥١

١- الفتن، المروزي، م.س: ٢٨. وفي تاريخ جرجان، للسهمي، ٤٢٧هـ-، «بسند عن ابن أم مكتوم، تكون فتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم طويلاً». طبع عالم الكتب، الطبعة الرابعه ١٤٠٧: ٤٩٠.

٢- روح المعاني، الآلوسى: ١٩١/٦.

وعن سفيان بن عيينه عن الزهري عن عروه بن الزبير عن كرز بن علقمه الخزاعي قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

«هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا ادخل عليهم الإسلام، قال: ثم مه، قال: ثم تكون فتن كأنها الظلل فقال الرجل: كلا والله إن شاء الله يا رسول الله، فقال رسول الله: بلى والذي نفسي بيده ثم لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض، قال الزهري: الأسود الحيه إذا نهشت نزت ثم ترفع رأسها ثم تنصب».

وعن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عبد الواحد بن قيس عن عروه ابن الزبير عن كرز بن علقمه عن النبي صلى الله عليه وآله نحو ذلك^(١).

وعن أبي هريره عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يُقتل بينهما مقتله عظيمه ودعواهما واحده»^(٢).

وعن أبي نضره عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحده فينما هم كذلك مرق منها مارقه تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»^(٣).

ص: ٥٢

١- الفتن: ٢٩.

٢- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٢٨٦.

٣- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٢٨٦.

«ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضاللة»(١).

وذكر النووى فى شرحه لصحيح مسلم أن:النبى صلى الله عليه - وآله- وسلم أشرف على أطم من أطام المدينه ثم قال:

«هل ترون ما أرى؟ إننى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»(٢).

دلاله الألفاظ

الأطم(٣) بضم الهمزه والطاء هو القصر والحصن وجمعه أطام ومعنى أشرف علا وارتفع والتشبيه بمواقع القطر فى الكثره والعموم أى أنها كثيره وتعم الناس لا- تختص بها طائفه وهذا إشاره إلى الحروب الجاربه بينهم كوقعه الجمل وصفين والحره ومقتل الحسين رضى الله عنه وغير ذلك وفيه معجزه ظاهره له صلى الله عليه - وآله- وسلم.

ص: ٥٣

١- شرح شرح نهج البلاغه، المعتزلى: ١٨/٣٦٧.

٢- شرح مسلم، النووى: ١٨ / ٧- ٨.

٣- النهايه فى غريب الحديث، ابن الأثير: ١/٥٧، القاموس المحيط، الفيروز آبادى: ٧٥

أخباره صلى الله عليه وآله عن الناكثين والمارقين والقاسطين

وكما حدث القرآن العزيز عن انقلاب وفتنه فيما إذا توفى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أو قتل (١)، نجد أن هناك ثمة بشارات كثيره فى السنه النبويه، ترسم مسار انتشار الإسلام وانتصاره، وأنه سيسود المعموره، وأن نصر المسلمين محققاً {ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون} (٢)، وإن النبى صلى الله عليه وآله قد حذر من وقوع فتن بعده، وأخبر المسلمين أنهم سيركبون سنن من كان قبلهم «حذو القذيه بالقذيه»، اخبر بخروج فرق تقاتل أهل الحق منهم: الناكثون والقاسطون والمارقون. وتحدث للمسلمين عن المارقه «الخوارج»، وعن رئيسهم - ذى الخويصره - وقال عنهم لهم صلاه وصيام تحقرون صيامكم وصلاتكم تجاهها، ولم يكن أروع الأممه ولا أبقاها كما يذهب إلى ذلك الشهرستانى (٣)، إلا أن يقال، أنه نظر إلى حالهم من كثره الصوم والصلاه.

ص: ٥٤

-
- ١- {و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ...} (آل عمران: ١٤٤).
 - ٢- {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}. التوبه: ٣٣، وسوره الفتح: ٢٨، وسوره الصف: ٩.
 - ٣- الملل والنحل، الشهرستانى: ٣ / ٣٨١.

«وإذا كان الإسلام الذى هو دين الله لا يُقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب إليه حتى أخرجته عن كثير من شرائعه، بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأئمة وأورعها حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي بقتال المارقين، فثبت عنه فى الصحاح (١) وغيرها من روايه أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدرى وسهل بن حنيف وأبى ذر الغفارى وسعيد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وغير هؤلاء أن النبي ذكر الخوارج، فقال: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فإن فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وفى روايه شر قتيل تحت أديم السماء» (٢).

ص: ٥٥

١- صحيح البخارى، م.س: ٣ / ١٣٢١، صحيح مسلم، م.س: ٢/٧٤٤.

٢- الملل والنحل، الشهرستانى: ٣ / ٣٨١.

«حتى بعثوا حَكَمِينَ فَضْلاً وَأَضْلاً» (١).

أخباره صلى الله عليه وآله عن خروج حكمين في أمته

عن المسور بن مخرمه قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: أما علمت أنا كنا نقرأ وجاهدوا في الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله، فقال: عبد الرحمن بن عوف ومتى ذلك يا أمير المؤمنين، قال: إذا كان بنو أمية الأمراء وبنو المغيرة الوزراء (٢)، ذكره

البيهقي ههنا وكأنه يستشهد به على ما عقد له الباب بعده من ذكر

ص: ٥٦

١- البدايه والنهايه: ٦ / ٤٢١.

٢- تاريخ الاسلام، الذهبي، ج ١، ص ٣٩١ - تفسير الرازي، الرازي، ج ٢٣، ص ٧٢ - البدايه والنهايه، ابن كثير، ج ٦، ص ٢٤٠. وقد روى في بعض المصادر بغير هذه الألفاظ، انظر: مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب، الطبري، وفاته عام ٢٦٠هـ، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسه الرساله بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ٢/٣٣٨، المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٤/٥٢٥، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجده ثنا المغيرة ثنا أبو بكر بن مريم عن راشد ابن سعد قال قال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دخلا وكتاب الله دغلا.

الحكمين وما كان من أمرهما، فقال: أخباره عن الحكمين اللذين بعثا في زمن علي.

فعن عبد الله بن يزيد وحبيب بن بشار عن سويد بن غفله، قال:

«إنى لأمشى مع علي بشط الفرات، فقال: قال رسول الله: إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضالا وأضلا من اتبعهما، هكذا أورده ولم يبين شيئا»(١).

والحكمان كانا - حسب المدعى لا الواقع، ولا المنصوص - من خيار الصحابه وهما عمرو بن العاص السهمي(٢) من جهه أهل الشام، والثاني أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري(٣) من جهه أهل العراق، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم، وكذلك وقع ولم يضل بسببهما إلا - فرقه الخوارج حيث أنكروا على الأميرين التحكيم وخرجوا عليهما وكفروهما، حتى قاتلهم علي بن أبي طالب، وناظرهم ابن عباس، فرجع منهم شذمه إلى الحق واستمر بقيتهم حتى قتل

ص: ٥٧

١- البدايه والنهايه: ٦/٢١٥، شرح نهج البلاغه، المعتزلى: ٣١٤-٣١٥، وكنز العمال، المتقى الهندي: ٣٧٧/١ - ٣٧٨.

٢- رأى الامام على فى عمرو بن العاص: فإن عمراً ليس من الله فى شىء إذا كان له فى الأمر هوى. وقعه صفين، المنقرى: ٥٠٠.

٣- وروى أن عمارا سئل عن ابى موسى، فقال لقد سمعت فيه من حذيفه قولاً عظيماً، سمعته يقول صاحب البرنس الاسود، ثم كلع كلوحاً علمت منه انه كان ليله العقبه بين ذلك الرهط، شرح النهج، المعتزلى: ٣١٥/١٣.

أكثرهم بالنهروان وغيره من المواقف المرذوله عليهم(١).

وكان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعه صفين ويقول:

«إنَّ الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم و تخفضهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا- يرضى به من اتبعهما، وإن هذه الأمم لا- تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكمين يحكمان بما لا يرضى من اتبعهما؛ فقال سويد بن غفله: إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين.

قال (أبو موسى): أنا؟ قال سويد: نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه، ويقول لا جعل الله لى إذاً فى السماء مصعداً ولا فى الأرض مقعداً؛ فلقبه سويد بن غفله بعد ذلك فقال يا أبا موسى أتذكر مقاتلتك؟

فقال- أبو موسى لسويد -: سل ربك العافيه(٢).

ص: ٥٨

١- البدايه والنهائيه: ٦/٢٤١.

٢- المسعودى: ٢/٣٩٢.

لقد روى حديث الحكمين فى بعض المصادر التاريخيه أيضاً: تاريخ اليعقوبى والقارئ يجد فى المتن «عبارة بياض فى الأصل» مع تمويه من خلال إيراد أسم سويد بهيئه تورد خللاً فى سند الحديث: عن عبد الرحمن بن الحصين بن سويد... (البياض) (١)، والأصح ربما يكون «عن سويد» وليس «ابن سويد»، وقد أخرج ابن كثير بسياق لا يجد القارئ فيه دلالة؛ فهو بمتن مهلهل فففاض، وما نقله المسعودى فى موجه يمكن الإفاده منه فى موازنه الحديث وتصحيحه من الإرباك الذى دخله من جهه السند [اليعقوبى] والتمن [ابن كثير]، وبالتالي ليكون للحديث دلالة ومفصح عن هذه الدلالة ويحتج به فى هذا السياق (٢).

على بن أبى طالب الموقف الرسالى

يتضح لنا من قراءه جمله من أحاديث الامام على بن أبى طالب تقاطعيه مواقف بعض الصحابه مع المرجعيه الإسلاميه، كما توضح فى ذات الوقت الموقف الرسالى المؤسس للامام عليه السلام تجاه ظواهر تجسمت نتيجة لتلك التقاطعيه، وهى تُعد اشارات

ص: ٥٩

١- تاريخ اليعقوبى : ٢/١٩٠.

٢- سيرد فى تضاعيف المباحث، ذكر الروايات الثلاث ومناقشتها.

وأوليات لقارئ تاريخ تلك الحقبة من عمر الرسالة والأمة والمواقف المناقضة أو الموافقة لمبادئ الرسالة تُعين في التوصل للحكم والاحتكام إليها في التعرف بنسب متفاوتة على التقاطع أو التوافق مع مبادئ الرسالة الإسلامية.

أحق الناس بتولى الأمر

نقل عن الامام على أنه قال:

«أيها الناس، إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه»^(١).

موازنه بين موقفي المهاجرين والأنصار

لما علم الامام بموقف المهاجرين في (السقيفه) واحتجاجهم على الأنصار بكونهم من قريش وأنهم عشيره الرسول صلى الله عليه وآله وقومه، قال مستشهداً ومحتجاً بقوله تعالى:

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} ^(٢)

فنحن مره أولى بالقرابه، وتاره أولى بالطاعه. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفه برسول الله صلى الله عليه وآله فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا

ص: ٦٠

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد، وفاته عام ٦٥٦هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان:

٣/٣٢٨.

٢- سورة آل عمران : ٦٨.

دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم(١)، أى لهم حق فيما أدعوه لا تدفعهم حجه المهاجرين.

ص: ٦١

١- شرح نهج البلاغه - ابن أبى الحديد : ١٨٢/ ٥١.

«لقد علمتم أنني أحق بها من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة التماساً لأجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه»(١).

ولعل(٢) أعظم رقم قياسي ضربه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للتضحيه في سبيل الإسلام والإخلاص للمبدأ إخلاصاً جرده عن جميع الاعتبارات الشخصية وأقام منه حقيقه ساميه سمو المبدأ ما بقي للمبدأ حياه هو الرقم الذي سجله بموقفه(٣) من

ص: ٦٢

١- شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد، ج ٦، ص ١٦٦، داراحياء الكتب العربيه ؛ أهل البيت في فجر الشهيد محمد باقر الصدر (رض)، إعداد وتحقيق عبد الرزاق هادي الصالحى، منضد على الكومبيوتر: ٢/ ٥٠ - ٦٣.

٢- شرح نهج البلاغه - ابن أبى الحديد : ٦/١٦٦.

٣- حدثت عن هشام ، قال : حدثنى عوانه ، قال : لما اجتمع الناس على بيعه أبى بكر اقبل أبو سفيان وهو يقول : والله إنى لأرى عجاجه لا- يطفأها إلا دم؟ يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم !..وقال : أبا حسن ابسط يديك أبايعك فأبى على ، فجعل يتمثل بأبيات: ولن يقيم على خسف يراد به هذا على الخسف معكوس برمته إلا الأذلان غير الحى والوتد وذا يشج فلا يبيكى له أحد قال الراوى: فزجره على وقال : والله انك ما بغيت بهذا إلا فتنه، وانك والله طالما بغيت الاسلام شراً. تاريخ الطبرى: ٢/٤٤٩.

خلافه الشورى وقدم بذلك فى نفسه مثلاً أعلى للتفانى فى المبدأ الذى صار شيئاً من طبيعته (١).

إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد تمكن من محو ضلال الوثنيه فقد استطاع أن يجعل من على بما أفاض عليه من حقائق نفسه عينا ساهره على القضية الإلهيه فنامت فيه الحياه الإنسانيه بأهوائها ومشاعرهما وصار يحيا بحياه المبدأ والعقيده (٢).

وإن كان للتضحيه الإنسانيه الفاضله كتاب فأعمال على عنوان ذلك الكتاب المشع بأضواء الخلود (٣).

ص: ٦٣

١- وإن قول الامام على (ع) يُعد مظهراً لموقفه هذا: «لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى، ووالله لاسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصه، التماساً لاجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه». شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ٦/١٦٦.

٢- قال رسول الله (ص): (على مع الحق و الحق مع على ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامه). تاريخ بغداد/الخطيب البغدادي: ج١٤، ص ٣٢١، تفسير الفخر الرازى: ج١، ص ١١١، كفايه الطالب للكنجى: ص ١٣٥، المناقب الخوارزمى لأخطب خوارزم: ص ٧٧، وقال (ص): اللهم أدر الحق معه حيث دار، راجع مستدرك الحاكم: ج٣ ص ١٢٥، كنز العمال: ج٦، ص ١٧٥، جامع الترمذى: ج٢، ص ٢١٣. [هامش فى الأصل].

٣- قال رسول الله (ص): لضربه على يوم الخندق خير من عباده الثقلين، أو قال: (لمبارزه على لعمرو افضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامه)، راجع المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٢. [هامش فى الأصل]. وانظر: الطرائف، السيد ابن طاووس الحسنى، متوفى ٦٦٤هـ-، مطبعه الخيام، قم، الطبعة الأولى ١٣٧١: ٥١٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٣/١٩. وكنز العمال، المتقى الهندي: ١١/٦٢٣.

وإن كان لمبادئ السماء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله تعبير عملي على وجه الأرض فعلى هو تعبيرها الحي على مدى الدهور والأجيال.

وإن كان النبي (ص) قد خلف في أمته علياً والقرآن(١) فإنما جمع بينهما ليكون القرآن تفسيراً لمعاني على العظيم ولتكون معاني على أنموذجاً لمثل القرآن الكريم.

وإن كان الله تعالى قد جعل علياً نفس رسول الله صلى الله عليه وآله في آية المباهلة(٢) فلاجل أن يفهم المسلمون انه امتداد طبيعي لمحمد صلى الله عليه وآله وشعاع متألق من روحه العظيمه.

وإن كان النبي صلى الله عليه وآله قد خرج من مكة مهاجراً وخلف علياً على فراشه(٣) ليموت

ص: ٦٤

١- قال رسول الله (ص): إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). راجع الصواعق المحرقة: ص ١٣٦. [هامش في الأصل]. انظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٦/٣٠٩، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، متوفى ٢٧٩هـ-، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي: ٥/٦٢٢. الطبقات، ابن سعد: ٢/١٩٤، المعجم الكبير، الطبراني: ٥/١٦٦، مسند الامام احمد: ٤/٢١٧، المستدرک: ٣/١١٩.

٢- راجع تفسير الفخر الرازي/سوره آل عمران: ٦١، اسباب النزول/الواحدى: ٦٧، وآيه المباهله هي [الآيه: ٦١، من سوره آل عمران، {فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...}، قال الزمخشري: ولا دليل أقوى من هذا - يشير إلى دعوتهم لمباهله نصارى نجران- على فضل أصحاب الكساء [الرسول (ص)، فاطمه، على بن أبى طالب، الحسن والحسين (س)]، انتهى. الكشاف: ١/٣٢٧.

٣- راجع تفسير الرازي ٥: ٢٠٤ نشر دار الكتب العلميه - طهران، سيره ابن هشام ٢: ٩٥ مطبعه الحجازى/ ط ١٠، تذكره سبط الجوزى: ٣٤.

بدلاً عنه فمعنى ذلك ان المبدأ المقدس هو الذى كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما وإذا كان لابد للقضية الإلهية من شخص تظهر به وآخر يموت فى سبيلها فيلزم أن يبقى رجلها الأول لتحيا به ويقدم رجلها الثانى نفسه قربانا لتحيا به أيضاً.

وإن كان على هو الذى أبحاث له السماء خاصه النوم فى المسجد والدخول فيه جنبا(1) فمفهوم هذا الاختصاص ان فى معانيه معنى المسجد لأن المسجد رمز السماء الصامت فى دنيا ماده وعلى هو الرمز الإلهى الحى فى دنيا الروح والعقيدة.

وإن كانت السماء قد امتدحت فتوه على وأعلنت عن رضاها عليه إذ قال المنادى: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على)(2) فإنها عنت بذلك ان فتوه على وحدها هى الرجولة الكامله التى لا- يرتفع إلى مداها إنسان ولا- ترقى إلى افقها بطوله الأبطال وإخلاص المخلصين.

ومن مهزله الأقدار أن هذه الفتوه قدسها الهاتف الإلهى كانت عيبا فى رأى مشايخ

ص: ٦٥

١- راجع مسند الامام احمد ابن حنبل: ج ٤، ص ٣٦٩، ومستدرك الحاكم: ج ٣، ص ١٢٥ وشرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ج ٢، ص ٤٥١، وتذكره الخواص سبط ابن الجوزى: ٤١، ومناقب الخوارزمى ص ١٢٧، ٣٠١، ٣١٤، تاريخ الخلفاء، السيوطى: ١٧٢، الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٢٣، [هامش فى الأصل].

٢- ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه ٢: ٦٥، دار الكتب العلميه - بيروت، وابن هشام فى سيرته: ج ٣، ص ٦١٥. وابن أبى الحديد فى شرح النهج: ج ١١، ص ٢١٧، الخوارزمى فى المناقب ص: ٣٠١. [هامش فى الأصل].

السقيفه(١) ونقصاً في علي يؤاخذ عليه وينزل به عن ابوبكر الذي لم يكن يمتاز عليه إلا بسنين قضاها كافرًا مشرکًا. وأنا لا أدري كيف صار الازدواج بين الجاهليه والإسلام في حياه شخص واحد مجدداً يمتاز به عمن خلصت حياته كلها لله.

ولئن ظهرت للناس في البحوث الجديده القوه الطبيعیه التي تجعل الأجسام الدائره حول المحور تسير على خط معين لقد ظهرت في علي قبل مئات السنين قوه مثلها ولكنها ليست من حقائق الفيزياء بل من قوى السماء وهي التي جعلت من علي مناعه طبيعیه للإسلام حفظت له مقامه الأعلى مادام الامام حيا ومحورا تدور عليه الحياه الإسلاميه لتستمد منه روحانيته وثقافتها وروحها وجوهرها سواء أكان علي رأس الحكم أولا.

وقد عملت هذه القوه عملها السحري في عمر نفسه فجذبته إلى خطوطها المستقيمه مرارا حتى قال: لو لا علي لهلك عمر(٢)، وظهر تأثيرها الجبار في التفاف

ص: ٦٦

١- راجع شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد ٦: ٤٥ وفيها : محاوره بين الخليفه الثاني عمر وابن عباس، قال الخليفه عمر: (يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا انهم استصغروه ... قال ابن عباس: فقلت له: والله ما استصغره الله حين أمر أن يأخذ سورة براءه من أبي بكر ...) وفي ص: ١٢ من الجزء ذاته: قال أبو عبيده للامام علي: « يا أبا الحسن انك حديث السن وهؤلاء مشيخه قريش قومك».

٢- مسند زيد بن علي، متوفى ١٢٢هـ-، تحقيق أحد علماء الزيديه، الناشر مكتبه الحياه- بيروت: ٣٣٥. الاستيعاب، ابن عبد البر: ٣/١١٠٣- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨، دار احياء الكتب العربيه.

المسلمين حوله في اليوم الذى أسندت فيه مقدرات الخلافة إلى عامه المسلمين ذلك الالتفاف الفذ(١) الذى يقل مثيله في تاريخ الشعوب.

ونعرف من هذا أن علياً بما جهزته السماء به من تلك القوه، كان ضروره من ضرورات الإسلام(٢) التى لا بد منها وشمسا يدور عليها

الفلك الإسلامى بعد النبى (ص) بحسب طبيعته التى لا يمكن أن تقاوم حتى التجأ الفاروق إلى مسيرتها كما عرفت.

ويتجلى لدينا أيضاً أن الانقلاب الفجائى فى السياسه الحاكمه لم يكن ممكنا يومئذ لأنه - مع كونه طفره- يناقض تلك القوه الطبيعيه المركزه فى شخصيه الامام فكان من الطبيعى أن تسير السياسه الحاكمه فى خط منحنى حتى تبلغ النقطه التى وصل إليها الحكم الأموى تفاديا من تأثير تلك القوه الساهره على الاعتدال والانتظام كما ينحنى السائق بسيارته عندما ينحرف بها إلى نقطه معاكسه تحذرا من القوه الطبيعيه التى تفرض الاعتدال فى السير. وهذا الفصل الرائع من عظمه الامام يستحق دراسه وافيه مستقله قد نقوم بها فى بعض الفرص لنكشف بها عن شخصيه على المعارض للحكم والساهر على قضيه الإسلام والموفق بين حمايه القوه الحاكمه من الانحراف وبين معارضتها فى نفس الوقت.

وإن كانت مواقف الامام كلها رائعه، فموقفه فى الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من

ص: ٦٧

١- تاريخ الطبرى ٢: ٦٩٦ وما بعدها.

٢- وعلى ضوء هذا نفهم ما بيناه، وهو قول رسول الله (ص) لعلى: لا- ينبغى أن أذهب إلا- وأنت خليفتى، وقوله له عندما تهيأ للخروج إلى غزوه تبوك: لا- بد من أن أقيم أو تقيم، راجع خصائص النسائي ص ٧، ومسنند أحمد ج ١ ص ٣٣١، ومناقب الحوارزمى ص ٧٥، وذخائر العقبى ص ٨٧.

أكثرها روعه.

وإن كانت العقيدة الإلهية تريد في كل زمان بطلا يفتديها بنفسه، فهي تريد أيضا بطلا يتقبل القربان ويعزز به المبدأ، وهذا هو الذى بعث بعلى إلى فراش الموت(1) وبالنبى صلى الله عليه وآله إلى مدينه النجاه يوم الهجره الأغر كما أشرنا إليه قريبا ولم يكن ليتهيأ للامام فى محنته بعد وفاه أخيه أن يقدم لها كلام البطلين لأنه لو ضحى بنفسه فى سبيل توجيه الخلافه إلى مجراها الشرعى فى رأيه لما بقى بعده من يمسك الخيط من طرفيه وولدا رسول الله صلى الله عليه وآله طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد.

وقف على عند مفترق طريقين كل منهما حرج وكل منهما شديد على نفسه:-أحدهما: أن يعلن الثورة المسلحة على خلافه أبى بكر.

والآخر أن يسكت وفى العين قذى، وفى الحلق شجا، ولكن ماذا كان يترقب للثوره من نتائج هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخيه لتلك الساعه العصييه.

إنّ الحاكمين لم يكونوا ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضه وهم من عرفناهم حماسه وشده فى أمر الخلافه. ومعنى هذا انهم سيقابلون ويدافعون عن سلطانهم الجديد،

ص: ٦٨

١- انظر: شواهد التنزيل، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، متوفى فى القرن الخامس الهجرى، تحقيق الشيخ محمد باقر محمودى، مجمع الثقافه الاسلاميه، الطبعه الأولى ١٤١١هـ-: ١/١٢٣. راجع الرازى فى التفسير الكبير، ٥: ٢٠٤. النص المروى: ذكر الرازى فى سبب نزول الآيه أن على بن أبى طالب بات فى فراش رسول الله (ص) ليله خروجه إلى الغار، ويروى أنه لكان نام على فراشه قام جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجله وجبريل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن ابى طالب يباهى الله بك الملائكه، وفيه نزلت الآيه المباركه «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله» البقره: ٢٠٧.

ومن المعقول جدا حينئذ أن يغتنم سعد بن عباده الفرصه ليعلنها حربا أخرى فى سبيل أهوائه السياسيه لأننا نعلم انه هدد الحزب المنتصر بالثوره عندما طلب منه البيعه وقال: لا والله حتى أرمىكم بما فى كنانتي وأخضب سنان رمحى واضرب بسيفى وأقاتلكم بأهل بيتى ومن أطاعنى ولو اجتمع معكم الإنس والجن ما بايعتكم(١)، واكبر الظن انه تهيب الإقدام على الثوره ولم يجرأ على أن يكون أول شاهر للسيف ضد الخلافه القائمه وإنما اكتفى بالتهديد الشديد الذى كان بمثابة إعلان الحرب وأخذ يترقب تضعف الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف فكان حرياً به أن تثور حماسه ويزول تهيبه ويضعف الحزب القائم فى نظره إذا رأى صوتاً قويا يجهر بالثوره فيعيدها جذعه ويحاول إجلاء المهاجرين من المدينه بالسيف(٢) كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه فى مجلس السقيفه.

ولا- ننسى بعد ذلك الأمويين وتكتلهم السياسى فى سبيل الجاه والسلطان وما كان لهم من نفوذ فى مكه فى سنواتها الجاهليه الاخيريه فقد كان أبو سفيان زعيمها فى مقاومه الإسلام والحكومه النبويه وكان عتاب بن أسيد بن ابى العاص بن أميه أميرها المطاع فى تلك الساعه.

وإذا تأملنا ما جاء فى تاريخ تلك الأيام(٣) من أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توفى ووصل

ص: ٦٩

١- راجع تاريخ الطبرى ٢: ٤٥٩.

٢- تاريخ الطبرى ٢: ٤٥٧ - ٤٥٨ ، قصه السقيفه ، والمتكلم هو الحباب ابن المنذر: (اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعه...).

٣- راجع: الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٢٣. [هامش فى الأصل].

خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب وارتجت المدينة وكاد أهلها يرتدون، فقد لا نقتنع بما يعلل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة والإيمان كما أنى لا أؤمن بأن مرد ذلك التراجع إلى انهم رأوا في فوز أبي بكر فوزهم وانتصارهم على أهل المدينة كما ذهب إليه بعض الباحثين لأن خلافة أبي بكر كانت في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأكبر الظن أن خير الخلافة جاءهم مع خبر الوفاء بل تعليل القضية في رأيي أن الأمير الأموي عتاب بن أسيد شاء أن يعرف اللون السياسي الذي اتخذته أسرته في تلك الساعه فاستخفى وأشاع بذلك الاضطراب حتى إذا عرف أن أبا سفيان قدرضى (١) بعد سخط وانتهى مع الحاكمين إلى نتائج في صالح البيت الأموي ظهر مره أخرى للناس وأعاد الأمور إلى مجاريها وعليه فالصلة السياسيه بين رجالات الأمويين كانت قائمه في ذلك الحين. وهذا التقدير يفسر لنا القوه التي تكمن وراء أقوال أبي سفيان حينما كان ساخطاً على أبي بكر وأصحابه إذ قال: إنى لأرى عجاجه لا يطفئها إلا الدم، وقال عن علي والعباس: أما والذي نفسى بيده لارفعن لهما من أعضادهما (٢). فالأمويون قد كانوا متأهين للثوره والانقلاب وقد عرف على منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعم المعارضه ولكنه عرف انهم ليسوا من الناس الذين يعتمد على تأييدهم وإنما يريدون الوصول

ص: ٧٠

-
- ١- راجع تاريخ الطبرى ٢/ ٤٤٩، لما سمع أبو سفيان بيعه أبي بكر قال: ما لنا ولأبى فصيل انما هي بنو عبد مناف، فقيل له لقد ولى أبئك فقال: وصلته رحم، وقد ولى الخليفه الأول ابنه يزيد أميراً على الجيش الذاهب إلى الشام.
 - ٢- تاريخ الطبرى ٢: ٤٤٩.

إلى أغراضهم عن طريقه فرفض طلبهم وكان من المنتظر حينئذ أن يشقوا عصا الطاعة إذا رأوا الأحزاب المسلحة تتناحر ولم يطمئنا إلى قدره الحاكمين على ضمان مصالحهم ومعنى انشاقهم حينئذ اظهارهم للخروج عن الدين وفصل مكة عن المدينة.

وإذن فقد كانت الثورة العلوية في تلك الظروف إعلاناً لمعارضه دمويه تتبعها معارضا دمويه ذات أهواء شتى وكان فيها تهيئه لظرف قد يغتمه المشاغبون ثم المنافقون.

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعلی بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم بل لتناحرت ثورات شتى وتقاتلت مذاهب متعدده الأهداف والأغراض ويضيق بذلك الكيان الإسلامی في اللحظة الحرجه التي يجب أن يلتف فيها المسلمون حول قياده موحده ويركزوا قواهم لصد ما كان يتربح أن تتمخض عنه الظروف الدقيقه من فتن وثورات.

إنَّ علياً الذي كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قربانا للمبدأ في جميع أدوار حياته منذ أن ولد في البيت الإلهي وإلى أن قتل فيه قد ضحى بمقامه الطبيعي ومنصبه الإلهي في سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وصياً عليها وحارساً لها.

وفقدت بذلك الرساله المحمديه الكبرى بعض معناها فان رسول الله (ص) لما أمره ربه بتبليغ دعوته والإنذار برسالته جمع بنى عبد المطلب وأعلن عن نبوته بقوله: (إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتمكم به) وعن امامه أخيه بقوله: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)^(١)، ومعنى ذلك أن امامه على تكمله طبيعياً

ص: ٧١

١- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣، وشرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد - الطبعه القديمه، [هامش في الأصل]. النص التاريخي: روى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآيه وأنذر عشيرتک الأقرين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا الذي يهتف، قالوا محمد، فقال: يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا إليه فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تباً لك ما جمعنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السوره تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السوره. حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمه قال حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب عن عبدالله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتک الأقرين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقرين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متي بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رحل شاه واملاً لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزه والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعت الراوي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيه من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحف ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجه وما أرى إلا موضع أيديهم وإيم الله الذي نفس على بيده وإن كان الرجل الواحد منهم

ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجتتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعا وإيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال لهد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغدي يا علي إن هذا الرجل إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلى، قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجه ثم قال اسقهم فجتتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى، قال: فأحجم القوم عنها جميعا وجاء وإني لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخى ووصى فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. تاريخ الطبرى: ٢/٦٣-٦٤. معجم الصحابه، عبد الباقي بن قانع أبو الحسين، متوفى ٣٥١هـ-، تحقيق صلاح بن سالم المصراتى، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنوره، الطبعه الأولى ١٤١٨هـ-: ١/٢٩٣. شواهد التنزيل للحسكاني: ١/٤٨.

لنبوه محمد صلى الله عليه وآله وإن الرسالة السماويه قد أعلنت عن نبوه محمد الكبير صلى الله عليه وآله وامامه محمد الصغير فى وقت واحد.

إنّ علياً الذى رباه رسول الله صلى الله عليه وآله وربى الإسلام معه فكانا ولديه العزيزين كان يشعر باخوته لهذا الإسلام وقد دفعه هذا الشعور إلى افتداء أخيه بكل شىء حتى أنه اشترك فى حروب الرده التى أعلنها المسلمون

(١) ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، متوفى ٧٤٨هـ-، تحقيق على محمد الجاوى، دار المعرفه، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-.

(٢) النصائح الكافيه، محمد بن عقيل، متوفى ١٣٥٠هـ-، دار الثقافه- قم، الطبعة الثانيه ١٤١٢هـ-.

(٣) نظام الحكم فى الإسلام، د. محمد النبهان، جامعه الكويت، ١٩٧٨، إعادته طبع.

ينابيع الموده، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى، متوفى ١٢٩٤هـ-، تحقيق سيد على جمال أشرف الحسينى، أسوه - قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-.

على تكمله طبيعته لنبوه محمد صلى الله عليه وآله وإن الرسالة السماويه قد أعلنت عن نبوه محمد الكبير صلى الله عليه وآله وامامه محمد الصغير فى وقت واحد.

إنّ علياً الذى رباه رسول الله صلى الله عليه وآله وربى الإسلام معه فكانا ولديه العزيزين كان يشعر باخوته لهذا الإسلام وقد دفعه هذا الشعور إلى افتداء أخيه بكل شىء حتى أنه اشترك فى حروب الرده التى أعلنها المسلمون يومذاك(١)، ولم يمنعه تزعم غيره لها عن القيام بالواجب المقدس، لأن أبا بكر إن كان قد ابتزه حقه ونهب تراثه فالإسلام قد رفعه إلى القمه وعرف له أخوته الصادقه وسجلها بأحرف من نور على صفحات الكتاب الكريم:

وصمد الامام على ترك الثوره ولكن ماذا يفعل؟ وأى أسلوب يتخذه لموقفه؟ هل

ص: ٧٣

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ج ٤، ص ١٦٥. [هامش فى الأصل].

يحتج على الفئه الحاكمه بنصوص النبي صلى الله عليه وآله وكلماته التي أعلنت أن علياً هو القطب المعد لأن يدور عليه الفلك الإسلامى والزعيم الذى قدمته السماء إلى أهل الأرض (١).

تردد هذا السؤال فى نفسه كثيرا ثم وضع له الجواب الذى تعينه ظروف محتته وتلزمه به طبيعه الأوضاع القائمه فسكت عن النص إلى حين.

ص: ٧٤

١- لقد أكد ذلك النصوص القرآنيه، آيه البلاغ، وآيه (والذى يؤتون الزكاه وهم راعون)، وآيه التطهير، وآيه إكمال الدين، كما ورد ذلك فى المأثور المتواتر والمستفيض عن صاحب الرساله منذ بدء الدعوه وإلى حين وفاته.

وهى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبايه أيضاً «فاطمه بضعه منى يرينى ما أرابها ويؤذيني ما آذاها». الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله صحيح مسلم: ٤ / ١٩٠٢. البخارى: ٥ / ٢٠٠٤.

لقد كان للزهراء عليه السلام مكانه خاصه عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما تظهره الروايات والأحاديث عنه صلى الله عليه وآله والتي رواها المسلمون كافة، مع عدم إغفال النصوص القرآنيه التي تجعل لها منزله ومكانه تمنع أن يدعى عليها مدع، فأيه المباهله، وحديث الكساء التي ترويه أم سلمه ٢، وآيه التطهير، وآيه يطعمون الطعام على حبه (١) ... إلى غير ذلك من النصوص الأخرى، فضلاً عن الاهتمام الملفت للنظر من قبل النبي صلى الله عليه وآله والذي يستدعى التأمل والنظر بحثاً عن حقيقه أو حقائق عمل على إخفائها الكثيرون من الأوائل، وسعى من لحق منحاذاً، دون اكرات بعواقب أشارت عليه السلام إليها، فبتر هذا وزاد ذاك، وغيب سواهما، إلا أنه مع كل ذلك تبقى حركتها بين التطواف ليلاً وبين وقوفها فى مسجد أبيها وامام جمع المهاجرين والأنصار - يتصدر مجلسهم الخليفين - على الأمة وللأمة على امتداد تاريخها.

ص: ٧٥

روى البخارى قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال: أخبرني عروه بن الزبير أن عائشه أم المؤمنين رضى الله عنها أخبرته:

«إن فاطمه عليها السلام ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله، سألت أبا بكر الصديق بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله: أن يقسم لها ميراثها - ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه - فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا نورث ما تركنا صدقه؛ فغضبت فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاج رته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، قالت: وكانت فاطمه تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينه(1).

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل، قال:

أرسلت فاطمه إلى أبي بكر فقالت: ما لك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أنت ورثت رسول الله أم أهله، قال: لا بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إني سمعته يقول: إن الله إذا أطعم نبياً طعمه ثم قبضه إليه جعله للذى يقوم بعد فرأيت أنا بعده أن أردده على المسلمين.

ص: ٧٦

قالت: أنت وما سمعته من رسول الله (١).

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر، فلما توفيت دفنها على عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر (٢).

وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عمر بن عاصم، وموسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمه، عن الكلبي. عن أبي صالح، عن أم هانئ:

«أن فاطمه قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قال: فما لك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا؟ قال: يا ابنه رسول الله، ما ورث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضةً، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا، وصار فينا الذي بيدك، فقال لها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما هي طعمه أطعمناها الله، فإذا مت كانت بين المسلمين. وأخبرنا أبو زيد قال: حدثنا إسحاق بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن أحمد، عن معمر، عن الزهري، عن عروه، عن عائشه، أن فاطمه، والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما حينئذ يطلبان أرضه بفدك، وسهمه بخيبر، فقال لهما أبو بكر: أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورث، ما تركناه صدقه، أنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وآله من هذا المال، وإنى والله لا أغير أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه إلا صنعته قال: فهجرته فاطمه فلم تكلمه حتى ماتت (٣)».

ص: ٧٧

١- مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي: ١/٤٠، ٣٧.

٢- أى لم يحضر الصلاة عليها. السقيفه وفدك، الجوهري: ١٠٩.

٣- السقيفه وفدك، الجوهري: ١٠٩.

أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا- نورث، ما تركنا فهو صدقه، فقالت: رأيتهما إن حدثكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قال: نعم. فقالت: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمه من رضاي، وسخط فاطمه من سخطي، فمن أحب فاطمه ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمه فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمه فقد أسخطني؟ قالوا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه»، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمه، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: «والله لادعون الله عليك في كل صلاه أصليها»، ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: بيت كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجه لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي. قالوا: يا خليفه رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لو لا ذلك وما أخافه من رخاوه هذه العروه ما بت ليله ولي في عنق مسلم بيعه، بعدما سمعت ورأيت من فاطمه. قال: فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمه رضى الله عنهما، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسا وسبعين ليله (١).

وقال ابن شبه: حدثنا القعنبى قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمه قال:

«إن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أتت أبا بكر رضى الله عنه، فذكرت له ما أفاء الله على رسوله بفدك، فقال أبو بكر رضى الله عنه: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن النبي لا يورث»، من كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان ينفق عليه فأنا أنفق عليه.

قالت يا أبا بكر: أترثك بناتك ولا ترث رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم بناته؟

قال هو ذاك (١)».

وروى الحاكم قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري وأخبرنا محمد بن علي بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزه قال: ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن علي بن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضى الله عنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمه: ثم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه أى مسلم والبخارى (٢)».

ص: ٧٩

١- تاريخ المدينة، ابن شبه النميرى: ١/١٩٨ - ٢٠٠. روى بمعناه أيضا فى مسند الامام أحمد بن حنبل ١: ١٧٩.

٢- المستدرک على الصحيحين: ٣/١٦٧، ٤٧٣٠.

ذكر ابن طيفور كلام فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله كلام فاطمه عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون انه مصنوع وانه من كلام أبي العيناء (الخبر منسوق البلاغه على الكلام) فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمه على هذه الحكاياه ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء وقد حدث به الحسن بن علوان عن عطيه العوفى انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه، ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمه فينكرونه وهم يرون من كلام عائشه عند موت أبيها ما هو اعجب من كلام فاطمه يتحققونه لو لا عداوتهم لنا أهل البيت، ثم ذكر الحديث قال لما اجتمع أبو بكر على منع فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فدك وبلغ ذلك فاطمه عليها السلام لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها تطأ ذيولها ما تخرم من مشيه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فنيطت دونها ملاه، ثم أنت انه اجهش القوم لها بالبكاء وارتج المجلس فأمهلت حتى سكن نسيج القوم وهدات فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاه على رسول الله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم فلما امسكوا عادت في كلامها فقالت: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}، فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ النذاره صادعا بالرساله مائلا على مدرجه المشركين ضاربا لثبجهم آخذا بكظمهم يهشم الأصنام وينكت الهام حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتغرى الليل عن صبحه أسفر

الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وكنتم على شفا حفره من النار مذقه الشارب ونهزه الطامع وقبسه العجلان وموطئ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون الورق أذله خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد ما منى بهم الرجال وذؤبان العرب (ومرده أهل الكتاب) كلما حشوا ناراً للحرب أطفالها ونجم قرن للضلال وفغرت فاغره من المشركين قذف بأخيه فى لهواتها فلا ينكفى حتى يطا صماخها باخمصه ويخمد لهبها بحدده مكدودا فى ذات الله قريبا من رسول الله سيدا فى أولياء الله وانتم فى بلهنيه وادعون آمنون حتى إذا اختار الله لنيه دار أنبيائه ظهرت خله النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونيغ حامل الآفلين وهدر فنيق المبطلين فخطر فى عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم فوجدكم لدعائه مستجيبين وللغره فيه ملا حظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً واجمشكم فالفاكم غضابا فوسمتم غير ابلكم واوردموها غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل بدار (وفى نسخه إنما) زعمتم خوف الفتنة إلا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين فهيهات منكم وأنى بكم وانى تؤفكون وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجه بينه وشواهده لائحه وأوامره واضحه ارغبه عنه تدبرون ام بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين ثم لم تريثوا إلا ريث أن تسكن نغرتها تشربون حسوا وتسرون فى إرتغاء ونصبر منكم على مثل حز المدى وانتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا أفحكمم الجاهليه تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ويها معشر المهاجرين أبتر إرث أبى أفى الكتاب أن ترث أباك ولا ارث

أبى لقد جئت شيئاً فريا فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعه يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، ثم انحرفت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وهى تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنثه

انا فقدناك فقد الأرض وابلها

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

واختل قومك فأشهدهم ولا تغب

قال فما رأينا يوماً كان أكثر باكياً ولا باكيه من ذلك اليوم(١).

ص: ٨٢

١- بلاغات النساء، ابن طيفور: ١٢-١٤، شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٦/٢٤٩.

الامام وخلافه أبى بكر

ورد عن الامام على عليه السلام فى بيان مفارقه توليه أبى بكر الخلافه على وفق النص السابق بمدلوليه «القرابه» و«الطاعه»:

«أما والله لقد تقمصها ابن أبى قحافه وهو يعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير، حتى إذا مضى إلى سبيله، فأدلى بها إلى فلان - أى إلى عمر بن الخطاب - بعده!!! فى عجباً!!! بينا هو يستقبلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشظرا ضرعيها!!!»(١).

الامام والشورى

وصف الامام لمنهج عمر فى التوليه قائلاً:

«خَلَفَ الْفَتْنَةَ ... رَحِيلَ وَتَرْكُهُمْ فِي طَرَقٍ مَنشَعِبَةٍ لَا يَهْتَدَى فِيهَا الضال، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمَهْتَدَى فَصِيرَهَا - أى الخلافه - فى حوزة خشناء يغلظ كلاها ويخشن مسها، يكثر العثار فيها والاعتذار منها، حتى إذا مضى لسبيله - أى عمر - جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب فى مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هن وهن إلى أن قام ثالث - أى عثمان - القوم»(٢).

ص: ٨٣

١- المعيار والموازنه- أبو جعفر الاسكافى : ٤٨، شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٧ ١٥٢ بتفاوت بالألفاظ.

٢- شرح النهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١/١٨٤.

وقد وصف الامام تولى عثمان الأمر بقوله عليه السلام:

«إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حُضِينَهُ بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمه الإبل نَبَّتَهُ الربيع، إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته»(١).

دلاله الألفاظ:

نافجا حُضِينَهُ: رافعا لهما، والحُضْن: ما بين الابط والكشح، يقال للمتكبر: جاء نافجا حُضِينَهُ، ويقال لمن امتلا بطنه طعاما: جاء نافجا حُضِينَهُ، ومراده عليه السلام هذا الثاني. والنثيل: الروث. والمعتلف: موضع العلف، يريد أن همه الاكل والرجيع، وهذا من ممض الدم، والخضم: أكل بكل الفم، وضده القضم، وهو الاكل بأطراف الاسنان. وقيل:

ص: ٨٤

١- شرح النهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١/ ١٩٧. وفي تاريخ المدينة لابن شبه تفاوت في الألفاظ: حدثنا محمد بن عباد بن عباد قال، حدثنا غسان بن عبد الحميد قال، بلغنا أن عبد الله بن مالك بن عيينه الأزدي حليف بنى مطلب قال: لما انصرفنا مع علي رضي الله عنه من جنازه عمر رضي الله عنه دخل فاغتسل، ثم خرج إلينا فصمت ساعه، ثم قال [أى الامام على]: لله بلاء نادبه عمر قالت: واعمره، أقام الاود وأبدأ العهد واعمره. ذهب نقى الثوب قليل العيب، واعمره أقام السنه وخلف الفتنه، ثم قال- أى الامام على-: والله ما درت هذا ولكنها قولته وصدقت، والله لقد أصاب عمر خيرها وخلف شرها، ولقد نظر له صاحبه فسار على الطريقه ما استقامت ورحل وتركهم فى طرق متشعبه لا يدري الضال ولا يستيقن المهتدى تاريخ المدينة، ابن شبه النميرى: ٣/ ٩٤١. والدلاله فى القول العلوى تباين فى أولياتها ما ذكر فى النهج وفى تاريخ المدينة عباره (لقد صدقت ابنه أبى خثمه حين قالت) يظهر أنها مُدخله لأنه فى عبارته التاليه ترد كلمه صدقت.

الخضم أكل الشيء الرطب، والقضم أكل الشيء اليابس، والمراد على التفسيرين لا يختلف، وهو أنهم على قدم عظيمه من النهم وشده الأكل وامتلاء الأفواه. وقال أبو ذر رحمه الله تعالى عن بنى أمية: يخضمون ونقضم، والموعود الله. والماضى "خضمت" بالكسر، ومثله قضمت. والنبته، بكسر النون كالنبات، تقول: نبت الرطب نباتا ونبته. وانتكث قتله: انتقض، وهذه استعاره. وأجهز عليه عمله: تمم قتله. يقال: أجهزت على الجريح، مثل ذفت إذا أتممت قتله وكبت به بطنته، كبا الجواد إذا سقط لوجهه. والبطنه الإسراف فى الشبع.

وقال فيه أيضاً واصفاً مفاصل أخرى من سلوك الخليفة الثالث:

«إنه كان على الناس وإلٍ أحدث أحداثاً، وأوجد للناس مقالاً؛ فقالوا ثم نعموا فغيروا»(١).

-: «استأثر - أى عثمان- فأساء الإثره»(٢).

رؤيه تقييميه ونصح

إن عثمان فى منظور الامام أفضل من سابقيه وهى تغاير مناقبيه المخيال المؤسس وفقاً لتراتبية التولى التى ملئ بها المنقول التاريخى والتراجمى؛ ففى حواريه بين الامام والخليفه إبان أحداث الثوره خاطب الامام الخليفه الثالث:

«وما ابن أبى قحافه ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وشيجه رحم منهما ... فالله الله فى نفسك،

ص: ٨٥

١- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ١/ ٩٤.

٢- نهج البلاغه، شرح محمد عبده، طبع بغداد: ١/٧٦.

فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح، وإن أعلام الدين لقائمه، فاعلم أن أفضل عباد الله عند الله امام عادل، هدى وهدى، فأقام سنه معلومه وأمات بدعه مجهوله، وإن السنن لنيره لها أعلام، وإن البدع لظاهره لها أعلام وإن شر الناس عند الله امام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سنه مأخوذه، وأحيا بدعه متروكه، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر، وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط في قعرها.

وإني أنشدك الله أن تكون امام هذه الأئمه المقتول، فلا تكونن لمروان سيقه يسوقك حيث يشاء بعد جلال سن وتقضى العمر»(١).

إقامه الحق بوجود الناصر لا بالإكراه

اتضح من نصوص سابقه أن الامام على قد ثبت أنه أحق بالخلافه ووراثه النبي صلى الله عليه وآله من غيره وكان ذلك بُعيد بيعه "السقيفه"، إلا أنه أثبت أن موقفه كان مبتنياً على أسس موضوعيه تتسم في مضمونها ومحتواها مع مبادئ الرساله الإسلاميه، فقد روى عنه أنه قال:

«وظفقت أرتنى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثى نهبا»(٢).

ص: ٨٦

١- شرح نهج البلاغه - ابن أبي الحديد: ٩-٢٦١-٢٦٢.

٢- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١/١٥١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، وفاته عام ٥٨٨ هـ، تحقيق لجنة من أساتذه النجف الأشرف، مطبعه الحيدريه النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ: ٢/٤٨.

وقال الامام على أيضاً:

«افلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح»^(١).

ثم يبين الامام أنه لم يكن معه إلا- أهل بيته وليس يقومون لمثل هذا الأمر بعدتهم وعددهم الذى لا- يقارن بأنصار من ولى الأمر والناس لملوكهم أطوع، فقال:

«فنظرت فإذا ليس معى إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت... فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى»^(٢).

ص: ٨٧

١- نهج البلاغه، محمد عبده: ١/٤٠.

٢- المسترشد فى امامه أمير المؤمنين (ع)، محمد بن جرير الطبرى الامامى، وفاته عام أوائل القرن الرابع الهجرى، مطبعه سلمان الفارسى، الطبعه الأولى (بدون تاريخ): ٤١٧.

الفصل الثاني

أشاره

ص: ٨٨

خلافه عثمان بن عفان

استُخلف عثمان لثلاث مضيّن من المحرم سنه أربع وعشرين، فخرج فصلى بالناس العصر.

فعن عمرو عن الشعبي، قال:

«اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضيّن من المحرم، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائه ووفد أهل الأمصار وصنع فيهم، وهو أول من صنع ذلك».

وعن هشام بن محمد قال:

قتل عمر لثلاث ليال بقين من ذى الحجه سنه ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام(١).

الشورى وخلافه عثمان

لما طعن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب وضع منهجاً وتخطيطاً لمن يتولى الأمر بعده(٢)؛ وبذلك يكون قد خرج على سنه سابقه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والخليفه الأول - فحسب التراث السقيفى:

ص: ٩٠

١- تاريخ الطبرى: ٣/٣٠٥.

٢- تاريخ الطبرى: ٣/٢٩٢-٢٩٥.

«إنَّ النبي صلى الله عليه وآله ترك أمر رسالته، فلم يعين أحداً ولم يضع منهجاً يُسار عليه من بعده، وكان أبو بكر قد عهد إلى عمر بالأمر من بعده -واصطلح على التخطيط العمري هذاب- [الشورى]».

آليه تطبيق الشورى

وأما آليه التطبيق فقد وضع الخليفة أسسها ومفرداتها وأمر بتنفيذها بتمامها، وقد رواها المؤرخون وأهل السير والتراجم، فالطبرى يروى عن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه قال لهم - أى لأصحاب الشورى - : فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شىء ل-ه من الأمر وطلحه شريككم فى الأمر، فإن قدم فى الأيام الثلاثة فأحضره أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم.

وقال - عمر - لأبى طلحه الأنصارى: يا أبا طلحه إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلا- من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمنى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلاً منهم، وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام وادخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحه إن قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شىء له من الأمر وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسه ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف!!، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما!؛ فإن رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا- منهم فحكموا عبد الله بن عمر!! فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا

عما اجتمع عليه الناس، فخرجوا فقال على لقوم كانوا معه من بنى هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً، وتلقاه العباس فقال: عدلت عنا، فقال: وما علمك، قال: قرن بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر فإن رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا- يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخرا معي لم ينفعاني، بله، إني لا أرجو إلا أحدهما(١).

فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها فقال عثمان: أنا أول من رضى فإنى سمعت رسول الله، يقول: أمين فى الأرض أمين فى السماء، فقال القوم: قد رضينا وعلى ساكت، فقال: ما تقول: يا أبا الحسن، قال: أعطنى موثقاً لتؤثرن الحق ولا- تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألو الأمه، فقال: أعطونى موثيقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله ألا- أخص ذا رحم لرحمه ولا ألو المسلمين فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، وقال لسعد: أنا وأنت كلاله فاجعل نصيبك لى فأختار..فقال له سعد: أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا...ثم قال سعد: فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدر كك، فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر(٢).

على هامش الشورى

وبالتأمل والقراءة الواعية لما نقله الطبرى أيضاً عن الخليفة الثانى حين طلبوا منه

ص: ٩٢

١- تاريخ الطبرى: ٢/ ٥٨٢. ويشير الامام (ع) إلى أن الزبير سيكون معه.

٢- تاريخ الطبرى: ٣/٢٩٦.

أن يستخلف - بعدما طعن - لم يذكر أى ممن ادعى أن النبي صلى الله عليه وآله مات وهو عنهم راض؛ إلا علياً، بعد أن تمنى أحد رجلين.

فعن (عمرو بن ميمون الاودى قال:

«إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين: لو استخلفت، قال: من أستخلف لو كان أبو عبيده بن الجراح حياً استخلفته فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك، يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته فإن سألتني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديداً الحب لله، فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير مني وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه»^(١)، فخرجوا، ثم راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين: لو عهدت عهداً، فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأولى رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي^(٢)».

مآلات بين النص والواقع

وبالتأني والتأمل في الواقع والمروى بهذا الخصوص، مقارنة بأقوال الخليفة يصعب تخطي الدلالة في النصوص، لتباعد المصداق فيها حين البحث في المتتابع المروى أو في ما آلت إليه الأحداث، وما تجسم في الواقع من حيثيات تتالت، فكان عليٌّ على كل تقدير، إنه أولى الناس بها - الخلافة - فحسب قول عمر، هو الذي يحملهم على الحق،

ص: ٩٣

١- تاريخ الطبرى ٣/٢٩٢.

٢- تاريخ الطبرى ٣/٢٩٣.

إلا أنه أبعد الستة عنها، وكما قال علي: لا أرجو إلا أحدهم أى الزبير، فالمعادله قد رسمت نتيجتها، فطلحه لا يدلى بصوته إلى علي، ولا- عبد الرحمن، والزبير ممن امتنع عن بيعه أبى بكر، واعتصم فى بيت فاطمه عليه السّلام مع من بقى بصف الامام علي عليه السّلام، وهو بعد ابن عمه الامام عليه السّلام، فهو مَنْ كان يرجوه الامام أن يكون معه، وليس بنافعه وفقاً للآليه التى مآلها قطعاً لعثمان دون منافسيه جميعاً، كما يتجلى ذلك من حواريه سعد بن أبى وقاص مع عبد الرحمن بن عوف حين يحثه أن يبيع لنفسه؛ فيريح بذلك سعد الذى أدرك عهد عمر فيما بعد!!

وثمه ما يثار هنا على وفق المنقول عن الخليفه، والذى أقره علي نفسه، ويلزمه وإن لم يلتزم به أيضاً فيما يخص الامام عليه السّلام من أنه أولى الستة بها والعامل بالحق حسب المنطوقين؛ فلم لم يَرسِم له - الخليفه - الدور الذى أوكله إلى عبد الرحمن فى الشورى؟

ولماذا من يكون فى طرفه عبد الرحمن فهو يلى الأمر ويكون خليفه؟ ومن يخالف يقتل، بل لو امتنع أكثر من واحد أيضاً يقتلان، وهما قطعاً علي والزبير، وبإضافه مدغم رواه الطبرى فى السياق الشورى، وهو قول سعد بن أبى وقاص لعبد الرحمن بن عوف: فإنى أخاف أن يكون الضعف قد أدركك - أى أدرك عبد الرحمن - فأمض لرأيك فقد عرفت عهد عمر!! (١)، كما سبق لسعد قول آخر لعبد الرحمن: أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا، فبالمداناه أو بالتقريب بين القولين تجد كلمات سعد تفسيرها، فيما قاله الامام علي لعبد الرحمن:

ص: ٩٤

«حبوته حبو الدهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو فى شأن، فقال عبد الرحمن: يا على لا تجعل على نفسك سيلاً» (١).

كما يستجلى هذا التوجه فى وصيه الصحابى - العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وآله - للامام على، وهى كاشف ومقرب وقرينه مفسره فى ذات السياق: «أحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفوننا عن هذا الأمر» (٢)، وسبق أن قال العباس له: لا تدخل معهم؛ فأجابه الامام: أكره الخلاف. وفى ذات السياق مؤشر وداله أخرى - وهو ما رواه الطبرى أيضاً - عن المغيرة بعد بيعه عثمان؛ فقام المغيرة بن شعبه خطيباً، فقال يا أبا محمد - يعنى عبد الرحمن بن عوف - الحمد لله الذى وفقك، والله ما كان لها غير عثمان - وعلى جالس - فقال عبد الرحمن: يا ابن الدباغ ما أنت وذاك والله ما كنت أباع أحداً إلا - قلت فيه هذه المقاله (٣)، ولا نريد أن نرتكز المخيال - الذى يرسم جنه فيها القتل والقاتل على السواء - كما يقال ونربط بعهد أبى بكر لعمر، فعثمان هو الذى كتب اسم عمر بعد أن أُغمى على أبى بكر، ولما أفاق جزّاه خيراً - لعثمان - حين عَلم أنه كتب العهد لعمر على لسانه، إلا أن الكيفيه التى تمت بها بيعه عثمان، وإبراء عبد الرحمن لذمته بنقل العهد، وموقف عمار بن ياسر والمقداد - وبروايه الطبرى أيضاً - كما روى موقف عم النبى صلى الله عليه وآله العباس، تُعدُّ دلائل ومقربات لموقف تآزرى على

ص: ٩٥

١- تاريخ الطبرى : ٣/٢٩٧.

٢- تاريخ الطبرى : ٣/٢٩٤.

٣- تاريخ الطبرى : ٣/٣٠٢.

إبعاد علي، وهو ما صرح به علي عليه السلام والعباس وما حكاه سعد:

بقوليه: «بايع لنفسك، وعرفت عهد عمر»،

وقوله الثالث:

«فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس، رداً على ما دار بعد قول عمار: إذا أردت - لعبد الرحمن - إن لا يختلف المسلمون فبايع علياً؛ فقال المقداد: صدق عمار، إن بايعت علياً قلنا سماعاً وأطعنا، فقال له عبد الرحمن: يا مقداد اتق الله فإنني خائف عليك الفتنه، ومن ثم كيف نقرأ قول عبد الرحمن لعلي: لا تجعل علي نفسك سبيلاً، فهل يقرأ ذلك تهديداً أو ربما قيل لحفظ الجماعه وعدم شق صفوفها، وإن أمراً تكون عاقبته «القتل» ماذا يستشف منه؟!»

فلا يبحث عن جذره في مواضى الأحداث فإنه بُنى عليها!! وعلى وفقه ما كان يعنى نصح عبد الرحمن أن يتقيا الفتنه؟!!!

وما يميز بين فتنه عبد الرحمن، والفتنه التي يشير إليها سعد في محاورته لعبد الرحمن؟!!!

وهل هذه المذكورات مما غيب دلالاتها بين تراكمات التاريخ أم هي هفوات رواته؟! أم سِيكت عنها لأنها قول صحابي، وقوله في كل شيء حجه، إلا إذا كانت الدلاله فيه تحكمه، أو تنتصر للرساله والرسالين، فَتُحَجَّب الرؤيا عنه، وتتنفى حجيته!!

وربما الدلاله التفسيريه لهذا الخطاب قول ابن أبي سرح لعبد الرحمن: إذا أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثماناً؟! وقرر قوله عبد الله بن أبي ربيعه قال: صدق إن

بايعت عثماناً قلنا سمعنا وأطعنا!!..(١).

ومع التغاضي عن كل هذا وذاك، فهل يكفي قبول عثمان بسنة الشيخين مرجحاً له؛ فيفوز وترجح كفته؛ فيعلنه عبد الرحمن بن عوف خليفه للمسلمين، ويبعد علياً لرفضه هذا الشرط غير المنصوص في كتاب أو سنة، فهو صحابي كما اجتهد عمر مقابل سنة الخليفة الأول - بل ومقابل سنة النبي صلى الله عليه وآله(٢)- فيما خص سلفه عهداً بالخلافه، فلماذا يجوز لهم ولا يحق لابن أبي طالب أن يجتهد برأيه، وما وُفق له حسب تعبيره عليه السلام؟! - فحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد - والمفروض أن لا مرجح بين الاجتهادين إلا بالقرب والبعد من سنة الرسول صلى الله عليه وآله، والمرجح مروى عنه صلى الله عليه وآله حين بعثه إلى اليمن للقضاء بين أهلها ودعا له بالتسديد، فما أشكل عليه الحكم بين اثنين قط(٣).

معاويه وحصار الخليفة

نقل الرواه الكثير عن استنجد الخليفة الثالث بمعاويه واليه على الشام، إلا أن معاويه لم يجد ولم يحمل ما يطلبه الخليفة منه على محمل الجد والسعي لتخليصه مما أحاط به، ففي الجلسة التي جمعت معاويه والخليفة وولاته الآخرين، كان ما اقترحه معاويه على الخليفة أن يكفيه

ص: ٩٧

١- تاريخ الطبرى : ٣/٢٩٧.

٢- عن عمر قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعه النساء، ومتعه الحج .شرح معانى الآثار، أحمد بن محمد بن سلمه: ٢/١٤٤. كن-ز العمال المتقى الهندي :١٦ / ٥١٩، حديث: ٤٥٧١٥.

٣- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٣٨١.

الشام دون تدخل فى ما آل إليه أمر الخليفة، حيث الموقف المتشدد من الأئمه تجاهه وإزاء ولائته، فخرج من المدينه واعدأ الخليفه المدد والنصره إلا- أنه كان يتربص نهايه الخليفه دون أن تسجل عليه الأمصار والثوار موقفاً لجانب الخليفه تحسباً لما يطمح أن يصل إليه.

وإن الخليفه سجل هذا التوانى والتباطؤ على معاويه كما سننقله فى المروى عن أحداث كان يرقبها معاويه مبتعداً عنها ما وسعه ذلك، حتى إذا ما سقط الخليفه قتيلاً - نتيجة أفعال ولائه وسوء تصرفاتهم، وتوانى الخليفه عنها- علق معاويه قميصه على أعواد بدمشق حائناً أهله والشوام للطلب بثأره، وهم الذين قال معاويه عنهم: إنهم لا يميزون بين الناقه والجمل.

كتاب الخليفه

وكتب عثمان إلى أهل الشام عامه، وإلى معاويه وأهل دمشق خاصه: «أما بعد فإننى فى قوم طال فيهم مقامى، واستعجلوا القدر فى، وقد خيرونى بين أن يحملونى على شارف من الإبل إلى دخل. وبين أن أنزع لهم رداء الله الذى كسانى. وبين أن أقيدهم ممن قتلت، ومن كان على سلطان يخطئى ويصيب فياغوثاه ياغوثاه، ولا أمير عليكم دونى، فالعجل العجل يا معاويه، وأدرك ثم أدرك، وما أراك تدرى»(١).

لقد أرسل الخليفه عثمان بن عفان يستنجد معاويه ويطلب منه أن يجد السير ليخلصه ممن أحاط به، ولكنه أبطأ ودخل على الخليفه وترك جنده على بعد ما من المدينه، وأتى - معاويه - عثماناً؛ فقال له - عثمان - إنما أردت بذلك أن أقتل وتكون الطالب بثأرى؛ وفعلاً بعد عودته إلى جنده أتاه الناعى بمقتل الخليفه.

ص: ٩٨

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى، تحقيق شيرى: ١/٥٥.

إن معاويه لما وصله كتاب عثمان تريث في الإجابة والرد معتبراً أنه لن يستطيع رد ما قضاه الله، وإنَّ عثمان مقتول لا محاله، فلما أبطأ معاويه أرسل إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه عليهم فقام وسار إليه وتابعه ناس كثير حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا(١)؛ فليتأمل في هذا متأمل!!(٢).

ص: ٩٩

١- الامامه والسياسه: ١/٥٧ .

٢- انظر: تاريخ الطبرى : ١١٥/٥-١١٦.

عزمت عائشه على الحج، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام، وذلك أنه أخر عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات فغضبت، ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتك، وضيقت رعيتك، وسلطت الأشرار من أهل بيتك، لا سقاك الله الماء من فوقك، وحرمتك البركه من تحتك. أما والله، لولا الصلوات الخمس لمشى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبونك كما يذبح الجمل، فقال لها عثمان:

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} (١).

وكانت عائشه تحرض على قتل عثمان جهدها وطاقتها وتقول:

«أيها الناس، هذا قميص رسول الله - صلى الله عليه وآله - لم يبل وبلت سنته، اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً» (٢).

وقال مروان بن الحكم لها:

ص: ١٠٠

١- سورة التحريم الآية: ١٠.

٢- الاستغاثه، على بن أحمد الكوفي، وفاته عام ٣٥٢هـ-: ٢/٩، كشف الغمه، على ابن عيسى الاربلى: ٢/١٠٨، خرجه عن الفتوح، بتفاوت في الألفاظ.

«يا أمّ المؤمنين، لو أنّك قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس لكان أعظم لأجرِك، فقالت: الآن تقول هذا وقد أوجبت الحجّ على نفسي، لا والله لا أقمت (١)».

وفى تاريخ اليعقوبى: وصار مروان إلى عائشه فقال: يا أم المؤمنين! لو أقمت لأصلحت بين هذا الرجل و بين الناس؟

قالت: قد فرغت من جهازى، و انا اريد الحج. قال: فيدفع اليك بكل درهم انفقته درهمين، قالت: لعلك ترى أنى فى شك من صاحبك؟ أما والله لوددت أنه مقطع فى غره من غرائرى وأنى أطيق حملة فأطرحه فى البحر (٢).

وجعل مروان يتمثل بهذا البيت:

ضرم قيس على البلاد دما

إذا اضطرت يوم به أحجما

فقالت عائشه:

قد فهمت ما قلت يا مروان.

ثم إنَّها خرجت تريد مكّه، فلقبها ابن عيّاس فقالت له: يا ابن عباس، إنَّك قد أوتيت عقلاً وبيانا، فإياك أن تزد الناس عن قتل هذا الطاغى عثمان، فإننى أعلم أنه سيسأم قومه كما سأم أبو سفيان قومه يوم بدر. ثم تركت عثمان على ما هو فيه من الحصار والشده (٣).

ص: ١٠١

١- الفتوح: ٢/٤٢١. وانظر الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/٧٢. وتاريخ الطبرى: ٣/٤٤٧.

٢- تاريخ اليعقوبى: ٢/١٧٦.

٣- الفتوح: ٢/٤٢٢.

وإذا ما يسأل سائل عن إقرار أم المؤمنين وإصرارها في محاوراتها مع مروان وابن عباس أن لا يرد الناس عن الخليفة - وبتعبيرها الطاغية - والتي تفصح عن تحريض وأمر بالقتل؟ فهل يجد المسلم جواباً مقنعاً في خروجها تقود بينها في الجمل ضد الشرعيه أو ما ستقوله لابن أم كلاب فيما بعد، أم يشفيه ما يردده المؤرخون - وهو انحياز - وأهل الحديث والتراجم والسير؟ بأن ما كان من الصحابه في خروجهم - وبتعبير فقهي بغيهم على أمير المؤمنين - اجتهادات بين متأول أخطأ وآخر مصيب، ولكل أجر على قدر مشقته!!؟

وعند عوده عائشه من مكه بعد مقتل عثمان، لقيها عبيد ابن أم كلاب سألته عن حال عثمان والناس، فأخبرها بمقتله، وأن الناس قد بايعوا علياً، فقالت:

ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل عثمان والله مظلوماً، وأنا طالبه بدمه.

فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر! فقالت عائشه: قد والله قلت، وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله.

فقال عبيد: عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين، ثم قال:

منك البداء ومنك الغير

وأنت أمرت بقتل الامام

ومنك الرياح ومنك المطر

وقلت لنا أنه قد كفر

ص: ١٠٢

فهنا أطعناك في قتله

وقاتله عندنا من أمر(١)

وكان لعائشه موقف سابق آخر حول مقتل الرجل المصرى الذى قتله والى الخليفة بمصر عبد الله بن أبى سرح، وطلبت منه أن يقيم عليه الحد ويُصِفَ الناس لِمَا سفك من دم مسلم بغير حقّ.

إنّ هذه التدايعيات والمواقف المضطربه تُعد مظهراً لسياده الرأى وتغيب النص والتحاكم إلى الرأى دون المرجعيه الإسلاميه، وإنّ جملة من المأثور عن أمير المؤمنين بهذا الخصوص توضح أنّ تلك المواقف والتدايعيات وأن تسترت برداء الدين فهى تعبير عن ضغائن أو نفعيه وهدف مضمّر متجه نحو التسلط والسلطه..

الوليد بن عقبه والى الكوفه

عزل عثمان سعد بن أبى وقاص عن ولايه الكوفه وولى الوليد بن عقبه مكانه - وهو أخو عثمان لأُمّه - وقد أخذ عليه الناس سوء فعاله وشكوه للخليفه. ومنها:

١- صلّى الصبح أربعاً وسألهم إن أرادوا مزيداً.

٢- إدخاله لساحر يهودى إلى المسجد ليعمل له بعض الشعوذه والسحر وما إليها من أعمال الشيطان، وكان جماعه من أهل الكوفه حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيد بالرحمن من فعل الشيطان، ثمّ جرد سيفه وقتل اليهودى، وقال لليهودى: إنّ كنت صادقاً فى نفسك فأحى نفسك. فسجنه الوليد وأمر فى اليوم الثانى بقتله، وقد هزّبه السجان لِمَا رأى من صلاحه وعبادته،

ص: ١٠٣

١- الامامه والسياسه: ١/ ٥١ - ٥٢.

فقتل الوليد السجّان بدلاً عنه، فذهب وفد من الكوفة إلى الخليفة لشكايته وعزله (١).

سعيد بن العاص

ولاه الخليفة على الكوفة بعد عزل الوليد وإقامه الحدّ عليه لشربه الخمر، وكان قد أساء السيره فأخذ عليه الناس مأخذ، ثمّ طردوه من الكوفة وتولّى من بعده أبو موسى الأشعري باختيار أهل الكوفة.

ومن أفعال سعيد بن العاص وتصرفاته:

١- ضربه لهاشم بن عتبة المرقال وهو من خيار المسلمين، ثمّ إنّه حرق داره.

٢- لما كان بينه وبين جماعه من وجهاء الكوفة وخيارهم، ودعواه بأنّ (السواد كلّه بستان لقريش) فما نشاء منه أخذناه وما نشاء تركناه، ثم قال:

«ولو أنّ رجلاً قدّم فيه رجلاً لم ترجع إليه، أو قدّم فيه يداً لقطعتهما. فقال له الأشر: أنت تقول هذا أم غيرك؟»

فقال سعيد بن العاص: لا، بل أنا أقوله.

فقال الأشر: أتريد أن تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيافنا بستاناً لك ولقومك؟! والله، ما يصيبك من العراق إلاّ كما يصيب رجلاً من المسلمين (٢).

وتبرز هذه الحوارية جدل الرأى - يمثله والى الخليفة - والمرجع، الذى يتمثل فى

ص: ١٠٤

١- الفتوح: ٢/ ٣٨١، الكامل فى التاريخ: ٣/ ٤٢.

٢- تاريخ الطبرى: ٥/ ٣٢٨. الفتوح: ٢/ ٣٨٥.

محاوجه مالک الأشر الذي يستظل كلامه باستخدام المفهوم المرجعي تجاه الرأي المبتنى على أفضله قوم الخليفه وواليه على الكوفه غير المستند إلى النص. كما أن لمالك مركزاً وجاهاً يوازي، بل يضاهي - مع تجاوزات الوالي وخروجاته - ما لوالي الخليفه من سلطه وقوه ومركز في الكوفه وبين أهلها، ويظهر ذلك الأحداث التي تعقب هذه الحادته بإبعاد وطرده سعيد من الكوفه، وبالتالي يتولى أبو موسى الأشعري الكوفه لا باختيار الخليفه، بل بطلب ورغبه الكوفيين فيه بقياده الأشر.

وكان سعيد بن العاص قد أرسل إلى الخليفه كتاباً يتضح من خلال مصداق ما أشرنا إليه آنفاً:

«فإنني أخبر أمير المؤمنين أنني لا أملك من الكوفه شيئاً مع الأشر النخعي، ومعهم قوم يزعمون أنهم القراء وهم السفهاء».

وردّ عليه الخليفه: فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنك لا تملك من الكوفه شيئاً مع الأشر، ولعمري إنك تملك منها العريض الطويل، ثم أمره بنفيهم وتسييرهم إلى الشام(١).

ثم إن سعيداً ذهب إلى المدينه لمقابله الخليفه، وعند عودته خرج له جماعه من أهل الكوفه وطرده وأرسلوا للخليفه أن يجعل عليهم أبا موسى الأشعري، فوافق الخليفه - مكرهاً - وأقرّه على ولايه الكوفه بدلاً عن سعيد بن العاص(٢).

وإن الخليفه كتب إلى سعيد بن العاص بعد أن عاد الأشر ومن معه من الشام أن

ص: ١٠٥

١- تاريخ الطبري: ٣٢٢ / ٥.

٢- تاريخ الطبري: ٣٣٩ / ٥.

يسيرهم إلى حمص، وكتب إلى الأشتر: أما بعد، فإنني قد سيرتكم إلى حمص، فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها، فإنكم لستم تألون الإسلام وأهله شرّاً، والسلام.

فلما قرأ الأشتر الكتاب، قال:

«اللهم أسوأنا نظراً للرعية، وأعملنا فيهم بالمعصية، فعجل له النقمه»

وكان الذين سيرهم عثمان إلى حمص والشام من أشرف أهل العراق وخيار الصحابه، وهم: مالك بن الحرث الأشتر، وثابت بن قيس النخعي، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان العبدى، وصعصعه بن صوحان، وجندب بن زهير الغامدى، وجندب بن كعب الأزدي، وعروه بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي»(١).

سعد بن أبي وقاص وعثمان

لما بلغ فعل سعيد بن العاص بهاشم المرقال سعد بن أبي وقاص - وهو عم هاشم - غضب وأقبل ومعه وجوه المهاجرين إلى الخليفة، فقال:

«يا أمير المؤمنين، لماذا وثب عاملك سعيد بن العاص على ابن أخي هاشم فضربه وأحرق داره بالكوفة؟ والله، لا- برحت أو انتصفت منه أو لتكونن ههنا أشياء، فقال عثمان: اصنع ما بدا لك يا سعد، فوالله إنك لتعلم ما لى فى ذلك من ذنب!!!»(٢).

وقد تواترت الكتب على الخليفة من الأمصار، وهو على موقفه السابق من ولاته

ص: ١٠٦

١- تاريخ الطبرى: ٥ / ٣٣١-٣٣٢.

٢- الفتوح: ٢ / ٣٨٣-٣٨٤.

وعدم إنصاف الناس منهم أو عزلهم، ممّا ألبّ عليه الناس واجتمعت كلمتهم وموقفهم ضدّ ولاه الخليفة، حتّى تحوّلت تلك المواقف والأحداث ضد الخليفة نفسه، وهو لم يغيّر ولم يبدل ما أحدثه أو أحدثه ولاته، والناس كانوا يطمعون فى عدل وإنصاف الخليفة ولم يحظوا بذلك، ممّا دفع بالناس إلى الذهاب إلى المدينة والالتقاء بالصحابه طالبين منهم التوسّط لدى الخليفة ليغيّر مواقفه وسياسته ويعزل ولاته.

ص: ١٠٧

أرسل عثمان إلى جميع عمّاله فأشخصهم إليه من جميع البلاد ليشاورهم في أمره وما طُلب إليه، وما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده قال لهم:

«إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إليّ أنّ أعزل عمّالي، وأنّ أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا عليّ».

عبد الله بن عامر

رأى لك يا أمير المؤمنين أنّ تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأنّ تُجرّمهم - تحبسهم - في المغازي حتّى يذلوا لك، فلا يكون همّهم أحدهم إلّا نفسه وما هو فيه من دبره دابته وقمل فروه(١).

سعيد بن العاص

قال: لا- والله يا أمير المؤمنين، ما دعا الناس أنّ نقموا عليك إلّا- الحمام والفراغ، وذلك أنّ العرب اليوم جلست في المحافل وتحدّثت بالأحاديث، فاشغل العرب بالغزو وقاتل بهم العدو حتّى لا يرجع أحدهم، إذا رجع إلى من-زله قد أهمّته نفسه لا يتفرّغ لعيب الأمراء(٢).

ص: ١٠٨

١- تاريخ الطبري، (٨) مجلدات، مؤسسه الأعلمي - بيروت (بدون تاريخ): ٣/٣٧٣.

٢- الفتوح: ٢/ ٣٨٩.

إنَّ سعيد بن العاص قال لعثمان:

«إنَّ لكل قوم قاده متى تهلك تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر. أى أنَّه يشير على الخليفة بقتل خيار المسلمين ووجهائهم.

فقال عثمان: إنَّ هذا الرأى، لولا ما فيه!!!^(١)

عبد الله بن أبي سرح

قال:

«أرى يا أمير المؤمنين أنَّ الناس أهل طمع، فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم».

معاوية بن أبي سفيان

قال: «يا أمير المؤمنين، إنَّك قد جمعتنا وذكرت أنَّه قد كثرت الشكايات منَّا وأنت قد ملكتنا رقاب الناس وجعلتنا أوتاداً فى الأرض، فخذ كلَّ واحد منَّا بما يليه من عمله حتَّى نكفيك ما قبله، ولا يكون ههنا شكايه أحد ولا ينقم أحد عليك».

فأمر الخليفة عمَّاله بالعودة إلى ولاياتهم وأمصارهم، فلم يزدادوا على الناس إلاَّ - غلظه وحنقاً وجوراً فى الأحكام وعدولاً عن السنَّة^(٢).

وخرج أهل الكوفة على سعيد بن العاص بالسلاح فتلَّقوه فردوه^(٣).

ص: ١٠٩

١- تاريخ الطبرى: ٥/ ٣٤٠.

٢- الفتوح: ٢/ ٣٨٩.

٣- طبقات ابن سعد: ٥/ ٣٣.

وبالتأمل فى تلك الحوارات التى دارت بين الخليفة وولايته، لا- نجد إلا- تكريساً للرأى بوجهه المتعدده - استحسان، قياس، مصلحة الخليفة وولايته- غياب تحكيم النص «القرآن والسنة المباركة»، فلا الخليفة يذكر أو يُذكر، ولا فيهم مَنْ يحاول أن يتجه بالحوار إلى تخفيف شدة متجه الاجتماع لأنصاف الرعيه، فلم يرفع أحد من الحاضرين فيميل نحو حلّ فيه تراض أو تناصف فى المباحث المتنازع فيه بين الرعيه - الجور والتعسف- والفرقاء المتحدين.

فما الذى يأمل بعد ذلك فى سير الأحداث ومتجهها؟ فالنهايه المحتومه قررها الخليفة على نفسه وعلى رهطه فيما بعد، فمهد بذلك أن يكون كراهيه بنى أميه سمه للمسلمين كافه، وعلى وفق ذلك تُقرأ مآلات الأحداث والظواهر التى تكتنف المجتمع الإسلامى حتى سقوط الدوله الأمويه عام «١٣٢هـ-»، وما يؤول إليه أمر الرساله والأمه، من إبعاد لدورها، وتفكك الأمه وما ظهر فى الفضاء الإسلامى من تناحر وحروب مزقت وحده الأمه فتداعت عليها الأمم، ك- «تداعى الأكله على قصعتها»^(١)، وهونبوءه سابقه للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حدث بها صحابته، وهم شهود وفاعلين فى الحاليتين السماع منه صلى الله عليه وآله، وفى تجسماتها فى الواقع.

نموذج من كتب الأمصار إلى الخليفة

وهنا نورد قسماً من هذه الكتب ليّضح موقف أهل الأمصار من الولاة وعدم

ص: ١١٠

١- قال النبى لصحابته (ص): ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكله إلى قصعتها)). ميزان الاعتدال، الذهبى : ١٢ / ٢٩٥، ح ٣٧٩٢.

عدائهم للخليفة، ولم يكن في دواخلهم خروج عن الطاعة أو خلع لولايه الخليفه.

كتاب أهل الكوفه

اجتمع نفر من أهل الكوفه منهم: يزيد بن قيس الأرحبي، ومالك بن حبيب اليربوعي، وحجر بن عدى الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وزياى ابن حفيظه التميمي، وعبد الله بن الطفيل البكائي، وزياى بن النضر الحارثي، وكرام ابن الحضرمي المالكي، ومقل بن قيس الرياحي، وزياى بن حصن السُنبيسي، وسليمان بن صُيرد الخزاعي، والمسيب بن نجيه الفزاري، ورجال كثير من قرى أهل الكوفه ورؤساؤهم، فكتبوا إلى عثمان:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من الملاء المسلمين من أهل الكوفه. سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإننا كتبنا إليك هذا الكتاب نصيحه لك واعتذاراً وشفقه على هذه الأمة من الفرقه، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنه، وأن لك ناصراً ظالماً - أي الولاه - وناقماً - عامه المسلمين - عليك مظلوماً، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم اختلفت الكلمتان وتباين الفريقان، وحدثت أمور متفاقمه أنت جنيتهما بأحداقك.

يا عثمان، فاتق الله والزم سنّه الصالحين من قبلك، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفى صلحائنا، وقسم فيتنا بين أشرارنا، والاستبدال عنا واتخاذك بطانه من الطلقاء وابناء الطلقاء دوننا، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما فى كتابه وأنبت إليه وأحييت أهله وجانبت الشرّ وأهله، وكنت للضعفاء ورددت من نفيت منا، وكان القريب

والبعيد عندك في الحق سواء.

فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك، وقد بقي ما عليك من الحق، فإن تبت من هذه الأفاعيل نكون لك على الحق أنصاراً وأعاوناً، وإلا فلا تلوم نفسك، فإننا لن نصالحك على البدعه وترك السنه، ولن نجد عند الله عذراً أن تركنا أمره لطاعتك، ولن نعصى الله فيما يرضيك، هو أعز في أنفسنا وأجل من ذلك. نشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً، ونستعينه وكفى بالله ظهيراً، راجع الله بك إلى طاعته، يعصمك بتقواه من معصيته، والسلام(١).

كتاب كعب بن عبيده النهدي إلى الخليفة

وكان كعب من المتعبدين، ولما بلغه اجتماع القوم وإرسالهم كتاباً إلى الخليفة، قال:

«والله لأكتبن إلى عثمان كتاباً باسمي واسم أبي - وكعب هذا، كان أبو بكر أرسله إلى بني نهد في عند ردّتهم فأسلم منهم جماعه - بلغ من عنده ما بلغ! ثم كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من كعب بن عبيده.

أما بعد فإنني نذير لك من فتنه، متخوف عليك فراق هذه الأئمة، وذلك أنك قد نفيت خيارهم، ووليت أشرارهم، وقسمت فيأهم في عدوهم، واستأثرت بفضلهم، ومزقت كتابهم، وحميت قطر السماء ونبت الأرض، وحملت بني أبيك على رقاب الناس حتى قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم، ولعمري لئن فعلت ذلك فإنك تعلم

ص: ١١٢

أَنْتَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَتَكَرَّمْتَ فَإِنَّمَا مِنْ فِئْتِنَا وَبِلَادِنَا، وَاللَّهُ حَسْبِيكَ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، وَإِنْ أَنْتَ أَبَيْتَ وَلَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّمَا نَسْتَعِينُ اللَّهَ وَنَسْتَجِيرُهُ مِنْ ظَلَمِكَ لَنَا بِكَرِهِ وَعَشْيَا، وَالسَّلَامُ (١).

رسول أهل الكوفة والخليفة

أرسل الكوفيون وكعب بن عبيده كتبهم مع العن-زى، فقدم المدينة ودخل على الخليفة وسلّم عليه ثمّ ناوله الكتاب الأوّل - وعنده نفر من أهل المدينة- فلما قرأه عثمان ارتدّ لونه وتغيّر وجهه، ثمّ قال:

«من كتب إليّ هذا الكتاب؟»

فقال العنزى: كتبه إليك ناس من صلحاء أهل الكوفة وقرائها وأهل الدين والفضل.

قال عثمان: كذبت إنّما كتبه السفهاء وأهل البغى والحسد، فأخبرنى من هم؟

فقال العنزى: ما أنا بفاعل، فقال عثمان: إذن والله أوجع جنبك وأطيل حبسك.

فقال العنزى: والله، لقد جئتك وأنا أعلم أنّى لا أسلم منك.

فقال عثمان: جرّدوه!

فقال العنزى: وهذا كتاب آخر فاقراه قبل أنّ تجرّدنى، فقال عثمان: آت به، فناوله إيّاه، فلما قرأه قال: من كعب بن عبيده هذا؟ قال العنزى: إيه، قد نسب لك نفسه، قال عثمان: فمن أى قبيله هو؟ قال العنزى: ما أنا مخبرك عنه إلاّ ما أخبرك عن نفسه.

ص: ١١٣

فأمر عثمان بالعنزي فجردوه من ثيابه ليضرب.

فقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه: لماذا يُضرب هذا الرجل؟ إنّما هو رسول جاء بكتاب وأبلغك رساله حملها، فلم يجب عليه في هذا ضرب، فقال عثمان: أفترى أنّ أحبسه؟ قال: لا، ولا يجب عليه الحبس.

فخلّى سبيله وانصرف إلى الكوفه وأخبرهم بصنع عليّ رضوان الله عليه، فعجب أهل الكوفه من ذلك ودعوا لعليّ بخير وشكروه على فعله (١).

موقف الزبير وطلحه

أقبل طلحه والزبير حتّى دخلا على عثمان، ثمّ تقدّم الزبير إليه وقال:

«يا عثمان، ألم يكن في وصيه عمر بن الخطّاب أنّ لا تحمل آل بنى معيط على رقاب الناس إنّ وليت هذا الأمر؟ وقال أيضاً: ولم استعملت الوليد بن عقبه على الكوفه، ومعاويه على الشام؟ ثمّ قال للخليفة: لماذا تشتم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ولست بخيرهم؟ وما لك ولابن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه؟ وعمّار أمرت بضربه حتّى أصابه الفئق؟ وما لك ولأبى ذر حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله سيّرتّه حتّى مات غريباً طريداً؟

ثمّ قال الزبير: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرّقت بينهم؟

وكان الخليفة يردّ ويُعلّل ذلك بعلل وأسباب لا تنهض بأن يُفعل بأصحاب

ص: ١١٤

الرسول صلى الله عليه وآله - وخصوصاً الأخيار منهم هكذا، وليس للخليفة أن يولّى هؤلاء ويسلّطهم على رقاب المسلمين وقد أفسدوا وأحدثوا، فضلاً عمّا ورد في بعضهم عن الرسول صلى الله عليه وآله - من إهدار الدم واللعن.

ثم تكلم طلحة بن عبيد الله فقال:

«يا عثمان، إنّ الناس قد سفهوك وكرهوك لهذه البدع والأحداث التي أحدثتها ولم يكونوا يعهدونها، فإنّ تستقم فهو خير لك، وإنّ أبيت لم يكن أحد أضّرّ بذلك في الدنيا والآخرة منك.

فغضب عثمان ثم قال: ما تدعونى ولا تدعون عتبي، ما أحدثت حدثاً ولكنكم تفسدون علىّ الناس، هلّم يا ابن الحضرميّ (أم طلحة) ما هذه الأحداث التي أحدثت؟ فقال طلحة: إنّك قد كلمك علىّ من قبلي، فهلاًّ سألته عن هذه الأحوال التي أحدثت فيجيبك بها، ثم قام طلحة فخرج من عند عثمان.

وقد كان الامام على عليه السّلام قال للخليفة: يا عثمان، إنّ الحقّ ثقيلٌ مرٌّ وإنّ الباطل خفيف، وأنت رجل إذا صيدت رضيت وإذا كذبت سخطت، وقد بلغ الناس عنك أمور تركها خير لك من الإقامة عليها، فاتّق الله يا عثمان وتب إليه ممّا يكرهه الناس منك(١).

الوفد المصرى فى المدينة

وتزامناً مع طرد سعيد بن العاص من الكوفة، كان قد توجه من مصر جماعه من الوجهاء إلى المدينة يشكون عاملهم، ودخلوا المسجد النبوى فرأوا عدّه من المهاجرين

ص: ١١٥

والأنصار، وسألوهم عن الأمر الذى دعاهم للحضور، فقالوا: لقد جئنا استنكاراً لبعض الأعمال التى صدرت عن عاملنا.

وصيه الامام على عليه السلام للوفد المصرى

(لا تتعجلوا فى أمركم، واخبروا الامام بما تريدون مشافهه وقولوا: إن العامل - عبد الله بن أبى سرح - كان يفعل ما يشاء، بحسب رأيه وليس حسب أوامر الخليفة، واخبروه بكلّ الأمور التى تنكروها عليه. ثم هو - الخليفة - يعاتبه ويستدعيه فيحصل مطلوبكم. أمّا إذا لم ينكر عليه وتركه فى مكانه، حينئذٍ تأملوا فى وجه المصلحه وما يجب أن تفعلوه).

والتمسوه أن يكون شاهداً، فقال لهم:

إنّ هناك شاهداً أقوى منى سيكون معكم، وهو الله جلّ جلاله، فاذهبوا ودعوني(١).

وفى (تاريخ الطبرى) عن سيف وغيره أن أهل مصر خرجوا بزعم ودعوى الحجّ، وكاتبوا سواهم من كان فى الأمصار الأخرى حول إساءات ولاة عثمان(٢)، وفى (البدايه والنهايه)(٣) إنّ عثمان طلب من الامام على عليه السلام وبعض الصحابه أن يذهبوا إلى المصريّين ويردّوهم ويضمنوا لهم أنّ الخليفه سيلبى طلباتهم... إلى غير ذلك من

ص: ١١٦

١- الفتوح: ٥/ ٤٠٤.

٢- تاريخ الطبرى: ٣/٣٧٨، وما بعدها، طبعه الأعلمى (٨) مجلدات.

٣- البدايه والنهايه: ٧/ ١٧٧ - ١٧٨.

وربّما من خلال سياق الأحداث والمنقول التاريخي يستظهر أرجحيّته ما رواه ابن أعثم، وإنّ وفد المصريين جاء مطالباً بحقوق مشروعه، خصوصاً إذا ما يلاحظ المتابع مجريات الأحداث في الكوفة، وموقف الخليفة من أبي ذر وابن مسعود والمنفيين من الكوفة وغيرهم من الأخيار والصحابه والقراء.

وإنّ الخليفة أرسل إلى الامام عليّ عليه السّلام وطلب منه أن يلقى الوفد.

حوار الوفد مع الخليفة

ولخصّ المحاورون من الوفد طلباتهم في نقاط بعد أن وعظوا الخليفة ودعوه لشكر نعمه الله عليه ووجوب تقوى الله تعالى، وإنّهم جاءوا بسبب الأعمال الغير المرضيه التي صدرت من ولاته. والنقاط هي:

١ - إنّك قرّبت الحكم بن العاص وقد نفاه الرسول صلى الله عليه وآله إلى الطائف لاستهزائه بالرسول صلى الله عليه وآله.

٢ - إحراقك لأجزاء من المصحف.

٣ - احتجازك لماء المطر الذي هو رزق الله لعباده وإعطائه لأقربائك، ومنعت الناس منه.

٤ - نفيك لجماعه من الصحابه بغير حقّ من بلدهم وفصلهم عن أهلهم وعشيرتهم، بينما يقول الله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ} (١)

ص: ١١٧

٥ - إنَّكَ تطيع الناس ظاهراً ثمَّ تستبد برأيك، بينما حكم الشرع في حقِّ من يعصى الله بأن لا يطاع، فإنَّ أنت أطعت الله تعالى واتبعت أوامره فحن نطيعك ونتبع أوامرك ونعظّم حرمتك، كما هو الحال بين الولد وأبيه وأمه. وأمّا إذا رفضت الأفعال الحسنه واتبعت سيرك على هذا النحو فلن نطيعك ولن نُنفذ أوامرك وستكون العاقبه هلاكنا وهلاكك، فاتّق الله واعتقد بأنك عبد وستحاسب على النقيير والقطمير، والله مطلع على أحوال عباده وإليه سيرجعون جميعاً، وبمقدار سلطه الإنسان ومسؤوليته سيكون سؤاله، بينما سيكون حساب الضعفاء أقلَّ صعوبه (١).

٦ - طلبوا من الخليفه أن يقتصّ من ابن أبي سرح؛ لأنّه قتل رجلاً منهم بدون جرم وجنايه، ولم يقمّ الخليفه، وقد أشرنا إلى موقف عائشه من ذلك سابقاً.

موقف الخليفه من هذه الأحداث

١ - أرسل إلى عمّار بعض خواصّه، وطلب منه المصالحه أو أن يقتصّ منه، فأبى عمّار وصاح في وجوه الموفدين من طرف عثمان: لن يخذعني عثمان، وقد فعل ما فعله بي من الضرب والإهانه. كما عزم الخليفه على نفيه - كما أشرنا سابقاً - لولا موقف الامام عليّ عليه السّلام وبنى مخزوم.

٢ - أرسل الخليفه إلى عبد الله بن عمر يستشيره في أمر القوم واجتماعهم وما يريدونه من خلع الخليفه.

فقال عبد الله بن عمر: إنَّ تطعمهم فإنَّك تعلم أنّك لست خالداً في الدنيا.

ص: ١١٨

١- الفتوح: ٢ / ٤٠٥.

قال: أعلم ومهما عشت فلا بد أن أذهب.

فقال عبد الله: هل الجنة والنار بيدهم أم لا؟

فقال عثمان: لا (١).

فقال عبد الله بن عمر: فلا أرى أن تسنَّ هذه السنَّة في الإسلام (٢). احفظ القميص الذي ألبسك الله إياه ولا تنزعه!!

الخليفة والامام على عليه السلام

أرسل الخليفة إلى عليّ فدعاه، فلما جاءه

قال: يا أبا الحسن، إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، كان منى ما قد علمت، وليست آمنهم على قتلى، فارددهم عنى، فإنّ لهم الله عزّ وجلّ أن أعتبهم - أعطيتهم الرضا - من كلّ ما يكرهون، وأنّ أعطيتهم الحقّ من نفسى ومن غيرى وإنّ كان فى ذلك سفك دمي.

فقال له عليّ: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وقد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء، فلا تغزنى هذه المرّة من شيء فأنى معطيهم عليك الحقّ.

قال عثمان: نعم، فاعطهم، فوالله لأفينّ لهم.

فخرج عليّ إلى الناس، فقال: أيها الناس، إنكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، وإنّ عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره.

ص: ١١٩

١- الفتوح: ٢/ ٤٠٨-٤٠٩.

٢- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣/ ٦٦.

قال الناس: قد قبلنا، فاستوثق منه لنا(١).

وطلب عثمان من الامام علي عليه السلام أن يضرب بينه وبينهم أجلاً يكون فيه مهلة؛ لأن الخليفة لا يقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد.

فقال له علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك(٢).

فمطالب المسلمين لم تكن وليده هذه اللحظة وحضورهم المدينة، بل قد سبق ذلك رسائل وكتب ووفود إلى الخليفة والصحابه؛ لذا كان رد الامام عليه السلام أنه من حضر فلا أجل فيه، ومن غاب فأجله وصول أمرك.

وفي (الفتوح) إن الامام علياً عليه السلام ومعه وجوه القوم وأشرفهم دخلوا على الخليفة وطلبوا منه أن يكتب بذلك كتاباً.

فقال عثمان:

اكتبوا ما أحببتهم وادخلوا في هذا الضمان من أردتم، فكتبوا:

(بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله عثمان بن عفان أمير المؤمنين لجميع من نقم عليه من أهل البصره والكوفه وأهل مصر، أن لكم علي أن أعمل فيكم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وأن المحروم يعطى والخائف يؤمن والمنفى يرد، وأن المال يرد على أهل الحقوق، وأن يعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أهل مصر ويولى عليهم من يرضون).

فقال أهل مصر: نريد أن تولى علينا محمد بن أبي بكر، فقال

ص: ١٢٠

١- الطبري: ٥/ ٣٨١-٣٨٢.

٢- تاريخ الطبري: ٥/ ٣٨٢.

عثمان: لكم ذلك، ثم أثبتوا في الكتاب: «وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ضَمِينٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ لَهُمْ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، شَهِدَ عَلِيٌّ ذَلِكَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَيْدِ اللَّهِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ. وَكُتِبَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ»(١).

توليه محمد بن أبي بكر

وولّى عثمان محمّداً بن أبي بكر بدلاً من عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وخرج الوفد إلى مصر ومعهم كتاب الخليفة، وأميرهم معهم، حتّى إذا كانوا على مسيره ثلاثه أيام من

المدينه، وإذا هم بغلام أسود على بعير له يخبط خبطاً عنيفاً فقالوا:

«يا هذا، أربع قليلاً، ما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب، من أنت؟»

قال: أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر، فقال له رجل منهم: يا هذا، فإنّ عامل مصر معنا، فقال: ليس هذا الذى أريد، فقال لهم محمّد بن أبي بكر: أنزلوه عن البعير، فحطّوه، فقال له محمّد: أصدقنى، غلام من أنت؟ قال: أنا غلام أمير المؤمنين - وفى روايه يقول: مرّه أنا غلام أمير المؤمنين، ومرّه غلام مروان(٢)-، قال: فإلى من أرسلت؟ قال: إلى عبد الله بن سعد عامل مصر، قال: وبماذا أرسلت؟ قال: برساله، قال محمّد بن أبي بكر: أسمعك كتاب؟ قال: لا.

ففتشوا رحله ومتاعه ونزعوا ثيابه حتّى عروه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت على راحلته إدواه فيها ماء فحرّكوها فإذا فيها شيء يقلقل،

ص: ١٢١

١- الفتوح: ٢/ ٤١١.

٢- العقد الفريد: ٤/ ٢٨٨.

فحزّ كوه ليخرج فلم يخرج، فقال كنانة بن بشر التجيبي: والله، إن نفسي لتحدّثني أنّ في هذه الإِدْوَاهِ كتاباً، فقال أصحابه: ويحك، ويكون كتاب في الماء؟

قال: إنّ الناس لهم حيل، فشقّوا الإِدْوَاهِ فإذا فيها قاروره مختومه بشمع، وفي جوف القاروره كتاب، فكسروا القاروره وأخرجوا الكتاب فقرأه محمّد بن أبي بكر^(١).

نصّ كتاب الخليفة إلى والي مصر

(بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان بن عفّان أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد.

أمّا بعد: فإذا قدم عليك عمرو بن يزيد بن ورقاء فاضرب عنقه صبراً. وأمّا علقمه بن عديس البلوي وكنانه بن بشر التجيبي وعروه بن سهم الليثي فاقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ودعهم يتشحطون في دمائهم حتّى يموتوا، فإذا ماتوا فاصلبهم على جذوع النخل. وأمّا محمّد بن أبي بكر فلا يُقبل منه كتابه، وشدّ يدك به واحتل في قتله، وقرّ على عملك حتّى يأتيك أمرى إن شاء الله تعالى^(٢).

أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والكتاب

ولمّا قدم محمّد ومن معه إلى المدينة جمع أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله - وقرأ عليهم الكتاب وأخبرهم بقصّته، فلم يبقَ بالمدينة أحد إلاّ حنق على عثمان، واشتدّ حنق بنى

ص: ١٢٢

١- تاريخ الطبري: ٥/ ٣٨٣. الفتوح: ٢/ ٤١١.

٢- الفتوح: ٢/ ٤١٢.

هذيل خاصه عليه لأجل صاحبهم عبد الله بن مسعود، وهاجت بنو مخزوم لأجل عمّار بن ياسر، وكذا غفار لأجل أبي ذر رضوان الله عليه.

ثم ذهب القوم إلى الخليفة فقالوا:

(ألم نفارقك على أنك زعمت أنك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟

قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ قال: ما فعلت ولا لى علم بما تقولون! قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه ختمك، قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فانتقش عليه.

قالوا: لا- نعجل عليك، وإن كنا قد اتهمناك، اعزل عنّا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دماننا وأموالنا، واردة علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أرانى إذن فى شىء إن كنت أستعمل من هويتهم وأعزل من كرهتم، الأمر إذن أمركم!

قالوا: والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. فحصره أربعين ليلة(١).

ثم إن الناس:

(سألوا عثمان أن يدفع لهم مروان، فأبى، قالوا: لا نبرئ عثمان إلا أن يدفع لنا مروان حتى نمتحنه ونعرف أمر الكتاب، فإن يك عثمان

ص: ١٢٣

كتبه عزلناه، وإن يك مروان كتبه على لسانه نظرنا في الأمر(١).

الخليفة يطلب النصرة

ولمّا أحسّ الخليفة أنّ الناس ليسوا بتاركيه أو يخلع نفسه أو يسلم مروان ويعزل ولاته، أرسل إلى عمّاله يستحثّهم على القدوم إلى المدينة ومناصرته وتخليصه ممّا هو فيه من الحصار، وتآزر المهاجرون والأنصار والمسلمون من مختلف الأمصار ضده، فكتب إلى ولاته نسخه واحده.

ص: ١٢٤

١- العقد الفريد: ٢٨٩ / ٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

«أما بعد: فإن أهل البغي والسفه والجهل والعدوان من أهل الكوفه وأهل مصر وأهل المدينة قد أحاطوا بداري، ولم يرضهم شيء دون قتلى أو خلعي سربالاً سربلنيه ربّي، ألا- وأتني ملائق ربّي، فأعني برجال ذوى نجاهه ورأى، فلعل ربّي يدفع بهم عنّي بغي هؤلاء الظالمين الباغين عليّ والسلام»^(١).

موقف ولاه الخليفة

ولمّا بلغ كتاب الخليفة إلى ولاته كانت مواقفهم متفاوتة في الجدلّ تجاه إنقاذ الخليفة ونصرته، واختلفت المرويّات وتباينت في هذا الاتجاه.

معاوية بن أبي سفيان

جاء معاوية بكتاب الخليفة المسوّر بن مخرمه، فقرأه ثمّ قال: يا معاوية، إنّ عثمان مقتول فانظر فيما كتبت به إليه، فقال معاوية: (يا مسور، إنّى مصرح أنّ عثمان بدأ فعمل بما يحبّ الله ويرضاه، ثمّ غيّر فغيّر الله عليه، أفيتهاً لى أنّ أرد ما غيّر الله عزّ وجلّ)^(٢).

ص: ١٢٥

١- الفتوح: ٢/٤١٦.

٢- الفتوح: ٢/٤١٧.

إن معاويه لمّا أتاه كتاب عثمان تربّص به، فأرسل عثمان إلى يزيد بن أسد ابن كرز البجلي وبأهل الشام يستغيث بهم، فاستنفر الناس وندبهم، ولما وصلوا إلى وادي القرى جاءهم خير مقتل عثمان فرجعوا(١).

وأما عبد الله بن عامر والي البصره فإنّه لمّا أتاه كتاب عثمان قرأه على أهل البصره واستحثّهم لنجدته، ولكنّ لم يجبه أحد. وروى غير ذلك.

عمرو بن العاص والخليفه

دخل عمرو بن العاص على عثمان مسلماً، فقال له عثمان: يا بن العاص، وأنت أيضاً ممّن تولّيت على الناس فيما بلغني، وتسعى في الساعين عليّ حتّى قد أضرمتها وأسعتها، ثمّ تدخل مسلماً عليّ!!

فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، إنّهُ لا خير لي في جوارك بعد هذا، ثمّ خرج من ساعته حتّى نزل بأرض فلسطين(٢)، وكان يقول: كنت أحرض على الخليفه الراعي في غنمه والمار. وكان والياً على مصر وعزله عثمان وولّى مكانه عبد الله بن أبي سرح.

موقف الامام على عليه السلام

كان للامام عليه السلام دور بارز في الأحداث، خصوصاً عندما قدمت وفود الأمصار، وما كان من إحدائات أحدثها الخليفه وولاته؛ فكان الوسيط ومتكلم القوم وناقل مطالبهم للخليفه، وضمين الخليفه أنّ ينصف القوم ويفي لهم بما نقموا عليه. وقد دخل

ص: ١٢٦

١- تاريخ الطبري: ٣/٤٠٢، طبع دار الأعلمي ((٨ مجلدات)).

٢- الفتوح: ٢/٤١٧ - ٤١٨.

الامام عليه السلام مرّه على الخليفه وقال له:

(إنّ الناس ورائى، وقد استسفرونى بينك وبينهم، ووالله ما أدرى ما أقول لك، ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على شىء لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شىء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشىء فنبلغك، وقد رأيت ورأينا، وصحبت رسول الله - صلى الله عليه وآله - كما صحبنا، وما ابن أبى قحافه ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجه رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله فى نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإنّ الطريق لواضح، وإنّ أعلام الدين لقائم، وإنّ السنن لتيره لها أعلام، وإنّ البدع لظاهره لها أعلام.

وإنّ شرّ الناس عند الله امام جائر ضلّ وضلّ به، فأما سنّه مأخوذه وأحيا بدعه متروكه، وإنّى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول:

«يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، يلقي فى نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يربط فى قعرها». وإنّى أنشدك الله أن لا تكون امام هذه الأمه المقتول، فإنّه كان يقال: يُقتل فى هذه الأمه امام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمرها عليها، ويثبت الفتن فيها فلا- يبصرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، فلا تكوننّ لمروان سيقه يسوقك حيث شاء بعد جلال السنّ وتقضى العمر(1).

وكان الامام على عليه السلام قد استأذن عثمان فى الخروج من المدينه إلى (ينبع) فأذن له،

ص: ١٢٧

١- نهج البلاغه، محمّد عبده: ٣٠٣/١ - ٣٠٤.

ثم أرسل إليه عثمان أن يعود إلى المدينة، فعاد الامام عليه السّلام، ثم أرسل إليه ابن عباس أن يخرج من المدينة فقال الامام عليه السّلام لابن عباس:

«يا بن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالقرب، أقبل وأدبر، بعث إليّ أن اخرج، ثم بعث إليّ أن اقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن اخرج، والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً»^(١).

ويقول الامام عليه السّلام في أماكن أخرى موضّحاً موقفه إزاء عثمان والأحداث:

«و كنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعابته وأقلّ عتابه»^(٢).

وفي مكان آخر يقول عليه السّلام:

«فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملوم لا ذنب له»^(٣).

ثم يقول عليه السّلام:

«لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً... وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الإثره، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله حكم واقع في المستأثر والجازع»^(٤).

وقد صوّر الامام عليه السّلام الواقع والظروف الموضوعيّة التي كانت سائده قبل مقتل

ص: ١٢٨

١- نهج البلاغه: ١/ ٤٦٧.

٢- نهج البلاغه: ٢/ ٢.

٣- نهج البلاغه: ٢/ ٣٤.

٤- نهج البلاغه: ١/ ٧٦.

الخليفه، بقوله عليه السّلام:

واضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدّل نعمه الله كفراً.

وعندما منع طلحه - أثناء حصار عثمان - وسواه من وصول الماء إلى الخليفة، كان الامام عليه السّلام قد أرسل ثلاث قُرب، وأرسل الحسن والحسين، عليهما السّلام يدافعان عن الخليفة (١). وقد اشتد حصار المسلمين على عثمان، وهو لا يعطى من نفسه شيئاً، ممّا اضطرّ المحاصرون إلى تسوّر داره وقتله.

واختلفت الروايات فيمن باشر قتله، وفي أيّام معاويه والأمويين، كان كلّ معارض يقع في أيديهم يتهمونه بقتل الخليفة أو المشاركة في قتله.

وبقى الخليفة ثلاثة أيّام لم يُدفن، ومنعواهم أن يدفنوه في البقيع، ودفن في (حش كوكب) ويقال: إنّها مقبره لليهود، وقد دفن ليلاً وقد قُتل لثمانى عشره ليله مضت من ذى الحجّه سنه خمس وثلاثين (٢).

ص: ١٢٩

١- تاريخ الطبرى : ٣/٤١٧، طبعه مؤسسه الأعلمي، بيروت، لبنان، روى أن الامام (ع) جاء بنفسه ليوصل إليه الماء. وانظر : غيره من التواريخ، أحداث عام ٣٥هـ -

٢- تاريخ الطبرى : ٥/ ٤٣٢ و ٤٣٥، الفتوح : ٢/٤٣٦.

الفصل الثالث

اشاره

ص: ١٣٠

بيعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

«لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتَكُمْ إِلَّا يَ فَلْتَهُ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِهِنَّ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَإِيْمَ اللهُ لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ، وَلَا تُؤَدِّنَ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا».

الامام علي عليه السلام.

ص: ١٣٢

لغه: خلف فلان خلافاً إذا كان خليفته، يقال: خلفه في قومه، وفي التن-زيل العزيز: {وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي} (١)، واستخلفه جعله خليفه.

والخليفة الذي يُستخلف من سابقه..

والخلافة: الإمارة، ويستدل الزجاج بقوله تعالى: {يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض} (٢) على جواز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه (٣).

ويرى الماوردي: هي موضوع خلافة النبي صلى الله عليه وآله في أمور الدين والدنيا.

أما ابن خلدون فيقول هي: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن الشرع في حراسه الدين وسياسه الدنيا (٤).

ص: ١٣٣

١- الأعراف: ١٤٢.

٢- سورة ص: ٢٦.

٣- لسان العرب، ابن منظور: ١٨٢/٤-١٨٣.

٤- مقدمه ابن خلدون: ١٦٦.

وإن الخلافة هي: المؤسسه السياسيه التي «أسست ونمت في الظروف الاجتماعيه والسياسيه- القبليه - التي وجدت فيها»(١).

و يجد القارئ للتاريخ الإسلامى أنّ اعتراضاً سجله الامام على عليه السلام لما أرادوا إكراهه على بيعه أبى بكر؛ حين قال له عمر: بايع أو ادخل فيما دخل فيه الناس؛ فقال الامام عليه السلام: أنتم أحق بالبيعه لى، وأنا أحق منكم بهذا الأمر(٢).

فكانت الخلافه وفقاً لذلك بادره اجتهاديه من قبل بعض الصحابه؛ فلم يرد نص قرآنى ولا- مؤيد من السنه الشريفه على استخلاف أى من الخلفاء الثلاثه - أبى بكر وعمر وعثمان- فضلاً عن عدم احتجاج أى منهم بما ورد فى حقه ليعول عليه فى أحقيته بالخلافه؛ لا فى السقيفه، ولا فيما بعد أى فى الشورى(٣).

إن الحديث عن بيعه الامام على عليه السلام يستدعى البحث عن الكيفيه التي تمت بها البيعه، وكيفيه انتقال الخلافه إليه، ومن ثم التعرف على الأسباب التي أدت إلى أن تؤول الخلافه إليه دون سواه، ولم يزل من جيل الصحابه الأول بقيه؟ وإن ثمة تساؤلاً يثار عن الأسباب التي أدت إلى مقتل الخليفه الثالث؟ وبعيده، يقال: أيضاً ما هو موقف الصحابه وأهل المدينه من الخليفه المقتول؟ إلى استفهامات كثيره متجه أو غير إتجاهيه فى الوقت ذاته.

ص: ١٣٤

١- نظام الحكم فى الاسلام، د. محمد النبهان : ٤٢٩.

٢- انظر: الامامه والسياسه: ١/٢٩.

٣- يراجع : تاريخ الطبرى: ٢/٤٤٥ «السقيفه»، وما بعدها و ٣/٢٩٢، وما بعدها «قصه الشورى».

وقد اختلف السلف من أهل السير والأخبار في كيفية بيعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً: أن يتقلد لهم وللمسلمين، فأبى عليهم، فلما أبوا وطلبوا إليه تقلد ذلك لهم (١).

وفي روايه ابن أعثم، إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه خرج إلى السوق وكان ذلك لثمانى عشره ليله خلت من ذى الحجه فاتبعه الناس حتى إذا دخل فى حائط - بستان - وأمر أن تغلق الباب؛ فدخل عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون وألحوا عليه بقبول البيعه، فبايعه طلحه ومن ثم الزبير بن العوام، ثم بايعه الناس (٢)؛ فكانت بيعه الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام فى ١٨ / ذى الحجه / من عام ٣٥ هـ، وتكون بيعته وفقاً لروايه فى تاريخ الطبرى فى نفس اليوم الذى قتل فيه عثمان (٣). وهو الأرجح والأشهر ول-ه مدعمات وقرائن مرويه بطرق متعدده (٤)، فعن ابن عباس أنه شهد مقتل الخليفه بعدما أدى مناسك الحج وعاد إلى المدينه بعد خمسه أيام. وكذا أن عبد الرحمن بن عديس (٥) قد أنهى حجه وعاد إلى المدينه بعد إن أدى مناسك الحج.

ص: ١٣٥

١- تاريخ الطبرى: ٣/٤٥٠.

٢- الفتوح: ٢/٣٨١.

٣- تاريخ الطبرى: ٣/٤٢٢.

٤- الفتوح، ابن أعثم الكوفى: ٢/٣٨٢، تاريخ الطبرى: ٣/٤٢٣، وما بعدها.

٥- عبد الرحمن بن عديس صحابى، وممن بايع تحت الشجره، وهو الأرجح وفقاً للقرائن والمقارنه بين النصوص فى المصادر الثلاثه، وغيرها من المصادر، انظر: كتاب السنه، عمرو بن أبى عاصم الضحاك، وفاته عام ٢٧٨ هـ، المكتب الاسلامى، بيروت، ط ٣، ١٤١٣ هـ، المصنف، ابن أبى شيبه، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٩ هـ: ٧/٤٩٢. أبو الشموس عبد الرحمن ابن عديس البلوى؛ ولم تزد المصادر على ذكر اسمه واسم أبيه ولقبه. انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٧/ ٥٠٩. الجرح والتعديل الرازى وفاته عام (٣٢٧) دار إحياء التراث، الطبعة الأولى: ١٣٧٢: ٥/٢٤٨

وتمت بيعه الامام عليه السلام بُعيد مقتل عثمان بن عفان. قد عم الاستياء وكرهه سلوكك ولاه عثمان، لما كان منهم من مواقف تجاه العامه والخاصه، ولما أحدثوا من أمور تنافى مبادئ الإسلام، وإن الخليفه لم يتخذ موقفاً حازماً تجاه ما جرى ويجرى باسمه، ولم يأخذ بنظر الاعتبار ما عم المسلمين فى الأمصار من ولاته، ولم يكن الموقف الأخير من قبل وفود الأمصار وأهل المدينه غير متوقع حيث آل الأمر إلى مقتل الخليفه، بل الأحداث السابقه والممتده لفتهه ليست بالقصيره كانت تُنبئ بما حصل، والمتابع لتأريخ هذه الفتره الزمنيه يجد أن موقف الأمصار و أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله من مهاجرين و أنصار تجاه خلافه ثالث الخلفاء قد اتخذ مراحل هى:

التنبيه والشكايه أما مباشره أو برساله ترسل إلى الخليفه، ينقلها إليه أحد صحابه الرسول صلى الله عليه وآله.

مراجعته كبار الصحابه للخليفه حول ما أحدثه ولاته، وحول موقفه المتأني منهم.

رفض عام للولاه الأمويين من قبل المسلمين عامه والصحابه خاصه.

طرد بعض الولاه لعدم اتخاذ الخليفه منهم موقفاً واضحاً كما فى الموقف من سعيد بن العاص والى الكوفه.

إرسال الأمصار وفود إلى الخليفه، حتى روى إنه بلغ تعداد بعض الوفود أربعمائته

شخصاً وأخرى بلغ الألف، وليس للخليفة موقف تجاه ما يجرى.

وكان آخر مطلب أجمع وأجتمع عليه أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون فى الأمصار، الاقتصاص من عبد الله بن أبى سرح، وتسليم مروان بن الحكم.

فكانت تلك الخطوات التى اتبعها المسلمون من الأمصار المختلفه وكذا المهاجرون والأنصار. ولكن الموقف السلبى من قبل الولاة تجاه المسلمين وتعسفهم وجورهم وعدم حزم الخليفة تجاه هذه الأمور أدى أخيراً إلى ثوره كان مقتل الخليفة إحدى نتائجها الأولى.

ص: ١٣٧

كان للامام على عليه السلام موقف خاص تجاه الخلافه والبيعه، وبه تفسر كثير من الشكالات التي تثار في هذا المنحى؛ لذا نجده لم يبادر إلى قبول ما دعاه إليه - تولى الأمر بلا شرط - الصحابه والمسلمون الذين اجتمعوا من مختلف الأمصار الإسلاميه؛ والذين توجهوا إليه بعد مقتل عثمان واضطراب الوضع في المدينه. وكان الامام على عليه السلام يستشرف مستقبل الناس إزاء الأحداث والظواهر التي ستكتنف المجتمع الإسلامى، ويرى أن الأمور التي ستتوالى، أمور ليس من السهل التفاعل معها والانتهاه إلى قول فصل فيها، لان العقول والنفوس دون أن تكون بمستواها ولا يطيقها إلا الذى مُلئ إيماناً إلى مشاشه(١)، أو إلا الذى سمع أن عماراً مائز حق وقتله الفئه الباغيه، ولا يطاوع الشرعيه حتى يرى عماراً قد خضب بدم الشهاده؛ فيستل سيفه آنئذ ويصطف إلى جنب على بن أبى طالب عليه السلام، ويكون الزمن دار دورته. فهى إذن تحتاج

ص: ١٣٨

١- قال الرسول الأ-عظم (ص): «عمار ملئ إيماناً إلى مشاشه»، و عن عائشه «إن عمار ابن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحه أذنه إيماناً»، المصنف، ابن أبى شيبه: ٥٢٢، البدايه و النهايه، ابن كثير: ٣٤٥ / ٧، على التوالى.

إلى طاعه وانقياد، وإنَّ الرأى والاجتهاد واللجاهه تؤدى قطعاً إلى الفرقه والتشردم والتكتل النفعى، هكذا كان الموروث الذى تجذر خلال حكم الخليفه الثالث. وما تنبأ به على كان واقعاً حياً يوم شد المصحف المرفوع الناس إليه، فبنى مستقبل الأمه والإسلام على الرأى والقياس الذى عمل به الحكمان وجعلا المصحف خلف ظهريهما.

ص: ١٣٩

ولما تولى أمير المؤمنين عليه السلام زمام الأمور بعد أن تمت له البيعة بأغلبية المهاجرين والأنصار بدرين وعقبين تهباً للذهاب إلى الكوفة (١) معداً العدة لبناء قاعده ومركز ينطلق منه للخارجين عليه (القاسطين) (٢)، ومن امتنع عن الالتحاق بالجماعه ويعمل على شقها. ولما يخرج بعد من المدينه أته رسائل من أخيار أهل مكه والمدينه، تنبهه إلى خروج عائشه وطلحه والزبير إلى البصره طالبين بدم عثمان الذى ما جرأ الناس عليه إلا هم، كما ثبت ذلك من حوارات الأحنف بن قيس، وعمرو بن سعيد مع عائشه ومروان وهم فى الطريق إلى البصره، فحين سأل سعيد مروان عن مقصده فقال: للطلب بدم عثمان، فقال سعيد: هؤلاء قتلته على أعجاز الإبل مشيراً إلى قاده حرب الجمل، فضلاً عما دار من نقاشات أخرى مع شخصيات بصرية أو من الصحابه مع طلحه والزبير، وأم المؤمنين عائشه، فضلاً عما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فى كتبه ورسائله

ص: ١٤٠

-
- ١- الامامه والسياسه، ١/٥٣. وفيه، أتاه كتاب أخيه عقيل، وفى المصادر الأخرى، أته رساله من أم سلمه، وأخرى من أم الفضل- زوج العباس بن عبد المطلب- انظر الأخبار الطوال، فيما يتعلق بهذا المطلب «وقعه الجمل» أيضاً.
 - ٢- معاويه ومن معه، فقد أطلق عليهم النبي (ص) هذا الاصطلاح.

وحواراته من اتهام أصحاب الجمل بقتل الخليفة(١).

ولابد من التنبيه إلى موقف الامام عليه السّلام من المبايعين والبيعه: لما هرع المسلمون إليه، وإزدحموا عليه وبسطوا يده فقبضها وسحبوها فأمسكها؛ قال لهم: إن أجبتمكم حملتكم على ما أعلم؛ فإننا مستقبلون أمراً لا تحمله العقول ولا تقوم له القلوب، أى أن الامام عليه السّلام أدرك ما سيواجهه من أحداث يصعب على غير الواعى لمبادئ الرساله النهوض والثبات أن يتحملها، وأن يجد فى دخيلته المبرر الشرعى لقتال زوج الرسول (عائشه) وصاحب السيف الذى طالما أجلى الكرب عن وجه الرسول صلى الله عليه وآله، أو من قطع إصبعه فى معركة كان النصر فيها للرساله الإسلاميه.

لذا كان الامام عليه السّلام يرسم لهم منهجه وطريقته فى التعامل مع أحداث سيلدها ظرفها لا يعلمها إلا قليل، ولا يتجاوزها مفلحاً إلا قليل؛ {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} (٢).

وفعللاً كان ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السّلام، والذى كان يرى أن [عدم قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين؛ كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله]. وإن النبى صلى الله عليه وآله هو الذى قال له: تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل. وهو أيضاً الذى أمره وبعض أصحابه على قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد جاء ذلك فى حديث عمار بن ياسر، وأبى أيوب الأنصارى، وأبى سعيد الخدرى، وحديث على نفسه. ومن المدعمات الروائيه، والنقليه، عن الرسول صلى الله عليه وآله: روى ابن عباس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: (ليت شعرى أيتكن صاحبه الجمل الأريب تسير حتى تنبجها كلاب

ص: ١٤١

١- تاريخ الطبرى : أحداث عام «٣٦هـ-»، «وقعه الجمل».

٢- سوره ص الآيه: ٢٤.

الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»(١).

وعن أبي سعيد الخدرى قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع على بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر، ونقل بألفاظ مختلفه وطرق متعدده. وعن أبي سعيد الخدرى به وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث داود بن أبى هند والقاسم بن الفضل وقتاده عن أبى نضره عن أبى سعيد قال: قال رسول الله: تمرق مارقه عند فرقه المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق(٢).

ص: ١٤٢

-
- ١- علل بن أبى حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران الرازى أبو محمد، وفاه المؤلف ٣٢٧، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفه، بيروت، ١٤٠٥: ٢/٤٢٦، البدايه والنهائيه، ابن كثير: ٦/٢١٨.
 - ٢- البدايه والنهائيه : ٦/٢١٦.

«أمر فيه السيف لا أعرفه».

أتى عمار بن ياسر أمير المؤمنين عليه السّلام بعدما تمت البيعه له يستأذنه الذهاب إلى عبد الله بن عمر، فإن عبد الله ممن تخلف عن البيعه فلم يمانعه الامام عليه السّلام وأذن له بلقائه، وكان عمار يطمع فيه أن يخف معهم لقتال الناكثين والخارجين على الشرعيه، فقد عُرف عن ابن عمر قوله «يرى أن لا يبيت إلا وفي عنقه بيعه»، وعليه أحتج بهذا معاويه يوم طلب من عبد الله بن عمر أن يبايع ليزيد ابنه، إلا أن ذلك غاب عن ذهن عبد الله في يوم على وذكره «لورعه» فذهب لمبايعه الحجاج، وابن عمر يرى علماً أحق أهل الشورى بالخلافه؛ وفي ذلك العجب العجيب.

عمار بن ياسر: يا أبا عبد الرحمن - يخاطب ابن عمر- إن المهاجرين والأنصار قد بايعوا علماً. وإن فضلنا عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاه، وقد علمت أن على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالحجاره، وإنّ علماً لم يقتل أحداً من أهل الصلاه؛ فيلزمه حكم القاتل.

فقال ابن عمر:

يا أبا اليقضان، إن أبي جمع أهل الشورى، الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، فكان أحقهم بها علي، غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن ما أحب أن لى الدنيا وما عليها وأنى أظهرت أو أضمرت عداوه علي؟
فأنصرف عنه عمار(١).

الدلالة الأولى

لابد للإنسان المسلم من بيعه فى عنقه، بهذه بايع ابن عمر الحجاج الثقفى، وهى داله أخرى على موقف قريش من بيعه على ابن أبى طالب عليه السلام.

الدلالة الثانية

إن أحق أهل الشورى بها على بن أبى طالب عليه السلام، فلم إذن لم يبايعه ابن عمر، وفيها داله؛ إنَّ علياً لم يكره أحد على بيعته، فليأمل فيما نسبه التاريخ على إكراه طلحه والزبير فهما أول من بايع.

الحواريه الثانيه

لولا ما فى يدي لباعته علياً

محمد بن مسلمه الأنصارى

محمد بن مسلمه:

أشاره

مرحباً بك يا أبا اليقضان على فرق ما بينى وبينك، والله لولا ما فى

ص: ١٤٤

يدى من رسول الله صلى الله عليه - وآله- وسلم لبايعت علياً، ولو أن الناس كلهم عليه لكنت معه، ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأى.

عمار: كيف؟

قال - محمد- قال رسول الله صلى الله عليه - وآله- وسلم إذا رأيت المسلمين يقتتلون أو إذا رأيت أهل الصلاة.

فقال عمار: فإن كان قال لك إذا رأيت المسلمين؛ فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما أبداً، وإن كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك، إنما أنت أحد الشاهدين، فتريد من رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجه الوداع: دماؤكم وأمواكم حرام إلا بحدث، فتقول: يا محمد، لا نقاتل المحدثين.

محمد: حسبك يا أبا اليقضان(١).

الدلالة الأولى:

يتضح من مقوله محمد بن مسلمه أن هناك اختلاف فى الرأى بين أبى اليقضان الذى ملئ إيماناً إلى مشاشه، وبين محمد بن مسلمه «على فرق فيما بينى وبينك»، وعمار موالى لعلى وذائب فيه حتى مشاشه.

الدلالة الثانية:

أورد عمار إشكالات على ما رواه بن مسلمه، وفى الأخير نراه لا يدحض روايته، بل ويكذبها ويحاول محمد أن ينهى الحوار، فلم تكن الحرب بين مسلمين؛ فإنهما حسب عمار

ص: ١٤٥

لا يقتتلان، وبهذا تنافى مع الروايه وإسقاط لها، وعمار أثبت وقوله أرجح لما شهد له الرسول صلى الله عليه وآله وأبويه بالجنه، فلا يصدر منه ما يخل بذلك، وقاتل عمار فى النار ولا يدخل المسلم النار، {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها} القرآن العزيز(١).

الحواريه الثالثه

أعطنى سيفاً يقول هذا مسلم وهذا كافر.

سعد بن أبى وقاص

إلتقى عمار بن ياسر بسعد بن أبى وقاص، فأظهر - أى سعد - الكلام القبيح(٢) - فى نص ابن قتيبه - فأنصرف عنه عمار، وسعد كان قد طلب من أمير المؤمنين عليه السّلام سيفاً ناطقاً يميز الكافر عن المسلم حتى يكون إلى جنبه ويقاوم معه الناكثين والقاسطين والمارقين، وتلك حواريه رابعه تتجلى فيها مقوله الرسول صلى الله عليه وآله لعلى - فى الصحيح - إن الأئمه ستغدر بك بعدى(٣). صدق رسول الله صلى الله عليه وآله.

موقف أمير المؤمنين

لم يعبه أمير المؤمنين عليه السّلام لموقف الممتنعين عن بيعته، وإن أشار عليه بعض أصحابه أن يحضهم باللسان، فإن امتنعوا أدبهم بالحبس؛ فرض وقال عليه السّلام:

«بل أدعهم ورأيهم الذى هم عليه»(٤).

ص: ١٤٦

١- سوره النساء: ٩٣.

٢- الامامه والسياسه : ١/٧٣.

٣- شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد، ١٠٧ / ٤، فصل فى ذكر المنحرفين عن على.

٤- الأخبار الطوال، أبى حنيفه الدينورى : ١٤٣.

كان لعمار دور بارز يوم صفين وهو ابن ثلاث وتسعين، وقال مخاطباً الناس محرضاً لهم على قتال القاسطين، معاوية وجنده:

يا أهل الإسلام! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدتهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، وينصر رسوله، أتى النبي فأسلم، وهو والله فيما يرى راهب غير راغب، وقبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وأنا والله لنعرفه بعداوه المسلم، وموده المجرم؟ ألا- وإنه معاوية، فالعنوه، لعنه الله، وقاتلوه فإنه ممن يطفى نور الله، ويظاهر أعداء الله (١).

حواريه الاربعه

ادخلتني في ضيق بعد السعه

ابن عباس لعثمان

إن جملة من المنقول التاريخي يؤكد أن هناك تجاوزاً وخرقاً لمبادئ الرسالة الإسلامية وتعدى على الأمة، ومن هذه المنقولات ما روى في حوارات مع الخليفة الثالث، وطلبه النصح من بعض الصحابه، فضلاً عما كان يعكسه اجتماع الخليفة بولائه قبل حصاره من آليه لتعامل الولاء مع الأمة وموقف اللين وعدم الاكتراث واللامبالاه من قبل الخليفه.

وهذا ما قاله معاوية للخليفه في هذه الجلسه:

فرقهم - أي الصحابه أو الأعم منهم من المسلمين - عنك فلا يجتمع منهم اثنان

ص: ١٤٧

١- صفين، نصر بن مزاحم: ٢٣٤. مطبعه المدنى، القاهره، ط ١، ١٣٨٢هـ - والطبرى ٦/٩.

فى مصرٍ واحدٍ، واضرب عليهم البعوث والندب، حتى يكون دبر بعير أحدهم أهم عليه من صلاته. ويُعيدها كان قد دار هذا الحوار بين الخليفة وابن عباس:

أمسك عثمان ابن عباس، فقال له عثمان:

يا بن عمى، ويا بن خالتى، فإنه لم يبلغنى عنك فى أمرى شىء أحبه ولا أكرهه على ولا لى، وقد علمت أنك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا، وقد أحببت أن تعلمنى رأيك فيما بينى وبينك فأعتذر، قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين: إنك قد ابتليتنى بعد العافيه، وادخلتنى فى الضيق بعد السعه، ووالله إن رأى لك أن يجلسنك، ويعرف قدرك، وسابقتك، والله لوددت إنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك، فإن كان شيئاً تركاه لما رأيا أنه ليس لهم، علمت أنه ليس لك كما لم يكن لهما، وإن كان ذلك لهما فتركاه خيفه أن ينال منهما مثل الذى نيل منك تركته لما تركاه له، ولم يكونا أحق بإكرام أنفسهما منك بإكرام نفسك، قال: فما منعك أن تشير على بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: وما علمى أنك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟

قال: فهب لى صمتاً حتى ترى رأى.

قال: فخرج ابن عباس (١).

عمرو بن العاص

كان الرسول صلى الله عليه وآله قد أمره على سريره وجَّهها إلى الشام، وكان الرسول أيضاً أرسله إلى والى عمان برسالة، حيث أسلم الأخير وأقره الرسول صلى الله عليه وآله على ولايته،

ص: ١٤٨

وفى زمن عمر توّلى فتوح فلسطين والأردن وولاه عمر إياها بعد موت يزيد بن أبي سفيان، ثم إنَّ عمر جمع بلاد الشام كلها لمعاويه واستدعى عمرو بن العاص إلى المدينة، وكان هو الذى فتح مصر فى عهد عمر، فكان الوالى عليها إلى أن عزله عثمان ووّلى بدلاً عنه ابن أبي سرح العامرى، فاعتزل عمرو وأقام فى فلسطين، وربما أتى المدينة يثير الناس على عثمان وينفخ فى نار الفتنة، فكتب إليه معاويه يستقدمه - بعد مقتل الخليفة الثالث - قبيل وقعه صفين.

وروى ابن عبد البر الأندلسى أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاه بكى فقال له ابنه عبد الله: لِمَ تبكى، اجزعاً من الموت؟ قال: لا والله! ولكن لما بعده فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبته الرسول صلى الله عليه وآله وفتوحه الشام فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله، إنى كنت على ثلاثه أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسى فيه، كنت أول شىء كافرأ، فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلو مت يومئذ لوجبت لى النار، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله كنت أشد الناس حياء منه، فلما ملئت عينى من رسول الله حياء منهم، فلو مت، قال الناس: هنيئاً لعمرو! أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله، فترجى ل-ه الجنة، ثم بليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدرى أعلى أم لى؟ فإذا متُّ فلا تبكين على باكيه، لا ينعنى مادح وشدوا على أزارى فإنى مخاصم (١) مات سنة ٤٣ هـ، وله نيف وثمانين سنة (٢).

ص: ١٤٩

١- الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ابن عبد البر: ٢/٤٣٥.

٢- الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ابن عبد البر: ٢/٤٣٥.

عن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

قاتله - أى قاتل عمار - وسالبه فى النار. فقيل لعمرو سمعت هذا من رسول الله وها أنت قاتله(١).

سيكولوجيه عمرو بن العاص فى التعامل

كتب معاويه إلى عمرو بن العاص يستقدمه إلى الشام كوزير ومشير، فقد ألم بمعاويه ما لا طاقة له بدفعه عنه: «مبعوث الخليفة يأمره بإعلان بيعته ودخوله فيما دخل فيه الناس» وقيصر الروم يتهدده، فرأى فى عمرو مخلصاً مما هو فيه إذا ما انضم إليه وشاركه موقفه؛ فكتب إليه يستنصره: أما بعد، فقد كان من أمر على، وطلحه، والزبير، ما قد بلغك، وقد سقط علينا مروان ابن الحكم فى رافضه البصره! وقدم على جرير بن عبد الله فى بيعه على! وقد حبست نفسى عليك، فاقدّم على بركه الله!!..

إن عمراً حين أتاه كتاب معاويه استشار ولديه: عبد الله، ومحمداً، وقال لهما:

يا ابنى. أنه كان منى فى أمر عثمان فلتات لم استقلالها بعد، وقد كان هروبى بنفسى حين ظننت أنه مقتول، ما قد احتمله معاويه عنى!

فأشارا عليه: أما عبد الله فذكره بمواقفه أيام النبى صلى الله عليه وآله وأنه كان راض عنه وكذلك أبو بكر وعمر مضياً راضيان عنه، فلو بقيت على اعتزالك خيراً لك، وأما محمد فأشار إلى مكان الطموح فى نفس أبيه، وأشار عليه بأن يشارك معاويه أمره.

فقال عمرو لهما: أما أنت يا عبد الله فقد أشرت على بما هو خير لى فى دينى، وأما أنت يا محمد فأشرت بما هو خير لى فى دنيا!!

ص: ١٥٠

ثم أمر عمرو وردان خادمه أن يرحل، ثم قال له: أحطط يا وردان. أرحل يا وردان وأخذ عمرو يكرر ذلك. فقال له: وردان لو شئت نباتك عما في نفسك!.

فقال عمرو: هات يا وردان!.

فقال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك! فقلت: مع على الآخرة بلا دنيا(١)، ومع معاوية دنيا بغير آخرة! فأنت واقف بينهما!.

فقال عمرو: ما أخطأت ما في نفسي! فما ترى يا وردان؟

قال: أرى أن تقيم في منزلك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وأن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك!!

فقال عمرو: الآن حين شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية!! {أخذته العزة بالأثم}.

ثم ألتقى طموح معاوية مع طمع وتطلع عمرو واتفقا بعد بيعه عمرو لمعاوية بالخلافه وأن يناصره في حربه على عليه السلام أن تكون مصر لعمرو، وبتدخل عتبه ابن أبي سفيان(٢)؛ فتمت الصفقة.

من أقوال عمرو لمعاوية

قال عمرو لمعاوية: أعطني مصر! فتلكأ معاوية! وقال: ألم تعلم أن مصر كالشام؟

قال عمرو: بلى! ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك! وإنما تكون

ص: ١٥١

١- لا يعرف مرتكز لهذه المقولة، إلا- ما أخبر به النبي (ص) من إقبال بعض الصحابة على الدنيا، أي أنها وردت ذمًا، وشاعت بعد عهد عثمان وتركزت بعد تولي معاوية.

٢- الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/١٠٠.

لك إذا غلبت علياً على العراق، وقد بعث أهلها بطاعتهم إلى علي!!

وقال عمرو لمعاوية أيضاً: إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولا أقوم أنا ولا أنت له، فأنت تقاتله على أمر وهو يقاتلك على غيره، وأنت تريد البقاء وعلى يريد الفناء، وليس يخاف أهل الشام من علي ما يخافه أهل العراق منك(١).

وعن ابن طاوس عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أنه أخبره

قال: لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال لا أدري أكان معه أم أخبره أبوه فقال قتل عمار وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله تقتله الفئة الباغية، قال: فقام عمرو فزعا يرتجع حتى دخل على معاوية فقال معاوية: ما شأنك فقال: قتل عمار، فقال معاوية: قتل عمار فماذا، قال عمرو: سمعت رسول الله يقول تقتله الفئة الباغية، فقال له معاوية: دحضت في بولك أنحن قتلناه إنما قتله على وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: سيوفنا(٢).

ص: ١٥٢

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/١٢٠.

٢- تاريخ ابن عساكر: ٤٣/ ٤٣١.

توجه المسلمون بعد مقتل الخليفة الثالث إلى بيت الامام على عليه السّلام طالبين منه أن يمد يده حتى يبايعوه؛ لأنهم رأوا أنه ليس من الصحيح أن يبلغ أهل الأمصار مقتل الخليفة، ولا أحد قد شغل مكانه، وتولى مهام الامامه (١)؛ هكذا كانوا يحاورون الامام كى ييسط يده للبيعه، إلا أن على بن أبى طالب عليه السّلام وضع نصب أعينهم احداثاً، وأموراً لا بد لها من مخاض وولاده تحملها بين ثناياها الأيام المقبله، (لا تقوم لها القلوب)، وهو يقبض يده ويسحبها، وهم يأخذونها إليهم ويبسطوها، حتى أذعن لهم وطلب منهم أن تتم بيعته فى المسجد على مرأى ومسمع من المسلمين كافة «أنصار ومهاجرين، ومن قدم من أمصار الدوله» (٢).

وعلى ذات التقليد الذى انتهجه من سبقه من الخلفاء، أرسل الامام على عليه السّلام إلى الآفاق يبلغهم بيعه الأنصار والمهاجرين له، فمن أجاب كتابه وأخذ البيعه للخليفة الجديد اقره الخليفة على ولايته، كما هو موقف الخليفة من أبى موسى الأشعري فى الكوفه والأشعث بن قيس وعبد الله بن جرير البجلي، وأرسل بعثمان بن حنيف إلى البصره، لأن واليها عبد الله بن عامر انضم إلى معاوية هارباً من ولايه البصره.

ص: ١٥٣

١- تاريخ الطبرى : أحداث عام «٥٣٥هـ».

٢- تاريخ الطبرى: ٥/أحداث عام «٥٣٥هـ».

أما والى الشام معاوية بن أبي سفيان، فكان قد ألبس الشام وأهله - السواد - ثوب الحداد على الخليفة المقتول، ونشر قميصه وأصابع زوجته، وحشد الرأي العام الشامي على الأخذ بثأر الخليفة من على بن أبي طالب فهو الذى قتله، فلا بد من محاربتة وقتاله، ومع عدم النباهه التى اتصف بها الشاميون والتقبل المتسرع تعبدًا بقول الولاة، استطاع معاوية من اكتساب الشرعية لأنه ولى القتل - وإن كان أبناء عثمان هم الأولي بذلك وهم أحياء- وقد طلب منه الضحاك أبرز شخصيه شاميه أن يطالب بدم الخليفه وإلا أخرجوه من الشام - وبالتالي امتنع عن البيعه وامتنع بالشاميين عنها، فماتل مبعوث الخليفه عبد الله بن جرير البجلي - ومن تبعه من رسل الخليفه - وبقي فى الشام فتره تجاوزت أشهراً، ولم يجبه بشيء، وأفاد هو من هذه المماطله فى كسب بعض المناوئين لعلى والمبغضين له، فاستمال عمرو ابن العاص إلى جانبه، وهو من قد عرف بالمكر والخديعه وحب الدنيا وحب الرئاسة فاشترط على معاوية أن يطعمه «مصر» مقابل أن يكون إلى جانبه فى محاربه الشرعيه، النص التاريخي:

«قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله، إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربه وقتل الخليفه، وأظهر الفتنه، وفرق الجماعه، وقطع الرحم. قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد على، قال: فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعلى بعكمى (1) بعير، مالك هجرته ولا فقعه

ص: ١٥٤

١- عَكَمَ الْمَتَاعَ يَعْكُمُهُ عَكْمًا: شَدَّهُ بِثَوْبٍ، وَهُوَ أَنْ يَبْسُطَهُ وَيَجْعَلَ فِيهِ الْمَتَاعَ وَيَشُدُّهُ وَيُسَيِّمِي حِينَئِذٍ عَكْمًا. وَ الْعِكَامُ: مَا عَكِمَ بِهِ، وَهُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يُعَكَّمُ عَلَيْهِ، لِسَانَ الْعَرَبِ: ١٢/٤١٥، وَفِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: ١/١٨٨، الْعِكْمُ بِالْكَسْرِ الْعِدْلُ وَعَكَمَ الْمَتَاعَ شَدَّهُ وَبَابَهُ ضَرْبٌ وَ الْعِكَامُ بِالْكَسْرِ الْخِيَطُ الَّذِي يُعَكَّمُ بِهِ.

وعلمه.. والله إن له مع ذلك حداً وهداً، وحظاً وحظوه، وبلاء من الله حسناً، فما تجعل لى إن شايحك على حربيه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمه. قال: فتلأ عليه معاويه»(١).

قبل رفع المصحف

كادت وقعه صفين أن تنهى تطاول الجيش الشامى، وأسطوره دهاء معاويه ومكر ابن العاص، وبالتالى تبعد معاويه ومن آزره عن ساحه الفعل بالنسبه للتجربه الإسلاميه، وتعود بالأمه إلى سابق عهدا وتعاد للتجربه زاهر أيامها وتعيش الأمه العدل والمساواه، وأخيراً لا ظهور لفرقه الخوارج ولا ترويج لأفكارها ولكان لنظام الحكم الإسلامى صورته بمعالم أخرى غير التى نُقلت إلينا عن طريق المدون التاريخ والمسرد التراجمى للأعلام وغيرها من المصادر.

وإن اختلف المؤرخون فى تاريخ وقعه صفين إلا أن المقطوع فيه، هو أنها تلت وقعه الجمل بأشهر وكانت الأخيره قد حدثت عام ستة وثلاثين هجرية.

وُبُعِد أن بُويع أمير المؤمنين عليه السّلام بالخلافه، واستخلافه أحدهم على المدينة وآخر على مكه توجه إلى الكوفه وفى أثناء مسيره كانت رساله أم الفضل - من السابقات إلى الإسلام أسلمت مع أم المؤمنين خديجه «رض» - قد وصلتته تحذره فيها خروج عائشه والزبير وطلحه ومن سار معهم من مكه إلى البصره.

فتوجه بمن معه إلى البصره وبعث بابن عباس والحسن بن على عليه السّلام وعمار بن

ص: ١٥٥

١- وقعه صفين، ابن مزاحم المنقرى: ٣٧.

ياسر إلى الكوفة يستمد واليه (أبا موسى الأشعري) الجند، بيد أن أبا موسى سعى لتثييط الناس عن الالتحاق بالخليفة ويحذرهم (الفتنه التي القاعد فيها خير من القائم....)، وهو صحابي أيضاً، وحصلت سجالات ومشاده بينه وبين عمار ومن ثم مع ابن عباس، حتى عزل من ولايه الكوفه، والتحق الركب الكوفي مع الامام الحسن عليه السلام متوجهاً إلى البصره ليكون له موقف مشرف في الدفاع عن مبادئ الرساله والخليفه الشرعى. وتنتهى وقعه الجمل بمقتل طلحه على يد مروان بن الحكم والزبير على يد ابن جرموز الذى يقتل هو ايضاً فى النهروان ويقتل آلاف حول الجمل من الطرفين وتعود، عايشه إلى المدينه، ويتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفه ليعسكر بالنخيله ثم ينطلق بمن معه نحو الشام وينزل فى صفين، وبعد العذر والإنذار يحارب معاويه وجيش الشام الذى هبى للخروج ولقتال الخليفه بعذر وتعليلات لا واقع لها إلا أن تفسر بالنفعيه والقتال من أجل السلطان ليس إلا. وهكذا كانت تحركات معاويه حيث بايعت الأمه واجتمعت كلمتها على على ابن أبى طالب عليه السلام، بُعيد مقتل الخليفه الثالث، بثوره كبرى قادها الصحابه فى المدينه. وكانت الجمل أولى حروب الامام التي خاضها على الخارجين عليه - الناكثين - وأسفرت عن مقتل قادتها وسقوط الكثير ممن شارك فيها قتيلاً. وهزيمه الباقيين، وكان للأحداث التي أعقبت وقعه صفين مساهمه فاعله فى تغيير مسار الدوله والمجتمع الإسلامى وشكلت منعطفاً خطيراً فى تاريخ الأمه عموماً وتاريخ الرساله الإسلاميه فيما بعد خصوصاً؛ حيث قد أعقبها مستجدات وملابسات على مستوى الاعتقاد وفتح باب الاجتهاد (القياسى) على مصراعيه مقابل «النص» وابتدع منهج خاص لتداول السلطه، مما كان له أثره الفاعل فى منعطف آخر على

مستوى الفكر الإسلامى وبنية العقل، ونكوص فى الواقع التطبيقى على امتداد القرون التى تلت عام (٥٣٨هـ).

وللقارئ أن يسأل ما هى دوافع (أهل المصحف) من الخروج على الشرعيه، ومن تأليب الرأى الشامى بصوره عامه، ورأى بعض ابناء الخلفاء وسواهم من الأنصار وان كان عددهم محدوداً ضد الخليفه المنتخب بأغلبيه ساحقه، فضلاً عن أن الانتخاب تم على وفق الشروط التى أقرت خلافه سابقه، وبيعه الامام عليه السّلام أقرب فى جميع مفاصلها إلى روح الشورى وحرية الاختيار، فقد أشر على البيعات السابقه، وأخذ على طريقته مأخذ، وكانت بعد العهد أو تماميه بيعه أحدهم يُدعى الناس، لمبايعه الخليفه المنصوب، وحتى أن عثمان عهد لعبد الرحمن بن عوف سرّاً، وأرسل إليه بالكتاب، إلا أن عبد الرحمن غضب وحلف أن لا يكلم عثمان، وفعلاً لم يكلمه حتى مات.

ولم يذكر إكراه من الخليفه لأحد معارضيه أو من لم يعطه صوته؛ كما هو حال عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمه وسعد بن أبى وقاص... بيد أن المنقول التاريخى فى ما يخص بيعه من سبق الامام على عليه السّلام قد أشار إلى إكراه أو تعريض أو تهديد أو...!!

١- بيعه السقيفه.

الف - تهديد الزبير وأخذ سيفه منه وكسره.

ب - اقتلوا سعداً قتله الله (١).

ج - دفع الخليفه الثانى المقداد فى صدره، وإن عمر بن الخطاب، هو الذى وقم المخالفين لبيعه أبى بكر، وتوعد من لجأ إلى بيت فاطمه من الهاشميين وأخرجهم. ولولاه

ص: ١٥٧

١- تاريخ الطبرى، أحداث عام ١١ هجرية. فقد نقل هذه القضايا.

لم يثبت لأبي بكر أمر ولا قامت له قائمه (١).

٢- موقف الخليفين بعيد بيعه السقيفه من الامام على عليه السلام، وتخلفه ولم يبايع إلا بعد ستة أشهر على الأصح حسب عباره الطبرى (٢).

٣- وقف عمار بعد بيعه عثمان والتهديدات التى صدرت تجاهه.

٤- تصريح عبد الرحمن بن عوف للامام على عليه السلام بعد بيعه الخليفه الثالث، بايع ولا- تجعل على نفسك سيلاً، وكان يخاطب الامام علياً عليه السلام (٣).

وصحيح أن بعض خلص الصحابه قد طلبوا من الامام عليه السلام أن يسمح لهم أن يذهبوا إلى الأشخاص الذين توقفوا عن بيعته، وقد ذهب عمار لمحاوره بعضهم والوقوف على الأسباب التى تقف وراء موقفهم هذا. وكانت بينه وبينهم حوارات.

من كتب الامام عليه السلام لمعاويه

«إِنَّهُ بَيَّاعِنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَيَّمُوهُ أَمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِرِضَى، فَإِنِ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطَعَنَ أَوْ بَدَعَهُ رَدُّهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنِ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةَ، لَيْنَ نَظَرْتَ

ص: ١٥٨

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١/ ١٧٤، باب / ٣.

٢- تاريخ الطبرى، (أحداث عام ١١ هـ). السقيفه.

٣- تاريخ الطبرى: أحداث عام [٢٣-٢٤].

بِعَقْلِكَ دُونَ هَيَوَاكَ لِتَجِدَنِي أَيْبَرُ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلِهِ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّبَ مَا يَدَا لِمَكَ! وَالسَّلَامُ».

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَنَّى مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمَضَّ يَتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابٌ أَمْرِيءٌ لَيْسَ لَهُ بَصِيرَةٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لِأَغْطَاءٍ، وَضَلَّ خَابِطًا».

«وَأَمَّا قَوْلُكَ: (إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ، لَيْسَ لِبَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَضْلٌ)، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَمِيهِ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبُ كَعْبِدِ الْمَطْلَبِ، وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمَهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا الْمُحَقِّقُ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُيَدْغِلِ. وَلِبَسِ الْخَلْفِ خَلْفًا يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبِيِّهِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيْزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيْلَ. وَلَمَّا ادْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مَمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّيْنِ: إِمَّا رَغْبَةً، وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ فَازِ أَهْلِ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبِ الْمَهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ» (١).

كتابہ علیہ السلام إلى جریر بن عبد اللہ البجلي لما أرسله إلى معاوية

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بِيَعْتِهِ، وَالسَّلَامُ» (٢).

ص: ١٥٩

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١٥/١٧٧، وشرح النهج لابن ميثم البحراني ٤: ٣٨٩.

٢- تاريخ مدينه دمشق، ابن عساکر: ٥٩/١٣٥. شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ٣/٨٧.

النكث: نقض ما تعقده وتصلحه من بيعه وغيرها. وفي حديث على كرم الله وجهه: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

النكث: نقض العهد، وأراد بهم أهل وقعه الجمل (١).

وقعه الجمل: سُميت واصطاح عليها ب- (وقعه الجمل)؛ لأنّ عائشه - وهى التى قادت المعركة - كانت على جمل فى هودج، وقد ألبس هودجها الدروع والنسائج الحديد (٢).

وكان لعقر وقتل الجمل دور فى الإيذان بنهايه الوقعه، واندحار وانهزام أصحاب الجمل بعد اعتزال الزبير وقتله وقتل طلحه بن عبيد الله، وقال الامام على عليه السلام لأصحابه:

(ولو عقر فقط لم تثبت لهم ثابته).

وكان حدوثها فى جمادى الآخرة سنه ست وثلاثين هجرية، وبعد تولّى الامام عليه السلام الخلافة بأشهر. ولقد حصلت ودارت رحى حرب الجمل فى البصره فى موضع يسمّى

ص: ١٦٠

١- لسان العرب، ابن منظور: ١٤/ ٢٧٨.

٢- الفخرى : ٨٨.

المدعمات الروائية والنقلية:

عن الرسول صلى الله عليه وآله:

عن ابن عتيّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليت شعري أيتكّن صاحبه الجمل الأريب، تسير حتّى تنبجها كلاب الحوآب؟ يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير» (٢).

وللحديث طرق عديده، ونقل بألفاظ مختلفه ومتعدّده (٣).

أم سلمه تحذّر عائشه:

طلبت عائشه من أم سلمه - وهى زوج الرسول صلى الله عليه وآله وأمّ المؤمنين، وقد أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله بأنّها على خير يوم جمع الرسول صلى الله عليه وآله علياً وفاطمه والحسن والحسين، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (٤) - أن تخرج معها إلى البصره، لأنّ عثمان قتل مظلوماً، وقد أخبرها بذلك ابن عمّها وزوج أختها - أئى طلحه والزبير - فلم تخرج أم سلمه معها، بل أخبرتها أنّ واجبها أن تقرّ فى البيت الذى ضرب عليه حجابها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. ثمّ قالت لها:

لو أنّ الرسول عارضك فى بعض الطرق فما أنت قائله له، وقد وضع

ص: ١٦١

١- الأخبار الطوال، ابن قتيبه: ١٤٦.

٢- البدايه والنهائيه، ابن كثير: ٦/ ٢١٨.

٣- المعيار والموازنه، أبو جعفر الاسكافى: ٢٨، سبل الهدى والرشاد، الصالحى الشامى: ١٠/١٥١.

٤- كتاب سليم بن قيس، وفاته عام ٩٥هـ، تحقيق محمد باقر الأنصارى: ٢٠٠. مسند أبى يعلى الموصلى: ١٢/٤٥١.

الجهاد عن النساء؟ ولكنها لم تتعظ ولم ترجع، بل علت الجمل وخرجت محاربه للخليفه الشرعى الذى بايعه أصحاب محمد صلى الله عليه وآله (١).

وعن عائشه نفسها أنّها لما نبحتها كلاب الحوآب قالت:

ردّونى، وما أرانى إلاّ راجعه، قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تكونى التى تنبحك كلاب الحوآب (٢).

فأى مدعم وقرينه تفصح عن أنّ القوم ناكثون وخارجون على شرعيّه الخليفه والامام نصاً وبيعه، إجماعاً واجتماعاً؟

وفى يوم كان الخليفه عثمان فى المسجد، أخرجت عائشه قميص الرسول -صلى الله عليه وآله- وقالت:

هذا قميص رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنّته، فاقتلوا نعثلاً فقد كفر (٣)، فقال عثمان: ربّى اصرف عني كيدهن إنّ كيدهن عظيم.

تشخيص موقف عائشه:

لقد حدّد الامام عليه السّلام موقف عائشه من الخليفه فى قوله عليه السّلام:

وكان من عائشه فيه فلتة غضب (٤).

ص: ١٦٢

١- تاريخ الطبرى: ٣/٤٥٠.

٢- مصنف ابن أبى شيبه: ٨/٧٠٨. جواهر المطالب فى مناقب الامام على (ع)، ابن الدمشقى: ٢/٢٩.

٣- الفخرى فى الآداب السلطانيه، ابن طباطبا، ٨٧/، وفى غيره: فجر.

٤- شرح النهج، محمّد عبده، ح ٢/٢.

إنَّ الامام عليه السَّلام لَمَّا بايعه طلحه، قال:

ما أخلقه أن ينكث. ولَمَّا دخل عليه طلحه والزبير واستأذناه

بالذهاب للعمرة، قال عليه السَّلام: إنَّما أرادا الغدره. وأمَّا فلانته - أي عائشه - فأدركها رأى النساء، وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتتال من غيري ما أتت إليه (١).

تشخيص موقف طلحه:

قال الامام علي عليه السَّلام:

«والله ما استعجل متجرِّداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يُطالب بدمه؛ لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر، ويقع الشك. ووالله ما صنع في أمر عثمان واحده من ثلاث: لئن كان ابن عفان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن يباذ ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنههين عنه، المعذرين فيه. ولئن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانبا، ويدع الناس معه. فما فعل واحده من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره» (٢).

فقد كان طلحه يوم قتل عثمان متنكراً يرمى بسهامه على دار عثمان.

ص: ١٦٣

١- شرح النهج، محمد عبده: ٢/٢٨٣.

٢- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١٠/٣.

ولقد شهد الوقعه مع الامام عليّ عليه السّلام ثمانمائه من الأنصار، وأربعمائه ممّن شهد بيعه الرضوان مع النّبىّ صلى الله عليه وآله (١)، ثم انضم إليه في الطريق الكثير من بنى أسد وطيء، ثم جاءه مدد أهل الكوفه.

جيش أهل الجمل

تآلف فيه مع طلحه والزبير بعض ولاء عثمان الذين عزلهم الامام عليّ عليه السّلام كعبد الله بن عامر ومروان بن الحكم، والباقون أغلبهم من عوام الناس ممن لا سابقه له، وكان الذين خرجوا معها - عائشه - من مكّه حوالى ستمائه رجل، ثم انضم إليهم آخرون من أهل البصره (٢).

دوافع الحرب

يُرجع ابن طباطبا السبب في خروج طلحه والزبير وسواهما، إلى أنّ الامام عليّاً عليه السّلام لما بُويع سار بالناس بالعدل والمساواه ولم يفضّل أحداً على أحد، حتّى أنّ أخاه - عقيل بن أبى طالب - طلب منه أن يزيدَه فلم يجبه إلى ذلك، وقال له: انتظر عطائي (٣).

فأبدى البعض من الصحابه عدم الارتياح لموقفه في التسويه والعدل، وأتاه طلحه والزبير فقالوا: إنّه قد نالتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله جفوه، فاشركنا في أمرك! فقال: أنتما

ص: ١٦٤

١- العقد الفريد، ابن عبد ربّه: ٤/٣١٣.

٢- البدايه والنهائيه، ابن كثير: ٧/٢٤٢.

٣- الفخرى: ٨٦/.

شريكاي في القوه والاستقامه، وعوناي على العجز والأود(١).

وقد طلب جماعه من بنى أميّه - وياه الخليفه عثمان - من الامام عليه السلام أن يترك لهم ما بأيديهم من مال وغيره ولا يطالبهم بشيء ممّا كان لهم أيام عثمان، فقال عليه السلام: والله، لو وجدتّه قد تزوج به النساء، ومُلك به الإمام، لرددته(٢).

إنّ مواقف الامام عليه السلام يوم بدر وأحد كان لها الأثر البارز في انحراف بعض الناس عنه، فهو الذى قتل صنديد قريش وأغلبهم كان من الأمويين، وهو قاتل مرحب اليهودي، وهو أخو محمّد بن مسلمه الصحابي(٣)؛ ولذا فالامام عليه السلام يقول: وما ذنبي لمحمّد بن مسلمه إلا أنّي قاتل أخيه مرحب.

فاجتمع الفرقاء على نكث البيعه والخروج لقتال الخليفه، فكانت وقعه الجمل.

الرسول صلى الله عليه وآله والناكثون

إنّ الرسول صلى الله عليه وآله أخبر عن كثير من الحوادث المستقبلية، والتي ستلدها الأيام بعد رحيله، ومن هذه الحوادث وقعه الجمل وأصحابها وقادتها، وأشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى ظلمهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وخروجهم عليه.

فعن الزبير قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتقاتلنه - أى عليّاً - وأنت ظالم له. وهو

ص: ١٦٥

١- تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٠.

٢- شرح النهج، محمّد عبده: ١/٤٦.

٣- الامامه والسياسه: ١/٥٢-٥٣.

الحديث الذى احتج به الامام على عليه السلام، على الزبير فاعتزل الحرب، وبزّر الزبير لولده عبد الله اعتزاله من الحرب لما ذكره الامام عليه السلام بهذا الحديث. ونقل بالفاظ مختلفه (١).

وعن قتاده قال:

لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ ذلك علياً، فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى (٢).

خروج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله

عن أم سلمه (رضوان الله عليه) قالت:

ذكر النبي صلى الله عليه وآله خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشه، فقال لها: انظرى يا حميراء أن لا تكونى أنت (٣).
لذا لما نبحتها كلاب الحوآب فى طريقها إلى البصره، قالت: ردونى.

إشارتان

١- عن عليّ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ سرّه أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنّه فلينظر إلى زيد بن صوحان، وقد قتل زيد فى الجمل مع عليّ عليه السلام.

ص: ١٦٦

١- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٦/٢١٩.

٢- يراجع البدايه والنهايه: ٦/٢١٨.

٣- البدايه والنهايه: ٦/٢١٨.

٢- عن ابن مسعود قال:

إذا اختلف الناس كان ابن سميّه - أئ عمّار بن ياسر- مع الحقّ. وكان مع الامام عليّ عليه السّلام في حروبه حتّى قُتل (رضوان الله عليه) في صفّين (١).

ص: ١٦٧

١- البدايه والنهايه: ٦/٢٢٠.

فى المدینه المنوره بعد اتساق البيعه لأمير المؤمنين عليه السّلام حيث بايعه أهل الحرمين ومن حضر المدينه من الأمصار، بعث ولاته إلى الأمصار، فرفض معاويه الدخول فيما دخل فيه الناس، وخرج رهط من الشام فرأوا سهل بن حنيف وهو والى الامام على عليه السّلام على الشام فردّوه. وفى البصره قام عبد الله بن عامر - لَمَّا بلغه مبايعه الناس لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام - خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنّ خليفتم عثمان بن عفّان قُتِلَ مظلوماً وبيعه فى أعناقكم، ونصرته ميتاً كنصرته حيّاً، ولى عليكم اليوم ما كان لى بالأمس، وقد بايع الناس عليّاً، ونحن اليوم طالبون بدم عثمان، فأعدّوا للحرب عدّتها؛ فوثب إليه حارثه بن قدامه السعدى، فقال له: يا ابن عامر، إنك لن تملكنا عنوه، ولن نوليّك عن مشوره، إنّما بطاعه غيرك، وقد قتل عثمان بحضره المهاجرين والأنصار فلم يغيروا على قاتله، وقد بايع الناس عليّاً، فإنّ أقرّك على عملك أطعناك، وإنّ عزلك عصيناك، والسلام(١)

ثمّ نزل عبد الله بن عامر من المنبر، وخرج فى جوف الليل هارباً نحو المدينه، فلقيه طلحه والزبير فقالوا:

لا- مرحباً بك يا مضيع ولا- أهلاً، تركت البصره والأموال وأتيت مكّه فزعاً من على بن أبى طالب - رضوان الله عليه!- هلاً لا أقمت بالعراق حتّى وافيناك بها؟

ص: ١٦٨

كان أبو موسى الأشعري والياً على الكوفه لعثمان، وقد أقره عليها الامام عليه السلام حين أشار عليه الأشر أن يقره عليها. ولما بلغ أبو موسى بيعه المهاجرين والأنصار للامام علي عليه السلام عمد إلى تشييط الناس، وقال لهم: إن بيعه عثمان لا تزال في عنقي (١)، كما هي في أعناقكم، ثم أجبروه على بيعه الامام علي عليه السلام.

خطبه أبي موسى الأشعري

أيها الناس: إن أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه، وإن لكم حقاً علي أؤديه إليكم، إن هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان، والقاعد خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، والساعي خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة.

وكان أبو موسى قد أمر أهل الكوفه بعدم مناصره أمير المؤمنين عليه السلام، وقال للناس:

أمياً سبيل الآخرة ففي أن تلموا بيوتكم، وأمياً سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم - يعني عمّار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر - فأطاعوه في ذلك (٢)، ثم قال أبو موسى: فثبطوا أيها الناس، واجلسوا في بيوتكم إلا عن عثمان بن عفان (٣)!! وبذلك قام أبو

موسى

ص: ١٦٩

١- تاريخ الطبري: ٥/٥١٢.

٢- الامامه والسياسه: ١/٦٢.

٣- تاريخ الطبري: ٥/٥١٤.

ومشى ودخل فى الفتنه التى نهى عنها الناس من أخصص قدميه حتى أذنيه، كما دعا الناس لنصره عائشه.

خطبه عمّار بن ياسر

فقام عمّار بن ياسر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنّ أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، ولعمري ما صدق فيما قال، وما رضى الله من عباده بما ذكر، قال عزّ وجلّ:

{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا} (١).

وقال: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله} (٢) فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا فى بيوتهم ويخلّوا بين الناس، فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم، وانظروا من أولى بالنصره فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم ماجورين وقد قضيتم حقّ الله، وإن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئه الباغيه فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله، كما أمركم الله وافترض عليكم (٣)

ص: ١٧٠

١- سورة الحجرات الآية: ٩.

٢- سورة البقره الآية: ١٩٣.

٣- الامامه والسياسه: ١/٦٣.

أمياً بعد: فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه، إن الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلاً من المهاجرين أقل عيبه وأكثر استعتابه - إزاله سبب عتبه ومحاوله إرضائه - وكان هذان الرجلان طلحه والزبير أهون سيرهما فيه اللهجه (١) والوجيف، وكان من عائشه فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، وبايعنى الناس غير مستكرهين، وهما أول من بايعنى على ما بويع عليه من كان قبلى، ثم استأذنا إلى العمره فأذنت لهما، فنقضا العهد، ونصبا الحرب، وأخرجنا أم المؤمنين من بيتها ليتخذها فتنه، وقد سارا إلى البصره، اختياراً لأهلها، ولعمرى ما أياى تجييون، ما تجييون إلا الله. وقد بعثت ابني الحسن، وابن عمى عبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد، فكونوا عند ظننا بكم، والله المستعان (٢).

كتاب أم المؤمنين أم سلمه (رضوان الله عليها)

وروى المؤرخون (٣) أن الامام علياً عليه السلام بعد أن اتسقت له الأمور سار بمن تبعه قاصداً الكوفه، وفى الطريق ورد عليه كتاب أم سلمه، وكتاب من أم الفضل بنت الحارث، تخبرانه بأمر طلحه والزبير وعائشه وخروجهم إلى البصره.

ص: ١٧١

١- اللسان والاعراء.

٢- الامامه والسياسه: ١/٦٣.

٣- مروج الذهب، المسعودى: ٢/ ٣٥٨. وانظر تاريخ الطبرى : ٣/٤٧٠.

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أم سلمه بنت أبي أمية، سلام عليك ورحمه الله وبركاته.

أما بعد: فإنّ طلحه والزبير وعائشه وبنيتها بنى السوء وشيعه الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصره، يزعمون أنّ عثمان بن عفان قتل مظلوماً وأنهم يطلبون بدمه، والله كافيكم وجاعل دائره السوء عليهم إن شاء الله تعالى. وتالله، لو لا ما نهى الله عزوجلّ عنه من خروج النساء من بيوتهن، وما أوصى به النبيّ صلى الله عليه وآله عند وفاته، لشخصت معك، ولكنّ بعثت بأحبّ الناس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وإليك ابني عمر، والسلام.

وكان لعمر بن أبي سلمه فضل وعباده وعقل(١).

كتاب أم الفضل بنت الحارث

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين، من أم الفضل بنت الحارث.

أما بعد: فإنّ طلحه والزبير وعائشه قد خرجوا من مكّه يريدون البصره، وقد استنفروا الناس إلى حربك، ولم يخف معهم إلا من كان في قلبه مرض، ويد الله فوق أيديهم. والسلام(٢).

كتاب زيد بن صوحان إلى عائشه

كُتبت عائشه إلى زيد بن صوحان كتاباً طلبت فيه أن يثبّط الناس عن عليّ، وأنّ

ص: ١٧٢

١- الفتوح: ٢/٤٥٥ - ٤٥٦.

٢- الفتوح: ٢/٤٥٦.

يكون في مكانه حتى يقدمون عليه أو يأتيه أمرها، فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشه أم المؤمنين، سلام عليك.

أما بعد: فإنك أمرت بأمر وأمرنا بغيره، أمرت أن تقرى في بيتك، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنه، فتركت ما أمرت به، وكتبت تَنهينا عما أمرنا به، والسلام(١).

تأركم على أعجاز الإبل

خرج مروان بن الحكم مع عائشه وطلحه والزبير إلى البصره، ولقيهم سعيد بن العاص وجماعه من الأمويين الذين هربوا من المدينه بعد مقتل عثمان، وبيعه الامام على عليه السلام، ودار حوار بين سعيد و مروان، وسعيد وطلحه والزبير، فاعتزل سعيد ومن معه، وهربوا إلى الشام.

قال سعيد لمروان:

أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل - يعنى طلحه والزبير

ص: ١٧٣

١- العقد الفريد: ٣١٧/٤-٣١٨. وروى الطبرى بسنده عن أبو مخنف عن مجالد بن سعيد قال: لما قدمت عائشه رضى الله عنها البصره، كتبت إلى زيد بن صوحان من عائشه ابنه أبى بكر أم المؤمنين حبيبه رسول الله إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابى هذا فاقدّم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن على. فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشه ابنه أبى بكر الصديق حبيبه رسول الله أما بعد فأنا ابنك الخالص؛ إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا أول من نابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه. الطبرى: ٣/٢٢.

وعائشه-!؟

قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتله عثمان جميعاً.

وخلا سعيد بطلحه والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني.

قالا: لأحدنا أين اختاره الناس.

قال: بل اجعلوه لولد عثمان، فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم(١)!

ثم لما كانت وقعة الجمل رمى مروان بن الحكم طلحه بسهم مسموم فأصاب ركبته، ثم مات بسببه، وقال مروان: لا أطلب بعد هذا اليوم بثأر عثمان(٢).

أهل الجمل: التخطيط والتحرك

واجتمع طلحه والزبير وعائشه وأجمعوا على المسير من مكة، وأتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم إلى البصرة، ووعدهم الرجال والأموال.

فقال سعيد بن العاص لطلحه والزبير:

إن عبد الله بن عامر قد فرّ من أهلها - أي البصرة - فرار العبد الآبق وهم في طاعه عثمان، ويريد أن يقاتل بهم علينا وهم في طاعه علي، وخرج من عندهم أميراً، ويعود إليهم طريداً، وقد وعدكم الرجال والأموال، فأما الأموال فعنده، وأما الرجال فلا رجل. ثم استقر رأيهم على المسير إلى البصرة.

ص: ١٧٤

١- تاريخ الطبري: ٤٧٨/٥-٤٧٩.

٢- أنساب الأشراف، البلاذري: ٣/٤٣.

وذكروا أن مروان بن الحكم لما بويغ على هرب من المدينة، فلحق بعائشه بمكة.

فقالت له عائشه: ما وراءك؟ فقال مروان: غلبنا على أنفسنا. فقال له رجل من أهل مكة: إياك وعليها فقد طلبك، ففر من بين يديه. فقال مروان: لم؟ فوالله ما يجد إلى سيلا- أما هو فقد علمت أنه لا يأخذني بظن، ولا ينصب إلا على اليقين، وإيم الله ما أبالي إذا قصر على سيفه ما طال على من لسانه. فقال الرجل: إذا أطال الله عليك لسانه طال سيفه. قال مروان: كلا إن اللسان أدب، والسيف حكم (١).

مروان والبيعه لطلحه والزبير

وأشار مروان بن الحكم على طلحه والزبير أن يدعوا الناس إلى البيعه، فقال لهما:

أيها الشيخان، ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعه مثل بيعه عليّ، فإن أجابوكما عارضتماه ببيعه كبيعته، وإن لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس.

فقال طلحه: يمنعنا أن الناس بايعوا علياً بيعه عامه، فبم نقضها؟

وقال الزبير: ويمنعنا أيضاً من ذلك:

١- تثاقلنا عن نصره عثمان.

٢- وخفّتنا إلى بيعه عليّ.

ورجع سعيد بن العاص إلى من-زله، واجتمعت كلمتهم على المسير.

قال طلحه للزبير: إنّه ليس شيء أنفع ولا أبلغ في استماله أهواء

ص: ١٧٥

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوري، تحقيق الشيرى: ١/٧٣.

الناس من أن نُشخص لعبد الله بن عمر، فأتياه فقالا: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ أمنا عائشه خفت لهذا الأمر رجاء الإصلاح بين الناس، فاشخص معنا فإنَّ لك بها أسوه، فإنَّ بايعنا الناس فأنت أحقَّ بها.

فقال ابن عمر: أيها الشيخان، أتريدان أن تخرجاني من بيتي، ثمَّ تلقيناني بين مخالبي ابن أبي طالب؟ إنَّ الناس إنَّما يُخدعون بالدينار والدرهم (١).

وقدم عليهم من اليمن يعلى بن منبه، وكان عاملاً لعثمان، فأخرج أربعمائه بعير، ودعا إلى الحملان، فقال الزبير: دعنا من إبلك هذه، واقرضنا من هذا المال، فأقرض الزبير ستين ألفاً، وأقرض طلحه أربعين ألفاً (٢).

فقال الوليد بن عقبه: إنَّ عثمان بن عفان قد كان استعان بمعاويه لينصره وقد حوَّص فلم يفعل، وتربَّص حتَّى قتل؛ لذلك يتخلص له الشام، أفتطمع أن يسلمها إليكم؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم غيرها. ثمَّ اعتزلهم الوليد بن عقبه وأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

قولا لطلحه والزبير خطتما

بقتلكما عثمان خير قتيل (٣)

كتب أهل الجمل إلى البصره

ولما استقرَّ رأى طلحه والزبير ومن شايعهم على التوجّه إلى البصره، سأل الزبير

ص: ١٧٦

١- الامامه والسياسه: ١/٥٧.

٢- الامامه والسياسه: ١/ ٥٧.

٣- الفتوح: ٢/٤٥٣.

عبد الله بن عامر عن رجال البصره؟ قال:

ثلاثه، كلهم سيد مطاع، كعب بن مسور، والمنذر بن ربيعه، والأحنف بن قيس. فكتب طلحه والزبير إلى هؤلاء يُعلمانهم بقدمهما إلى البصره طالين بدم الخليفه المظلوم، يحثانهم على النصره. والقتال معهما للثأر.

فلما وصلت كتبهما إلى القوم، قام زياد بن مضر، والنعمان بن شوال، وغزوان، فقالوا:

ما لنا ولهذا الحى من قريش؟ أيريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه، ويدخلونا فى الشرك بعد ما خرجنا منه؟! قتلوا عثمان، وبايعوا علياً، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم (١).

كتاب كعب بن مسور

وكتب كعب إلى طلحه والزبير:

أما بعد: فإننا غضبنا لعثمان من الأذى والغير باللسان، فجاء أمر الغير فيه بالسيف، فإن يك عثمان قُتل ظالماً، فما لكما وله؟ وإن كان قتل مظلوماً، فغير كما أولى به. وإن كان أمره أشكل على من شهدته، فهو على من غاب عنه أشكل.

كما وكتب أيضاً الأحنف بن قيس، وأشار المنذر فى كتابه إليهما إلى أن عثمان

(قد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، وبدا لكم هذا الرأى؟).

فلما «قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا» (٢).

ص: ١٧٧

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه، تحقيق شيرى: ١/٨٠.

٢- الامامه والسياسه : ١/٥٨.

كلمه لعبد الله بن خلف

أتى عبد الله بن خلف طلحه والزبير قبل مسيرهما إلى البصره، فقال لهما: إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلا وقد بلغ أهل العراق. وقد كان منكما في عثمان من التجليب والتأليب ما لا يدفعه جحود، ولا ينفعكما فيه عذر، وأحسن الناس فيكم قولاً من أزال عنكما القتل وألزمكما الخذل. وقد بايع الناس علياً بيعة عامه، والناس لا قوكم غداً، فما تقولان؟

فقال طلحه:

ننكر القتل، ونقرّ بالخذل، ولا ينفع الإقرار بالذنب إلا مع الندم عليه، ولقد ندمنا على ما كان منا.

وقال الزبير:

بايعنا علياً والسيف على أعناقنا، حيث تواتب الناس بالبيعه إليه دون مشورتنا، ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الديه، ولا عمداً فيجب القصاص. فقال عبد الله بن خلف: عذركما أشد من ذنبكما(١).

قتله عثمان معك

ولما نزل طلحه والزبير وعائشه ب- (أوطاس) من أرض خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص ومعه المغيره، فنزل وتوگأ فأتى عائشه، فقال - سعيد بن العاص - لها:

أين تريدين يا أم المؤمنين؟

قالت: أريد البصره. قال: وما تصنعين بالبصره؟

قالت: أطلب بدم عثمان!

قال: فهؤلاء قتله عثمان معك. ثم أقبل على مروان فقال له: وأنت أين تريد أيضاً؟ قال: البصره.

ص: ١٧٨

قال: وما تصنع بها؟

قال: أطلب قتله عثمان.

قال: فهؤلاء قتله عثمان معك، إنَّ هذين الرجلين - طلحه والزبير - قتلا عثمان.

وسبق أن أشرنا إلى قول سعيد بن العاص حول قتله عثمان، وأنهم على أعجاز الإبل، وإنَّ مروان خارج معهم لعله يثار لعثمان، وفعلاً إنَّه رمى طلحه وأصابه بسهم.

ثم إنَّ المغيرة قال لهم:

إنَّ كنتم غضبتم لعثمان، فرؤساؤكم قتلوا عثمان(١).

طلحه وأهل البصرة

ولما نزل أهل الجمل البصرة، خطب طلحه بالناس، فقال:

يا أهل البصرة، توبه بحوبه - والحبوبه الهم والحزن(٢) إنما أردنا أن نستعتب عثمان ولم نرد قتله، فغلب السفهاء الحكماء حتَّى قتلوه.

فقال الناس لطلحه: يا أبا محمّد، قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا من ذمه والتحريض على قتله.

ثم أتى عبد الله بن حكيم التميمي بكتب كتبها طلحه إليهم يؤلّبهم فيها على عثمان، فقال له حكيم:

ص: ١٧٩

١- الامامه والسياسه: ١/٦٠.

٢- لسان العرب: ج ٣/٣٧٥.

أُتعرّف هذه الكتب؟

قال: نعم.

قال: فما حملك على التّأليب عليه أمس والطلب بدمه اليوم؟

فقال: لم أجد في أمر عثمان شيئاً إلاّ التّوبه والطلب بدمه (١).

الناكثون و والى البصره

ولمّا قرب أهل الجمل من البصره، خرج إليهم عثمان بن حنيف الأنصارى - وهو والى الامام عليه السّلام على البصره - فى شيعه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه، وهَمَّ بمحاربتهم، ثم إنّه كره القتال، ومشى بعضهم إلى بعض وسألوا الصلح إلى أن يقدم علىّ بن أبى طالب رضوان

الله عليه، على أن يكون المال ودار الأماره فى يد عثمان بن حنيف، فرضى الطرفان بذلك وكتبوا بينهم كتاباً (٢).

وفى (أنساب الأشراف) و (الطبرى) وغيرهما، إنّه قد نشبّ بينهما قتال، وكثرت القتلى، فجنحوا إلى الصلح والموادعه وكتبوا كتاب الصلح بينهم (٣).

ص: ١٨٠

١- أنساب الأشراف، البلاذرى: ٣/٢٨.

٢- الفتوح، ابن أعثم الكوفى: ٢/٤٥٨.

٣- يراجع أنساب الأشراف ج ٣/ ٢٦، وتاريخ الطبرى: ج ٥/٤٩٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلاح عليه طلحه والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين، وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين.

إنّ عثمان يقيم حيث أدركه الصلح على ما فى يده، وإنّ طلحه والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما فى أيديهما، حتّى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن مسور من المدينة، ولا يضارّ واحد من الفريقين الآخر فى مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرضه، بينهم عيبه مفتوحه حتّى يرجع كعب بالخبر، فإنّ رجوعه بأنّ القوم أكرهوا طلحه والزبير فالأمر أمرهما، وإنّ شاء عثمان خرج حتّى يلحق بطيته، وإنّ شاء دخل معهما. وإنّ رجوعه بأنهما لم يكرها فالأمر أمر عثمان، فإنّ شاء طلحه والزبير أقاما على طاعه على، وإنّ شاء اخرجا حتّى يلحقا بطيتهما، والمؤمنون أعوان الفالح منهما(١).

ومن خلال السياق للمنقول التاريخى فى (أنساب الأشراف) و (الامامه والسياسه) و (الفتوح) يُرجّح أن يكون ما أورده البلاذرى وابن قتيبه الدينورى هو الأصح وما يتناسب وسير الأحداث، وما كان من نقض الصلح من قبل أهل الجمل وهجومهم على عثمان بن حنيف ومن كان يصلّى معه، وقتل حرّاس بيت المال، وما فعلوا بعثمان بن حنيف حيث نتفوا شعره، وضربوه ثمّ حبس. ولم يذكر البلاذرى أنّه أرسل إلى على عليه السّلام كتاب، بل إنهم ينتظرون قدومه عليه السّلام.

ص: ١٨١

قال ابن قتيبه:

إنه لما اختلف القوم اصطلاحوا على أنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة ومسجدها وبيت المال، وأنّ ين-زل أصحابه حيث شاءوا من البصرة، وأنّ ين-زل طلحه والزبير وأصحابهما حيث شاءوا حتّى يقدم عليّ، فإنّ اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإنّ تفرقوا يلحق كلّ قوم بأهوائهم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمه نيّته، وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً.

فانصرف عثمان، فدخل دار الإمارة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنزلهم ويضعوا سلاحهم، وافترق الناس (١).

نقض العهد

وتناظر طلحه والزبير، فقال طلحه: والله، لئن قدم عليّ البصره ليأخذن بأعناقنا. فعزما عليّ تبيت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطأ أصحابهما عليّ ذلك، حتّى إذا كانت ليله ريح وظلمه جاءوا إلى ابن حنيف وهو يصلى بالناس العشاء الآخرة، فأخذوه وأمروا به فوطئ وطأ شديداً، ونتفوا لحيته وشاربيه، فقال لهما:

إنّ سهلاً حتّى بالمدينه، والله لئن شاكنى شوكة ليضعنّ السيف فى بنى أبيكما - يخاطب بذلك طلحه والزبير - فكفّما عنه وحبساه (٢).

ص: ١٨٢

١- الامامه والسياسه: ١/٦٥.

٢- أنساب الأشراف: ٣/٢٦.

إنّ طلحه والزبير بعثا عبد الله بن الزبير فى جماعه إلى بيت المال، وعليه قوم يكونون أربعين، ويقال:

أربعمائه، فامتنعوا من تسليمه دون قدوم علىّ، فقتلوههم ورئيسهم أبا سلمه الزطّى، وكان عبداً صالحاً^(١).

وقد قتل أيضاً قبل يوم الجمل حكيم بن جبله فى سبعين من قومه، وقتل أخوته الثلاثة؛ لأنّه عاهد عثمان بن حنيف أنّ دمه مضمون ولو لم يكن أميراً عليهم لوجب ذلك عليه لمكانته من الرسول صلى الله عليه وآله، وكان يحثّ قومه على قتال أهل الجمل^(٢).

ص: ١٨٣

١- أنساب الأشراف: ٣/٢٦.

٢- الامامه والسياسه: ١/٦٥.

أهم إحدائات أهل الجمل:

- ١- تأليب الناس فى مكّه وفى سواها على الخليفة على بن أبى طالب، وإظهارهم نكث بيعته والتوجه إلى البصره.
 - ٢- التصرف بأموال المسلمين التى هرب بها عبد الله بن عامر - والى عثمان سابقاً - من البصره.
 - ٣- نقض كتاب الصلح الذى كتبوه مع عثمان بن حنيف والى الامام على عليه السلام على البصره.
 - ٤- ضرب عثمان بن حنيف ورتف شعره وحبسه.
 - ٥- قتل حراس بيت المال فى البصره والاستيلاء على ما فيه عنوةً وغدرًا لما نقضوا ما اتفقوا عليه من انتظار قدوم على عليه السلام إلى البصره، ولكنهم يتتوا له وهجموا على عثمان وهو يصلى.
- ومع كل ذلك وما صدر منهم، إلا أن الامام علياً عليه السلام أجلهم ثلاثة أيام، وكاتبهم وراسلهم وأرسل إليهم من يحدثهم ويذكرهم الألفه والجماعه وإنهما بايعا طائعين، ولم يحدث على أمراً، ولم يخالف سنّه ولا كتاباً.

الزبير:

قال الامام علي عليه السلام:

يزعم أنه - يعنى الزبير - قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعه وادعى الوليجه، فليأت عليها بأمر يُعرف، وإلا فليدخل فيما خرج منه (١).

وخاطب طلحه والزبير قائلاً:

لقد نقمتمما يسيراً وأرجأتما كثيراً، ألا- تخبراننى أى شىء لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه، وأى قسم استأثرت عليكما به، أم أى حقّ دفعه إلّى أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه (٢)؟

فإن كنتما بايعتمانى طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتمانى كارهين، فقد جعلتما لى عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصيه (٣).

ثم إن الامام علياً عليه السلام يحدّد فى كلام له أسباب اجتماع الناكثين وخروجهم عليه، قال عليه السلام:

ص: ١٨٥

١- شرح النهج، محمّد عبده : ١/٤٢.

٢- شرح النهج: ١/٤١٩.

٣- شرح النهج: ج ٢/١١١.

ألا وإنَّ الشيطان قد ذمر حزبه، واستجلب جلبيه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه.

والله ما أنكروا عليّ منكرأً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفأً، وإنَّهم ليطلبون حقأً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فيه فإنَّ لهم نصيبهم منه، ولئن كانوا ولوه دوني فما التبعه إلاَّ عندهم، وإنَّ أعظم حجَّتهم لعلی أنفسهم، يرتضعون أُمأً قد فطمت، ويحيون بدعه قد أُميت(١).

وقد زعمت ما أني قتلت عثمان(٢)، فبينى وبينكما من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة، ثمَّ يلزم كلَّ أمرئ بقدر ما احتمل(٣).

وأرسل الامام عليه السَّلام ابن عبَّاس إلى الزبير وأوصاه أن يقول له:

يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق، فما عدا ممَّا بدا(٤).

تصويره عليه السَّلام لخروجهم عليه

فخرجوا يجزّون حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرّ الأُمه عند شرائها، متوجَّهين بها إلى البصره، فحبسا نساءهما فى بيوتهما وأبرزوا حبيس

ص: ١٨٦

١- شرح النهج، ابن أبى الحديد: ١/٣٠٣.

٢- انظر أنساب الأشراف: ٣/٢٥.

٣- شرح النهج، محمَّد عبده: ٢/١١١.

٤- شرح النهج، محمَّد عبده: ١/٧٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما، فى جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطانى الطاعه وسمع لى بالبيعه طائعا غير مكره (١).

ثم يخاطب طلحه والزبير قائلاً:

فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يجتمع العار والنار (٢).

وفى موضع آخر يشير إلى أنه استتابهما وتأنى حتى بدء القتال معهم، فقال عليه السلام:

ولقد استبتهما قبل القتال، واستأنيت بهما امام الوقاع، فغمط النعمه وردا العافيه (٣).

قتل جيش برجل

ويوضح الامام على عليه السلام ما فعلوا بشيعته وأنصاره، وما لقي واليه على البصره. ثم يؤكد الامام عليه السلام أن له أن يقيدهم - بقتل جيش أهل الجمل كله - لقتلهم رجل مسلم بلا ذنب ولا جرم. فيقول عليه السلام:

فقدموا على عاملى بها - أى البصره - وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفه صبراً، وطائفه غدرًا.

فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه، (لحل لى قتل ذلك الجيش كله)، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد، دغ ما أنهم قد قتلوا من المسلمين

ص: ١٨٧

١- شرح النهج محمد عبده : ١/٣١٩.

٢- شرح نهج البلاغه : ٢ / ١١١.

٣- شرح النهج، محمد عبده: ١ / ٢٥٦.

مثل العده التي دخلوا بها عليهم (١).

لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه (٢). فغفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقابلكم (٣).

كتب الامام عليه السلام لقاده حرب الجمل

كتابه إلى طلحه والزبير:

أما بعد: فقد علمتم أنني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتم ممن أرادوا بيعتي، ولم تبايعوا (لسلطان غالب، ولا لغرض حاضر) ... ودفعكم هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع لكم من خروجكم منه بعد إقراركم، وأما قولكم: أنني قتلت عثمان بن عفان، فبيني وبينكم من تخلف عني وعنكم من أهل المدينة ثم يلزم كل أمرئ بما يحتمل، وهؤلاء بنو عثمان بن عفان فليقرّوا بطاعتي ثم يخاصموا قتله أبيهم إلى.

وبعد فما أنتم وعثمان قتل مظلوماً! كما تقولان، أنتما رجلا من المهاجرين، وقد بايعتموني ونقضتم بيعتي، وأخرجتم أممكم من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه - والله حسبكم - والسلام (٤).

ص: ١٨٨

١- شرح النهج، محمد عبده: ١/٣١٩.

٢- شرح النهج : ٢/٤٣٨.

٣- شرح النهج: : ٢/٣٦.

٤- الفتوح: ٢/٤٦٥.

وكتب الامام عليّ - عليه السلام - إلى عائشه:

أما بعد: فإنك خرجت عاصيه لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس؟ تطالين بدم عثمان، ولعمري لمن عرّضك للبلاء وحملك على المعصيه أعظم إليك ذنباً من قتله عثمان وما غضبت حتى أغضبت، وما هجّت حتى هيجت، فاتقى الله، وارجعي إلى بيتك (١).

وفي تاريخ ابن أعثم: فطلبت! - زعمت - بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أميه وأنت امرأه من بني تيم بن مرّه (٢).

وقد كتبت عائشه:

جلّ الأمر عن العتاب، والسلام (٣).

وإنّ طلحه والزبير قد أجاباه:

يا أبا الحسن، قد سرت مسيراً له ما بعده، ولست براجع وفي نفسك منه حاجه، ولست راضياً دون أن ندخل في طاعتك، ونحن لا ندخل في طاعتك أبداً، واقض ما أنت قاضٍ، والسلام (٤).

ص: ١٨٩

١- الامامه والسياسه: ١/٦٦ - ٦٧.

٢- الفتوح: ٢/٤٦٥.

٣- الامامه والسياسه: ١/٦٧.

٤- الفتوح: ٢/٤٦٥ - ٤٦٦.

وجمع الامام عليّ عليه السلام الناس قبل نشوب القتال، فخطبهم خطبه بليغه، وقال:

أيها الناس، إني قد ناشدت هؤلاء القوم كيما يرجعوا ويرتدعوا فلم يفعلوا ولم يستجيبوا، وقد بعثوا إليّ أن ابرز إلى الطعان واثبت للجلاد، وقد كنت وما أهدد بالحروب ولا أدعى إليها وقد أنصف القاره من راماها. ولعمري، لئن أبرقوا وأرعدوا فقد عرفوني ورأوني، ألا! وإنّ الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، ومن لم يمت يقتل، وإنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربه بالسيف أهون عليّ من موته على الفراش. ثم رفع يده إلى السماء وهو يقول: اللهم إنّ طلحة بن عبيد الله أعطانى صفقه يمينه طائعاً ثمّ نكث بيعته، اللهمّ فعاجله ولا- تميطه. اللهمّ إنّ الزبير بن العوام قطع قرابتي ونكث عهدي وظاهر عدوى ونصب الحرب لي وهو يعلم أنّه ظالم، فاكفنيه كيف شئت وأنى شئت (١).

وقد سأل الناس الامام عليه السلام بعد أن كَلّم طلحة والزبير، فقال عليه السلام:

إنّ شأنهما لمختلف، أمّا الزبير فقاده اللجاج، ولن يقاتلكم، وأمّا طلحة فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل، ولقيته باليقين، ولقيني بالشكّ، فوالله ما نفعه حقّي، ولا ضرّني باطله، وهو مقتول غداً في الرعيل الأوّل (٢).

ص: ١٩٠

١- الفتوح: ٢/٤٦٨.

٢- الامامه والسياسه: ٢/٦٨١.

وروى أن الامام الحسن بن علي عليه السلام خطب يوم الجمل وقبل التحام الجيشين - ردّاً على مزاعم ابن الزبير - فحدّد هويّه من يقاتلون، وإنّهم أهل باطل وليسوا بأنصار عثمان بن عفّان، قال عليه السلام:

فأما زعمه أنّ عليّاً قتل عثمان فقد علم المهاجرون والأنصار بأنّ أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتنى عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحه راكد رأيته على باب بيت ماله وهو حيّ، فإنّ أعظم حجّه أبيه الزبير أنّه زعم أنّه بايعه بيده دون قلبه، فهذا إقرار بالبيعه، وأمّا تورّد أهل الكوفه على أهل البصره فما يعجب من أهل حقّ وردوا على أهل باطل، ولعمري ما نقاتل (أنصار عثمان)، ولعلي أنّ يقاتل أتباع الجمل. والسلام (١).

معاويه والناكثون

لما بلغ معاويه بن أبي سفيان خروج الزبير وطلحه وعائشه كتب إلى الزبير محرّضاً له ومظهراً تأييده له، بل يخبره أن بايع له، وقد جاء في كتابه: «أما بعد فقد بايعت لك أهل الشام؛ فأجابوا واستوثقوا كما يستوثق الجلب؛ فدونك الكوفه والبصره لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحه بن عبيد الله من بعدك، فأظهر الطلب بدم عثمان أظفر كما الله، وخذل مناوئكما» (٢)؛ فمخيله معاويه فضائها رحب لا يحد مكرّاً وغدراً، فإن

ص: ١٩١

١- الفتوح: ٢/٤٦٦-٤٦٧.

٢- شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ١/٢٣١.

ظهرا فهما أوهون عليه إذا ما أراد أن يواجههما، وإن غلبهما على، فهو بذلك كاسب الود القرشى المضاد فى كلها لعلى. هكذا كان يقرأ معاويه الأحداث نافذاً منها مؤلفاً بينها؛ كى ينتهى بها أو تنتهى به إلى غاية يسعى إليها (تولى الأمر).

ص: ١٩٢

انصراف الزبير:

ولمّا لم يجد الامام عليه السلام أىّ تغير فى موقف أتباع الجمل، ورأى تبعأتهم وتهيأهم للقتال، خرج فوقف بين الصّفين ثم نادى بأعلى صوته:

أين الزبير بن العوام؟، فليخرج إلى.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجج فى الحديد؟!!

فقال رضوان الله عليه: ليس علىّ منه بأس، فامسكوا. قال: ثم نادى الثانية أين الزبير بن العوام؟ فليخرج إلى.

فخرج إليه الزبير، ونظرت عائشه فقالت:

واثكل أسماء! - زوج الزبير - فقيل لها: يا أمّ المؤمنين، ليس علىّ الزبير بأس، فإنّ عليّاً بلا سلاح فأطمئنت(١).

ثم قال الامام علىّ عليه السلام:

يا زبير، قف بنا حجزه، فتواقفا حتىّ اختلفت أعناق فرسيهما، فقال:

ويحك يا زبير، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لى: أما إنّ ابن عمّتك (أى الزبير) هذا سيبغى عليك ويريد قتالك ظالماً؟

ص: ١٩٣

قال الزبير: اللهم بلى، فخرج من العسكر متوجّهاً إلى المدينة، فقتله ابن جرموز بوادي السباع(١).

وقد رويت هذه الحادثة بألفاظ مختلفه في المصادر الأخرى إلا أنّها تتفق على قول رسول الله - صلى الله عليه وآله - للزبير: يا زبير، إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم(٢).

الزبير وعائشه:

ثمّ رجع الزبير إلى عائشه وهي واقفه في هودجها، فقالت:

ما وراؤك يا أبا عبد الله؟

فقال الزبير: ورائي والله ما وقفت موقفاً قطّ، ولا شهدت مشهداً من شرك ولا إسلام إلاّ ولى فيه بصيره، وأتى اليوم لعلّي في شك من أمرك، وما أكاد أبصر موضع قدمي!

فقالت عائشه: لا والله، ولكنك خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنّها طول حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها لقد خافها الرجال من قبلك(٣).

ولعبد الله بن الزبير محاوره مع أبيه تضمّنت نفس المضمون والدلاله(٤).

الامام على عليه السّلام وطلحه بن عبيد الله:

ص: ١٩٤

١- أنساب الأشراف: ٣ / ٤٩. (موضع الوادي بين البصره ومكه وعلى بعد خمسه أميال من البصره). شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد، ٩ / ١١٤.

٢- الامامه والسياسه: ١ / ٦٨. ويراجع الفتوح: ٢ / ٤٦٩ - ٤٧٠.

٣- الفتوح: ٢ / ٤٧٠. شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد، ٢ / ١٦٧.

٤- أنساب الأشراف: ٣ / ٥٢.

إنَّ الامام علياً عليه السَّلام نادى طلحه بعد انصراف الزبير، فقال:

يا أبا محمَّد، ما جاء بك؟

قال: أطلب دم عثمان.

قال عليٌّ: قتل الله أولانا بدم عثمان (١).

قال طلحه: فخلَّ بيننا وبين من قتل عثمان، أما تعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّما يحلُّ دم المؤمن في أربع خصال، زانٍ فيرجم، أو محارب لله، أو مرتد عن الإسلام، أو مؤمن قتل مؤمناً عمداً. فهل تعلم أن عثمان أتى شيئاً من ذلك؟

فقال عليٌّ: لا.

قال طلحه: فأنت أمرت بقتله.

قال عليٌّ: اللهم لا.

قال طلحه: فاعتزل هذا الأمر ونجعله شورى بين المسلمين، فإنَّ رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس، وإنَّ رضوا غيرك كنت رجلاً من المسلمين.

قال عليٌّ: أولم تبايعني يا أبا محمَّد طائعاً غير مُكره؟ فما كنت لأترك بيعتي.

قال طلحه: بايعتك والسيف على عنقي.

قال عليٌّ:

ألم تعلم أنَّي ما أكرهت أحداً البيعه، ولو كنت مُكرهاً أحداً لأكرهت سعداً - ابن أبي وقاص - وعبد الله بن عمر ومحمَّد بن مسلمه، أبو البيعه واعتزلوا، فتركتهم. ثم قال: إنما كان لكما الأ- ترضيا قبل الرضى وقبل البيعه، وأما الآن فليس لكما غير ما رضيتما به، إلا أن

ص: ١٩٥

تخرجوا مما بويعت عليه بحدث، فإن كنت أحدثت حدثاً فسّموه لى. وأخرجتم أممكم عائشه وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أرى هذا لرسول الله أن تهتكوا سترأ ضربه عليها، وتخرجوها منه؟

فقال طلحه: إنما جاءت للإصلاح.

قال على: هى لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج. أيها الشيخ، اقبل النصيح وارض بالتوبه مع العار قبل أن يكون العار والنار(١).

وفى المسعودى: إن الامام علياً عليه السلام قال لطلحه:

أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه!» وأنت أول من بايعنى ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: {وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} (٢).

فقال: أستغفر الله، ثم رجع.

فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير ويرجع طلحه، ما أبالى رميت ههنا أم ههنا، فرماه فى أكحله فقتله(٣).

بدء القتال

إن الامام علياً عليه السلام قبل بدء القتال مع أهل الجمل - وكانوا قد قتلوا أحد أصحابه - دعا بمصحف، ونادى فى أصحابه:

أيها الناس، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟

ص: ١٩٦

١- الامامه والسياسه: ١/٧٠.

٢- سوره الفتح: ١٠.

٣- مروج الذهب: ٢/٣٦٤-٣٦٥.

فوثب غلام من مجاشع يقال له مسلم، عليه قباء أبيض فقال:

أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فقال له عليّ: يا فتى، إنّ يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى فتقطع، ثمّ تُضرب عليه بالسيف حتّى تقتل.

فقال الفتى: لا صبر لى على ذلك.

ثمّ نادى عليّ الثانى والمصحف فى يده.

فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فهذا قليل فى ذات الله.

ثمّ أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء، هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم. قال: فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بشماله فقطعت، فاحتظن المصحف بصدره، فضرب على صدره حتّى قتل رحمه الله (١).

فقال عليّ: الآن حلّ قتالهم.

وقالت أمّ الفتى - مسلم - بعد ذلك تريه:

لا هم إنّ مسلماً دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

وأُمّهم قائمه تراهم يأترون الغى

لاتنهاهم قد خضبت من علق لحاهم (٢).

عدد من حضر وقعه الجمل

اختلفت المرويّات فى عدد جند الامام عليّ عليه السّلام، وعدد جند المرأه كما اختلفوا فى قتلى الفريقين أيضاً بين مقلّ ومكثر.

ص: ١٩٧

١- الفتوح: ٢/ ٤٧٢-٤٧٣.

٢- تاريخ الطبرى: ٥/ ٥٤٦.

وقد ذكروا أنّ من حضر مع الامام عليّ عشرون ألفاً، وأما عائشه فكانت في ثلاثين ألفاً ويزيدون(١).

بيعه أهل البصره

وبعد أنّ انتهت المعركه، دخل الامام عليّ عليه السّلام البصره، فبايعه أهلها على رايتهم، حتّى الجرحى والمستأمنه، ثم إنّ عليه السّلام وليّ عبد الله بن عباس البصره(٢).

كتاب الامام عليه السّلام إلى عامله بالكوفه

وكتب عليّ بالفتح إلى عامله بالكوفه:

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين.

أما بعد: فإنّنا التقينا في النصف من جمادى الآخره بالخريبه - فناء من أفنيه البصره - فأعطاهم الله عزّ وجلّ سنه المسلمين وقتل منا ومنهم قتلى كثيره(٣).

ترحيل عائشه إلى المدينه

وأمر الامام عليّ عليه السّلام ابن عباس أنّ يذهب إلى عائشه، فيقل لها:

أنّ ترتحل إلى المدينه، وفعلاً - جهّزت، وأمر الامام عليّ عليه السّلام أنّ يرسل معها أربعين امراه - وفي روايه (سبعين) - وأنّ يتزيين بزى رجال، عليهم عمائم، فجعلت عائشه تقول في طريقها: فعل بي عليّ

ص: ١٩٨

١- الفتوح: ٢/ ٤٨٧.

٢- أنساب الأشراف: ٣/ ٦٢.

٣- تاريخ الطبرى: ٥/ ٥٧٩.

وفعل، ثم وجه معي رجالاً يردوني إلى المدينة! فسمعتها امرأة منهن فحرّكت بغيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحكى يا عائشه، أما كفاك ما فعلت حتى إنك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين! ثم تقدّمت النسوة وسفرن عن وجوههن، فاسترجعت عائشه، واستغفرت (١).

وكان لبعض الصحابه - عمّار بن ياسر - محاوره وحديث مع عائشه، وكذا إن محمّد بن أبي بكر جاءها لائماً لما كان منها، وتركها لبيتها ومجيئها محاربه لأمير المؤمنين عليه السلام (٢).

ثم إن الامام عليّاً عليه السلام بعد مبايعه أهل البصره له وتأميره لعبد الله بن عباس على البصره وزياد على خراجها، قصد الكوفه بمن معه.

ص: ١٩٩

١- الفتوح: ٢/٤٨٦-٤٨٧.

٢- راجع تاريخ اليعقوبى، ومروج الذهب، وتاريخ الطبرى (وقعه الجمل) حول محاورات عمّار ومحمّد بن أبي بكر وابن عباس مع عائشه.

١- أن لا يحمل على جريح.

٢- أن لا يتبع هارب.

٣- أن لا تهاج امرأه.

٤- أن يأخذ السلاح الذي قوتل به، وما كتب عليه اسم السلطان يرجع إلى بيت المال.

٥- أن لا تُسبى النساء والأطفال.

ثم كانت سيرته حجة اتبعها فقهاء المسلمين وعلمائهم، حتى قيل: لو لا قتال عليّ أهل القبلة ما عرفنا حكم قتالهم.

ومن خلال تتبع المنقول التاريخي في المصادر المختلفه يتحصل:

(١) إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحدث أمراً أو يبدل سنّه.

(٢) لم يكتب له أو يحاججه أي من أهل الجمل قبل خروجهم عليه.

(٣) ثبت من خلال أحداث ومواقف مختلفه أن أول من بايع الامام علياً عليه السلام طلحه مختاراً لا مكرهاً، وكذا الزبير بن العوام

لم يُكرهه على البيعه.

(٤) عدم إكراه الامام عليه السلام لبعض الصحابه، كسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمه، وزيد بن حارثه، وغيرهم، ولم يُكره

عبد الله بن عمر على بيعته، دليل يضاف على عدم إكراه طلحه والزبير.

(٥) إنّ أصحاب الجمل لهم اليد الطولى فى مقتل الخليفة؛ لذا طلب الامام عليه السّلام منهم أن يقرّ له ولد عثمان باليعة ومن ثمّ يتحاكمون إليه، وإنّه سيقْتَصَّ ممّن شرك فى دم عثمان بن عفّان.

(٦) إنّ الامام عليه السّلام اتّهم قاده الجمل بقتل عثمان بن عفّان.

(٧) لم يبدأ الامام القتال حتّى قتلوا جماعه من أصحابه وشيعته، وحتّى أعذر وأنذر، ولما لم يستجيبوا له قاتلهم؛ لأنّه كان يرى عدم قتالهم (كفر بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٨) وإنّ معاويه فى أحد كتبه إلى الامام عليّ عليه السّلام يقول:

(ولا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحه والزبير، كانا بايعاك فلم أبايحك أنا)(١).

وفى قول معاويه تأكيد لبيعه طلحه والزبير، ومن يبايع ليس له أن ينقض إلّا بحدث من الخليفة أو تبديل، فيجوز خلعه ومبايعه غيره؛ وهذا ما لم يُشر إليه المنقول التاريخي.

ص: ٢٠١

وقعه صفين

بعد مقتل قاده الجمل وما أصيبوا به من هزيمه نكراء، ومبايعه أهل البصره؛ توجه الامام على عليه السّلام إلى الكوفه بمن كان معه ممن خرجوا من المدينه أو التحقوا به عليه السّلام خلال مسيره إلى البصره؛ وعند دخوله الكوفه بدء بالتعبئه وحث المسلمين من مهاجرين وأنصار، وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لقتال القاسطين، معاويه وأهل الشام ومن انضم إليهم، وإنّ الرسول صلى الله عليه وآله هو الذى أطلق عليهم هذه التسميه: "القاسطون".

وقد أتضح سابقاً - خلفه عثمان - أن أحد الأسباب التى أثارت المسلمين على عثمان بن عفان، فساد ولائه وسوء تصرفاتهم، لذا كانت أولى خطوات الامام فى الإصلاح الإدارى أمر بعزل ولاه عثمان، وتوليّه أكفاء وثقات بدلاً عنهم، ولم يعبأ بمشوره ابن عباس، والمغيره فى إبقاء معاويه على ولايه الشام وما حولها(١)، ثم كان عصيان معاويه واعتزاله بالشام وأهلها، وكان قد وليها أيام الخليفه الثانى عمر بن الخطاب بعد وفاه أخيه يزيد بن أبى سفيان(٢)، وكان معاويه خرج إلى الشام فى بدايه

ص: ٢٠٢

١- ضم عثمان الأجناد الأربعة، يراجع: تاريخ اليعقوبى: ٢/١٢٧ - ١٧٨، وتاريخ الطبرى (٨- مجلدات): ٢/ ٥٨٥، ٣/ ٩٨ . طبعه مؤسسه الأعلمى - بيروت.

٢- أسلم يزيد يوم فتح مكه (سنه ٨ هجرية)، وتوفى بالطاعون عام (١٨ هجرى) فى خلافه عمر بن الخطاب. شرح الأخبار، القاضى النعمان المغربى، وفاته عام ٣٦٣هـ -: ١/٨٨.

خلافه أبي بكر وبقي فيها إلى أن مات سنة (٦٠) هجرية، أي انه حين تولى الامام علي عليه السلام الخلافة كان قد مضى على وجوده في الشام حوالي (٢٠) عاماً أو تزيد على ذلك، مما ساعده في تقوية مركزه وأن يأتلف أهل الشام، ولم يتولى عليهم غيره خلال هذه الفترة مما عمق وجذر وجوده فيها، ولذا كان الشاميون أهل طاعه وسمع له، ثم إنه قد صاهرهم فقوى نفوذه في الشام وامتدت سلطته إلى فلسطين وغيرهما.

ويضاف إلى ذلك قله مخالطه أهل الشام لأهل الأمصار، الحجاز وغيرها وليس فيهم المهاجر ولا الأنصاري، ومعاويه من مسلمه الفتح، فصحب ذلك قله معرفه أهل الشام بكثير من الأمور المتعلقة بالرسالة وتفصيلاتها مما مهد لمعاويه أن ينفصل بها ويمتنع عن بيعه الخليفة الشرعي الامام علي عليه السلام، ومن ثم الخروج عليه وقتاله، ولم يجد معارضة من الشاميين، بل وجد التأييد والطاعة والانقياد له، علماً أنه ليس من أهل السابقه ولا من المهاجرين، بل شارك قريش مع أبيه وأخوته في حروبها ضد الرسول صلى الله عليه وآله حتى فتحت مكة عام (٨ هجرية).

ولم يكن معاويه يتورع عن اتخاذ أية وسيلة تمكنه من السيطرة والاستيلاء على السلطه والخلافه، حتى روى أنه قد دعا إلى بيعته بعد مقتل عثمان، وكان يشيع في أهل الشام أن علي بن أبي طالب، لا يصوم ولا يصلي، وأنه قتل عثماناً وألب عليه، حتى أن أحد رجالات الشام في بدايه معركه صفين إلتقاه هاشم المرقال وكان يسب الامام عليه السلام والصحابه، وقال لهاشم أن صاحبكم لا يصوم ولا يصلي، وحاوره هاشم حتى رجع ذلك الشخص عما كان يتبناه، واتضح له أن الامام عليه السلام ومن معه من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله هم أهل الحق وأن معاويه قد أغرى وخذع أهل الشام.

كما كان من وسائل معاوية محاولته شراء الذمم، فقد كاتب الكثير ممن كانوا مع الامام على عليه السلام يمنيهم ويغريهم، ففشل مع الأغلب منهم، ونجح مع البعض ممن كانت همته الدنيا، كالأشعث بن قيس وغيره.

وكان الامام على عليه السلام في بدء مكاتباته لمعاوية يدعوه وأهل الشام إلى كتاب الله تعالى، كما دعاه إلى أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون كافة، ومن ثم صرح له الامام عليه السلام أن يحاكم قتله عثمان، ولم يكن هم معاوية إلا السلطه والتسلط، ولم يستنكر عليه أهل الشام أمراً؛ ولما كانت وقعه صفين ودارت رحى الحرب ضد معاوية وكاد أن يفتر، لولا خديعه عمرو ابن العاص برفع المصاحف، واختلاف وافتراق أصحاب الامام على عليه السلام.

وقد سميت «وقعه صفين» بذلك لأنها حدثت في موضع - صفين - بقرب الرقه على شاطئ الفرات من الجانب الغربي (١)، شرقى بلاد الشام (٢). وقد حدثت في غره صفر عام ٣٧هـ.

أطراف الصراع:

- الامام على عليه السلام الخليفه الشرعى، ومعاوية بن أبى سفيان والى عثمان على الشام.
- جيش الامام على عليه السلام، يكون من المهاجرين والأنصار - صحابه النبى صلى الله عليه وآله - وأهل البصره واليمن والكوفه وغالبية المسلمين وكان تعداد جيش الامام عليه السلام بين (٩٠

ص: ٢٠٤

١- معجم البلدان، ياقوت الحموى: ٣/٥٧١.

٢- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٢٦٨.

- (١٢٠) ألف مقاتل. وقتل منهم خمسة وعشرون ألفاً، منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر (١).

- جيش معاوية (القاسطون): وكان أغلبه من أهل الشام وبعض قبائل اليمن الذين نزلوا الشام ولم يكن فيه إلا مسلمة بن مخلد والنعمان بن بشير من الأنصار، ولم يذكر المؤرخون مشاركته لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله مع معاوية بن أبي سفيان.

وكان تعداد جيشه بين (٨٥ - ٩٠) ألف مقاتل (٢). وقد قتل في المعركة منهم خمسون وأربعون ألفاً.

ويذكر اليعقوبي أنه كان مع علي من أهل بدر سبعون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل.

قميص عثمان:

ولما قتل عثمان بن عفان، كتبت نائلة بنت الفرافصة - زوج عثمان - إلى معاوية تخبره بكيفية قتل عثمان وما آل إليه أمره، ثم أرسلت النعمان بن بشير الأنصاري إلى معاوية بقميص عثمان وعليه دمه، وعقدت شعر لحيته في زر قميصه (٣)، ولما وصل النعمان إلى معاوية، جعل معاوية القميص على المنبر في مسجد دمشق وجمع حوله أهل الشام وتباكى وأبكاهم مطالباً بدم الخليفة المقتول واشتد أهل الشام على معاوية

ص: ٢٠٥

١- معجم البلدان: ٣/٥٧١.

٢- تاريخ المسعودي: ٣/٣٧٥، ويراجع البدايه والنهايه: ٧/٢٧٢.

٣- الامامه والسياسه: ١/٤٥.

فدعوه للثأر والمطالبه بدم الخليفه وقتل من ساهم فى قتله(١).

سير الأحداث:

مبعوث الامام عليه السلام إلى معاويه

لقد أرسل الامام على عليه السلام جرير البجلي إلى معاويه، وقال له:

أيت معاويه بكتابى فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه، وأعلمه أنى لا أرض به أميراً، وأن العامه لا ترضى به خليفه.

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاويه - فدخل عليه - وأخبره باجتماع الناس من أهل الحرمين ومصر وأهل الحجاز، واليمن وأهل العروض وعمان والبحرين واليمامة، فلم يبق إلا- أهل هذه الحصون التى أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها. ومن ثم قال جرير لمعاويه: وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعه هذا الرجل. ودفع إليه كتاب على ابن أبى طالب(٢).

نص كتاب الامام على عليه السلام لمعاويه؛ وقد أرسله إليه بعد وقعه الجمل:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإن بيعتى بالمدينه لزمتهك وأنت فى الشام؛ لأنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.

وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه

ص: ٢٠٦

١- وقعه صفين، نصر بن مزاحم: ٣٢.

٢- تاريخ الطبرى: ٥/٦٠٠.

اماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه ردوه إلى ما خرج منه! فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيراً.

وإن طلحه والزبير بايعاني ثم نقضوا بيعتي؛ فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية، إلا أن تتعرض للبلاء...

وقد أكثرت في قتله عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخذعه الصبي عن ثدى أمه، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان(١).

واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى.

وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة، فبايع ولا قوه إلا بالله(٢).

وروى ابن أعثم، إنَّ الامام علي عليه السلام أرسل الحجاج بن عمر بن غزويه الأنصاري إلى معاوية بكتاب، فلما دخل على معاوية قال له:

أظنك ممن قتل عثمان بن عفان!

ص: ٢٠٧

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه، تحقيق د. طه الزيني: ١/٨٥.

٢- وقعه صفين: ٢٩. العقد الفريد: ٣٣٣-٤/٣٣٤، ويراجع الفتوح: ابن أعثم: ٢/٥٠٦، للمقارنه بين نص الكتاب فيهما.

فقال الأنصاري: وأظنك يا معاوية ممن استنصره عثمان فلم ينصره ولكن خذله وقعد عنه، فغضب معاوية وقال: ارجع إذاً لصاحبك بغير جواب فإن رسولي في أثرك إن شاء الله تعالى(١). وقيل أن معاوية أرسل كتاباً للامام علي عليه السلام لم يضمنه إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

ص: ٢٠٨

١- الفتوح : ٢/٤٩٨-٤٩٥.

لما ورد على معاوية النعمان بن بشير بكتاب (ناثله بنت الفرافصة): قال أهل الشام لمعاوية:

هو ابن عمك - أي عثمان - وأنت وليه، ونحن الطالبون معك بدمه، فبايعوه أميراً عليهم، وكتب وبعث الرسل إلى كور - مدن - الشام، وكتب إلى شرحبيل بن السمط الكندي وهو بحمص. يأمره أن يبايع له بحمص كما بايع له أهل الشام، فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشرف أهل حمص؛ فقال لهم: ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن بايع لمعاوية أميراً، وهذه سقطه، ولكننا نبايع له بالخلافه، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفه؛ فبايع هو وأهل حمص لمعاوية بالخلافه - مع أن البيعه الشرعيه كانت سابقه من أهل الحل والعقد لعلي في المدينه - ثم كتب إلى معاوية: أما بعد:

فإنك أخطأت خطأ عظيماً حين كتبت إلى أن أبايع لك بالإمره، وإنك تريد أن تطلب بدم الخليفه المظلوم وأنت غير خليفه، وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافه(١)؛ فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك، ودعا الناس، وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل، ودعاهم إلى بيعته بالخلافه، فأجابوه، ولم يتخلف منهم أحد، فلما بايع القوم له

ص: ٢٠٩

١- وكان ذلك أواخر عام (٣٥) وبدايه عام (٣٦).

بالخلافه، واستقام له الأمر، كتب إلى علي (١).

كتاب معاويه

سلام الله على ما اتبع الهدى. أما بعد، فإن كنا نحن وإياكم يداً جامعاً، وألفه أليفه، حتى طمعت يابن أبي طالب فتغيرت، وأصبحت تعد نفسك قوياً على من عاداك، بطغام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحمقى الفسطاط (أهل مصر) وغوغاء السواد وأيم الله لينجلين عنك حمقاها، ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء؛ قتلت عثمان بن عفان، ورقيت سلماً أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك. وقتلت الزبير وطلحه، وشردت بأمك عائشه، ونزلت بين المصريين (البصره والكوفه) فمنيته وتمنيته، وخيل لك أن الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وأن تعرف أمنيته لو قد زرتك في المهاجرين من أهل الشام بقيه الإسلام، فيحيطون بك من ورائك، ثم يقضى الله علمه فيك، والسلام على أولياء الله (٢).

كتاب الامام عليه السلام لمعاويه

أما بعد، فقدرد الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جند، ولا يشتغل بالهزل من قوله، فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق، أوثق عندي من قوتي بالله ومعرفتي به؛ فليس عنده بالله يقين من كان على هذا، فجاج نفسك مناجاه من يستغنى بالجد دون الهزل، فإن في القول

ص: ٢١٠

١- الامامه والسياسه: ١/٧٤.

٢- الامامه والسياسه: ١/٧٤-٧٥.

سعه، ولن يعذر مثلك فيما طمع إليه الرجال.

وأما ما ذكرت من أنا وإياكم يداً جامعاً فكنا كما ذكرت، ففرق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله منا، فأمننا به وكفرتكم، ثم زعمت أنى قتلت طلحة والزبير، فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره، ولو حضرته لعلمته، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك، وزعمت أنك زائري في المهاجرين، وقد انقطعت الهجره حين أسر أخوك، فإن يك فيك عجل فاسترقه - تأن واسترح - وإن أزررك فجدير أن يكون الله بعثنى عليك للنقمه منك، والسلام(١).

كما كتب معاويه إلى الامام عليه السّلام يذكر فيه أن الله اصطفى نبيه وجعله الأمين على وحيه، وإن الله اختار من المسلمين له أعواناً، وذكر فيه أنه كان أفضلهم وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفه الخليفه الثالث، ويشير معاويه في كتابه إلى أن الامام عليه السّلام قد حسدهم، وبغى عليهم، ويعلل معاويه ذلك بقوله: (عرفنا ذلك في نظر ك الشزر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك على الخلفاء...).

فأجابه الامام على عليه السّلام بكتاب ضمنه صدق وعد الله سبحانه للرسول صلى الله عليه وآله بالنصر وتمكينه في البلاد، كما ذكر أن الله أظهره على الأعادي من قومه - تعريض بمعاويه وبنى أميه، فهم قاده الأ-حزاب- الذين أظهروا له التكذيب، وألبوا عليه العرب، ونابدوه بالعداوه، وظاهروا على إخراج اصحابه، وخربوا الأ-حزاب، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وذكرت أن الله أختار من المسلمين أعواناً أيده بهم، فكانوا في منازلهم عنده على

ص: ٢١١

قدر فضائلهم فى الإسلام ... وذكر أن عثمان كان فى الفضل ثالثاً فإن كان محسناً فسيلقى ربا شكوراً يضاعف الحسنات ويجزيه الثواب

العظيم. وإن يك مسيئاً فسيلقى رباً غفوراً، لا يتعاضمه ذنب يغفره(١).

سهم أهل البيت عليه السلام

ولعمري إنى لأرجو إذا الله أعطى الأسهم أن يكون سهمنا «أهل البيت» أوفر نصيب، وإيم الله، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنصح لله فى طاعه الله ورسوله ولا أنصح لرسول الله فى طاعه الله، ولا أصبر على البلاء والأذى فى مواطن الخوف، من هؤلاء نفر من أهل بيته، الذين قتلوا فى طاعه الله عبيد بن الحارث يوم بدر، وحمزه بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر بن أبى طالب يوم مؤته، وفى المهاجرين خير كثير، جزاهم الله بأحسن أعمالهم(٢).

الإبطاء عن الخلفاء:

وذكرت إبطائى عن الخلفاء وحسدى إياهم والبغى عليهم؛ فأما البغى، فمعاذ الله أن يكون(٣)، وأما الكراهه لهم، فو الله ما أعتذر للناس من ذلك(٤).

ص: ٢١٢

-
- ١- المناقب، الموفق أحمد بن محمد الخوارزمي: ٢٥٢.
 - ٢- أنساب الأشراف البلاذري: ٣/٦٩.
 - ٣- ففى معركة نهاوند كان الامام (ع) الوحيد من بين الصحابه الذين أشار على عمر بن الخطاب أن لا يخرج لقياده الجيش الاسلامى لأن الفرس سيبدلون جهدهم لقتله كى يهزم المسلمون، الفتوح: ١/ ٢٨٩- وما بعدها.
 - ٤- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٥/٧٨.

وذكرت بغى على عثمان وقطعى رحمه، فقد عمل عثمان بما قد علمت، وعمل به الناس ما قد بلغك.

فقد علمت أنى كنت من أمره فى عزله، إلا أن تجنى، فتجن ما شئت (١).

قتله عثمان

وأما ذكرت من أمر قتله عثمان فأنى نظرت فى هذا الأمر وضربت أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيرك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ولا يكلفونك أن تطلبهم فى سهل ولا جبل، ولا بر ولا بحر (٢).

طلب البيعه

وقد كان أبوك أبو سفيان أتانى حين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

أبسط يدك أبايعك، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.

فكنت أنا الذى أبيت عليه مخافه الفرقة بين المسلمين لقرب عهد الناس بالكفر؛ فأبوك أعلم بحقى منك، وإن تعرف من حقى ما كان أبوك يعرفه تصب رشداً. وإلا فنستعين الله عليك (٣).

وإن الامام علياً عليه السلام يستنكر على معاويه، أن يتدخل فى أمر الخلافة وأمور المسلمين بأى مستوى كانت، لعدم أهليته لذلك قال عليه السلام:

ص: ٢١٣

١- المناقب، الموفق الخوارزمي: ٢٥٢، وشرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ٧٧-٧٨.

٢- وقعه صفين: ٩١.

٣- العقد الفريد: ٣٣/٤ - ٣٥ - ٣٦.

(... وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما لللقاء وأبناء الطلقاء والتميز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم (١)).

الإيمان يجمع ويفرق

الامام على عليه السّلام يقول لمعاويه:

أما بعد فقد كنا وإياكم على ما ذكرت من الألفه والجماعه، ففرق بيننا وبينكم؛ أمس أن آمننا وكفرتكم، واليوم أنا استقمنا وفتنتكم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها (٢).

ص: ٢١٤

١- نهج البلاغه، ترتيب صبحي الصالح: كتاب: ٣٨٤-٤٨/٣٨٤-٣٨٥.

٢- شرح النهج، محمد عبده: ٢/١٢٢.

لما أتى على الرقة نزل على شاطئ نهر البليخ على جانب الفرات؛ وكان هناك راهباً؛ فنزل من الصومعه، فقال يا أمير المؤمنين: إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام أعرضه عليك؟ فقال على: نعم! فقرأ الراهب الكتاب.

(بسم الله الرحمن الرحيم الذى قضى وسطر فيما سطر؛ وكتب فيما كتب أنه باعث فى الأميين رسولا- منهم يعلمهم الكتاب والحكمه ويزكيهم ويدلهم على سبيل الله، لا غظ ولا غليظ، ولا يجزى بالسيئه السيئه، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل شرف، وفى كل صعود وهبوط، وتذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير وينصره الله على كل ناوأه فإذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله، ثم يمر رجل من أمته بشاطئ الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولا يرتشى فى الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد - أو قال التراب - فى يوم عصفت فيه الرياح والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف الله فى السر، وينصح فى العلانيه، ولا- يخاف فى الله لومه لائم، فمن أدرك ذلك النبى من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنه، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهاده).

ثم قال لعلى: أنا صاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك،

فبكى على، ثم قال: الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده نسياً منسياً، والحمد لله الذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار(١).

وإن الراهب قد صحب الامام على عليه السّلام حتى أصيب يوم صفين، وصلى عليه الامام عليه السّلام ودفنه.

كتاب الامام على عليه السّلام لجرير البجلي:

كان جرير بن عبد الله البجلي والياً لعثمان بن عفان على ثغر همدان فكتب - الامام على عليه السّلام - إليه مع زحر بن قيس الجعفى:

نص الكتاب:

(أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دون من وال. وإنى أخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحه والزبير، عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملى عثمان بن حنيف.

إنى هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار، حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن على، وعبد الله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة، فاستنفروهم فأجابوا، فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصره فأعدرت فى الدعاء، وأقلت العثره وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا إلا قتال، فاستعنت بالله عليهم، فقتل من قتل وولوا مدبرين إلى مصرهم، فسألونى ما كنت دعوتهم إليه قبل

ص: ٢١٦

١- وقعه صفين: ١٥-١٦ وفى الامامه والسياسه أن مبعوث الامام(ع) هو زحر بن قيس. الفتوح: ٢/٤٧٢. دار الندوه، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

اللقاء، فقبلت العافية، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبد الله بن عباس، وسرت إلى الكوفة. وقد بعثت إليكم زحر بن قيس. فاسأل عما بدا لك(١).

موقف جرير البجلي

وأما موقف جرير من كتاب أمير المؤمنين، فإنه بايع وأخذ بيعه من قبله، وسار حتى قدم الكوفة(٢)، ولما قرأ جرير الكتاب قام، فقال:

أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبي طالب. وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من أمره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه.

وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها. ألا، وإن البقاء في الجماعه والفناء في الفرقة، وعلى حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتكم أقم ميلكم(٣).

كتاب الامام عليه السلام للأشعث بن قيس:

وكان الأشعث والى الخليفه الثالث عثمان بن عفان على أذربيجان - وإن عمرو بن عثمان قد تزوج ابنه الأشعث قبل ذلك- فكتب إليه على:

(أما بعد، فلولا هنات كن فيك كنت المقدم فى هذا الأمر قبل

ص: ٢١٧

١- الأخبار الطوال: ١٥٦.

٢- وقعه صفين: ١٦.

٣- وقعه صفين: ١٢٠-١٢١.

الناس، ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً، إن أتقيت الله، ثم إنه كان من بيعه الناس إياي ما قد بلغك، وكان طلحه والزبير ممن بايعاني ثم نقضوا بيعتي على غير حدث، وأخرجوا أم المؤمنين وسارا إلى البصره، فسرت إليهما فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا، فأبلغت في الدعاء وأحسنت في البقيه.

وإن عملك ليس لك بطعمه، ولكنه أمانه، وفي يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه تسلمه إلي، ولعلي ألا أكون شرّ ولا تك لك إن استقمت. ولا قوه إلا بالله(١).

موقف الأشعث:

وبعد أن قرأ الأشعث الكتاب قام زياد بن كعب خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس. إنه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير، وإن أمر عثمان لم ينفع فيه العيان، ولم يشف منه الخبر، غير أن من سمعه كمن عاينه، وإن المهاجرين والأنصار بايعوا علياً راضين به، وإن طلحه والزبير نقضنا بيعه على غير حدث، وأخرجوا أم المؤمنين على غير رضى فسار إليهم(٢)، فلم يقاتلهم وفي نفسه منهم حاجه، فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبه المتقين(٣).

ثم قام الأشعث بن قيس خطيباً، فقال:

ص: ٢١٨

١- الامامه والسياسه: ١/٨٣.

٢- وقعه صفين: ٢١.

٣- الامامه والسياسه: ١/٨٣.

أيها الناس، إن عثمان ولانني أذربيجان، وهلك وهي في يدي، وقد بايع الناس عليا، وطاعتنا له لازمه، ولانني وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم، وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك.

وأنشأ الأشعث بن قيس أبياتاً من الشعر منها:

أتانا الرسول رسول على

رسول الوصي وصي النبي

بما نصح الله والمصطفى

يجاهد في الله، لا ينثنى

وزير النبي وذو صهره

وكم بطل ماجدٍ قد أذاق

وكم فارس كان سال النزال

فذاك على امام الهدى

فسر بمقدمه المسلمونا

له الفضل والسبق في المؤمنينا

رسول الإله النبي الأمينا

جميع الطغاه مع الجاحدينا

وسيف المنيه في الظالمينا

منيه حتف، من الكافرينا

فآب إلى النار في الآئبينا

وغيث البريه والمقمحين(١)

واستشار الأشعث قومه حول مصيره إلى معاويه، فردوه وقالوا له: إن في ذلك العار، فقدم على الامام على عليه السلام في الكوفه مع أشراف قومه(٢).

١- وقعه صفين: ٢٣.

٢- يراجع وقعه صفين: ١٣٠، والأخبار الطوال: ١٥٤.

وقعه أهل الجزيره

وكانت هذه الوقعه (١) قبل صفين، وسببها أن معاوية بعث الضحّاك بن قيس للإغاره على أهل الجزيره، والتي اجتمع فيها من قد هربوا من الكوفه والبصره بعد هزيمه أهل الجمل، وإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قد وجه إليها وإلى الموصل وغيرها مالك الأشتر والياً، فالتقى بالضحّاك فى وقعات انهزم الأخير فيها وكان معاوية قد أمده بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبقي الأشتر يطاردهم حتى ضبط الجزيره ضبطاً محكماً (٢) حتى كانت صفين فالتحق بالامام عليه السلام.

القاسطون / تداول وتحالفات

وهم معاوية وأهل الشام ومن انضم إليه فى قتال أمير المؤمنين عليه السلام.

بعد قدوم رسول الخليفه الشام ومقابلته لمعاوية، ومن ثم قراءه كتاب الخليفه جمع معاوية ذويه، وأخبرهم بطلب الامام على أن يبايعه أو أن يذهب إلى مقابله الامام عليه السلام مع وفد من أهل الشام، مع علم معاوية أن الامام على عليه السلام

لا يوليه الشام ولا سواها، وكان ذلك قد اتضح من حديث الامام عليه السلام مع المغيره بن شعبه وعبد الله بن عباس والامام لم يزل فى المدينه وقبل صدوره منها إلى البصره ثم إلى الكوفه، وقبل خروج الناكثين إلى البصره.

وحين اجتمعوا إلى معاوية أشاروا عليه أن يستعين بعمر بن العاص ويستميله بشيء حتى ينحاز إليه.

ص: ٢٢٠

١- الفتوح: ٢/٤٩٣-٤٩٤.

٢- أنساب الأشراف: ٣/٧٢، الغارات، محمد بن إبراهيم الثقفى، وفاته عام ٢٨٣، مطبعه بهمن، إيران: ١/٣٢٤.

(أما بعد: فقد كان من أمر علي وطلحه والزبير؛ ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان في جماعه من أهل البصره ممن رفض علياً وأمره، وقدم عليّ جرير بن عبد الله يدعوننا إلى البيعه له أو إيدان بحرب(١) وحبست نفسي عليك حتى تأتيني، فاقدم عليّ علي بركه الله وتوفيقه(٢).

استشاره غير ملزمه

عمرو وولديه:

فلما أتاه كتاب معاوية استشار عمرو ولديه عبد الله و محمد، فقالا له:

أيها الشيخ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وهو عنك راض و مات أبو بكر و عمر، وهما عنك راضيان، فإياك أن تفسد دينك لدنيا تصيبها من معاوية فتكذب كذباً في النار(٣).

وأما عثمان فإنه قتل وأنت عنه غائب، وقد وسع الله عليك فاقعد في بيتك، فإنك لا تطمع أن تكون خليفه، وليس ينبغي لك أن تكون حاشيه معاوية علي دنيا قليله زائله عن أهلها(٤).

ص: ٢٢١

١- الأخبار الطوال: ١٥٧.

٢- أنساب الأشراف: ٣/٧٢-٧٣.

٣- الفتوح: ٢/٥١٠-٥١١.

٤- وقعه صفين: ٣٤.

وفى وقعه صفين قال عبد الله لأبيه:

(فقر فى من-زلتك فلست مجعولاً خليفه، ولا تزيد أن تكون حاشيه لمعاويه على دنيا قليله، أوشك أن تهلك فتشقى فيها)(١).

وقال محمد بن عمرو:

أنت ناب من أنياب العرب، فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر.

قال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بالذى هو خير لى فى آخرتى، وأسلم فى دينى، وأما أنت يا محمد فأمرتني بالذى أنبه لى فى دنياى وشر لى فى آخرتى، ثم قدم على معاويه ومعه ولديه، فوجد أهل الشام يحضون معاويه على الطلب بدم عثمان.

معاويه و عمرو

دخل عمرو بن العاص وولديه على معاويه وكانوا يحضون معاويه على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو: أنتم على الحق، اطلبوا بدم الخليفه لمظلوم - ومعاويه لا- يلتفت إلى قول عمرو - فقال ابنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاويه لا يلتفت إلى قولك! انصرف إلى غيره؟

فدخل عمرو على معاويه فقال: والله لعجب لك! إنى أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عنى! أما والله إن قاتلت معك نطلب بدم الخليفه إن فى النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا، فصالحه معاويه وعطف عليه(٢).

ص: ٢٢٢

١- الفتوح: ٢/٤٩٧.

٢- الفتوح: ٢/٤٩٥.

الوليد بن عقبه ومعاويه

لما علم الوليد بن عقبه بكتاب علي إلى معاويه، فكتب أبياتاً يأمر معاويه أن لا يجيب علياً بشيء مما يريد ويحرضه علي حرب علي، فأنشأ يقول أبياتاً مطلعها:

معاوى إن الملك قد جب غاربه

أتاك كتاب من علي بخطه

ولا تدعن الملك والأمر مقبل

فإن كنت تنوى أن تجيب كتابه

وأنت بها في كفك اليوم صاحبه(١)

هي الفصل فاختر سلمه أو تحاربه

تطلب ما أعيت عليك مذاهبه

فقبح ممليه وقبح كاتبه

ومنها:

معاوى إن الشام شامك فاعتصم

وحام عليها بالقنابل والقنا

شامك لا تدخل عليك الأفاعيا

ولاتك محشوش الذراعين وانيا(٢)

معاوى إن الشام شامك فاعتصم

وحام عليها بالقنابل والقنا

شامك لا تدخل عليك الأفاعيا

ولاتك محشوش الذراعين وانيا(٣)

وأشار الوليد في شعره إلى كتاب الامام على عليه السلام:

وإن كتاباً يا ابن حرب كتبته

على طمع يزجي إليك الدواهي(٤)

وقد سر معاوية وفرح بورود كتاب الوليد إليه، وعزم على مخالفه على رضى الله عنه. ثم كتب كتاباً إلى الامام على عليه السلام لم يتضمن إلا {بسم الله الرحمن الرحيم}، وأرسله بيد رجل من (عبس)(٥).

ص: ٢٢٣

١- صفين: ٥٣، وشرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ٣/٨٥.

٢- صفين: ٥٣.

٣- صفين: ٥٣.

٤- الفتوح، ٢: ص ٤٩٥-٤٩٦.

٥- الفتوح: ٢ ص ٤٩٧. تاريخ الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، مؤسسه الأعلمى، بيروت لبنان (٨ مجلدات): ٣/٤٦٤.

قدم رسول معاوية الكوفه فدخل على علي رضي الله عنه، وعنده المهاجرين والأنصار، فسلم ثم التفت يميناً وشمالاً فقال: ههنا أحد من بنى عيس أو من ابناء قيس بن عيلان؟

ف قيل له: نعم، هات ما عندك!

شيخ الشام والقميص

لما وصل مبعوث معاوية (العبسي) إلى الكوفه قال:

عندى والله من الخبر أنى قد تركت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبى لحاهم بدموع أعينهم على قميص عثمان، وانهم قد عاهدوا الله عز وجل أنهم لا يشيمون سيوفهم فى أغمادها أبداً؛ حتى يقتلوا من قتل عثمان، يوصى به الميت الحى ويرث الحى عن الميت (١). وهم الناس بالعبسي - أى أرادوا قتله - وقاموا إليه بالسيوف.

فقال على رضي الله عنه: دعوه فإنه (رسول)، ولكن خذوا منه الكتاب، فأخذوا الكتاب من يده ودفع إلى على؛ فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

ثم إن العبسي رسول معاوية قام إلى على رضي الله عنه فقال:

يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا من أشد الناس عليك حنقاً لما

ص: ٢٢٤

١- الفتوح: ٢، ص ٤٩٧ شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٤/٤٠.

أخبرني عنك أهل الشام، وقد والله أبصرت الآن ما فيه أهل الشام من الضلال وما أنت عليه من الهدى (١)، ولاء الله ما كنت بالذي أفارقك أبداً ولا أموت إلا تحت (ركابك).

ثم إنّه كتب إلى معاوية أبياتاً مطلعها:

كدت أهل العراق بالبلد الشام

شفاها وكان كيدي ضعيفاً (٢)

كتاب معاوية إلى شرحيل:

وكتب معاوية كتاباً يحرض فيه شرحيل للطلب بدم عثمان وكان شرحيل هذا من وجوه أهل الشام.

فكتب إليه:

(إن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فطيع، فاقدم)، كما دعا معاوية: يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاه، وعمرو ابن سفيان، ومخارق بن الحارث الزبيدي، وحمزه بن مالك، وحابس بن سعد الطائي - وهؤلاء من الوجوه - فأمرهم أن يلقوه - أي شرحيل بن السمط - ويخبروه أن علياً قتل عثمان (٣).

وقال عبد الرحمن بن غنم الأزدي - وكان أفقه أهل الشام -:

إن الله لم يزل يزيدك خيراً مذ هاجرت إلى اليوم، وإنه لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما يقوم حتى

ص: ٢٢٥

١- الامامه والسياسه، الدينوري: ٧٧.

٢- الفتوح، ابن أعثم الكوفي، دار الندوه الجديده، بيروت، لبنان، بدون تاريخ: ٣٥٩ / ٢.

٣- صفين: ٤٥.

يغيروا ما بأنفسهم، إنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، وأن علياً قتل عثمان، فإن يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار، وهم الحكام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصدق معاوية عليه؟ لا تهلك نفسك وقومك (١).

وعمد معاوية للتغريب بشر حبيب، فقال له:

إن جرير يدعوننا إلى بيعه علي، وعلي خير الناس لولا - أنه قتل عثمان، وقد حبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام، أرضى مارضوا، وأكره ما كرهوا. ثم إن شرحبيل قال، لمعاوية: أباي الناس إلا أن علياً قتل عثمان. ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك (٢).

مبايعه عمرو بن العاص

لقد بايع عمرو بن العاص معاوية ووافقه على محاربه علي. وكان عمرو ابن العاص: مشترط على معاوية أن يعطيه أرض مصر حتى يشترك معه، ويسانده ضد الامام علي عليه السلام. وأشار عمرو في حديثه إلى أنه ومعاوية كانا قد خذلا عثماناً، وإن عثمان قد استنصر معاوية فخذله، وهو محصور في المدينة.

ثم قال عمرو لمعاوية؛

لا - أعطيك من ديني شيئاً أو آخذ منك مثله، فهات ما الذي تعطيني، فقال معاوية: أعطيك رضاك، قال عمرو: رضاى أرض مصر.

ص: ٢٢٦

١- صفين: ٤٧.

٢- الفتوح: ٢/٥١٣.

قال معاوية: إن مصر كالعراق.

قال عمرو: صدقت، إنها لكذلك، ولكنها تكون لي إذا كانت العراق لك.

فثقل ذلك على معاوية وأبى أن يعطيه أرض مصر، وخرج عمرو فصار إلى رحله (١).

وأقبل عتبه بن أبي سفيان إلى معاوية فقال:

أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر إن صفت لك قلتيك لا تغلب على الشام.

وقال معاوية لعتبه:

بت عندنا ليلتك هذه، فبات عتبه عنده، فلما أخذ معاوية مضجعه أنشأ عتبه:

أيها المانع سيفاً لم يهز إنما أنت خروف فاعم إن مصراً لعلى أو لنا إنما ملت على خز وقز بين ضرعين وصوف لم يجز يغلب
اليوم عليها من عجز (٢)

وسمع معاوية ذلك، فلما أصبح بعث إلى عمرو، فأعطاه ما سأل، وكتبا بينهما في ذلك كتاباً، ثم إن معاوية استشار عمراً في أمره، وقال ما ترى؟

قال عمرو:

(إنه قد أتاك في هذه البيعة خير أهل العراق من عند خير الناس، ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام إلى الخلافه، فإن ذلك خطر

ص: ٢٢٧

١- أنساب الأشراف البلاذري: ٣/٧٤، والأخبار الطوال: ١٥٨-١٥٩.

٢- الأخبار الطوال: ١٥٩.

عظيم حتى تتقدم قبل ذلك بالتوطين للأشراف منهم، وإشراب قلوبهم اليقين، بأن علياً مالأ على قتل عثمان، وأعلم أن رأى أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندى، فأرسل إليه ليأتيك، ثم وطن له الرجال على طريقه كله، يخبرونه بأن علياً قتل عثمان.

ويكونوا من أهل الرضى عنده فإنها كلمه جامعه لك أهل الشام، وإن تعلق هذه الكلمه بقلبه لم يخرجها شىء أبداً.

فدعا معاويه يزيد بن أسد، وبسر بن أرطاه، وسفيان بن عمرو، ومخارق ابن الحارث، وحمزه بن مالك، وحابس بن سعد، وغير هؤلاء من أهل الرضا عند شرحبيل بن السمط، فوطنهم له على طريقه، ليخبرونه أن علياً مالأ على قتل عثمان، ثم أشربوا قلبه ذلك.

ثم أمر مناديه أشراف الشام باستقباله، فاستقبلوه، وأظهروا تعظيمه، فكان كلما خلا برجل منهم ألقى إليه هذه الكلمه، فأقبل حتى دخل على معاويه مغضباً، فقال:

(أبا الناس إلا أن ابن ابي طالب قتل عثمان، والله لئن بايعته لنخرجنك من الشام).

فقال معاويه:

(ما كنت لأخالف أمركم، وإنما أنا واحد منكم، قال: فأردد هذا الرجل - جرير - إلى صاحبه فعلم عند ذلك معاويه أن أهل الشام مع شرحبيل، ومن ثم أشار على معاويه أن يسير فى المدائن ليعلمهم بالطلب بشأ الخليفه، وإن يبائعهم على النصره والمعونه(1)).

ص: ٢٢٨

فلما أطمئن معاويه لأهل الشام وعرف مبايعتهم له قال لجريير:

(الحق بصاحبك وأعلمه أنى وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعه)(١).

كتب معاويه إلى أهل المدينة

كتب معاويه فى أول الأمر كتاباً عاماً لأهل المدينة، ولما ورد جوابهم عليه ساءه، فكتب إلى بعض الأشخاص كتباً خصهم به.

كتابه إلى أهل المدينة ومكه:

أما بعد، فإنه مهما غاب عنا فإنه لم يغب علينا أن علينا أن علينا قتل عثمان، والدليل على ذلك أن قتلته معه، فنقلتهم بكتاب الله تعالى، فإن دفعهم إلينا كففنا عنه، وجعلناها شورى بين المسلمين، على ما جعلها عمر بن الخطاب، فأما الخلفه فلسنا نطلبها، فأعينونا يرحمكم الله، وانفضوا من ناحيتكم(٢).

وذكروا أنه لما قرأ عليهم كتابه، اجتمع رأيهم على أن يسندوا أمرهم إلى المسور بن مخرمه، فجاوب عنهم، فكتب إليه:

أما بعد، فإنك أخطأت خطأ عظيماً، وأخطأت مواضع النصره، وتناولتها من مكان بعيد، وما أنت والخلفه يا معاويه، وأنت طليق، وأبوك من الأحزاب، فكف عنا، فليس لك قبلنا ولى ولا نصير(٣).

ص: ٢٢٩

١- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

٢- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

٣- الامامه والسياسه: ١/٨٩.

كتاب معاوية إلى ابن عمر

أما بعد، فإنه لم يكن أحد من قريش أحب إليّ أن يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان، فذكرت خذلك إياه، وطعنك على أنصاره، فتغيرت لك، وقد هون ذلك عليّ خلافك على علي، وطعنك عليه، وردني إليك بعض ما كان منك، فأعنا يرحمك الله على حق الخليفة المظلوم، فإنني لست أريد الإماره عليك، ولكني أريدها لك، فإن أبيت كانت شوري بين المسلمين (١)؛ فأجابه عبد الله بن عمر: أما بعد! فإن الرأي الذي أطمعك في هو الذي صيرك إلى ما صرت إليه، يا معاوية!! إذ حدثتك نفسك أني أترك علياً والمهاجرين والأنصار واتبعك، فأما زعمك أني طعنت علي عليّ وخالفته فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان والهجرة ونكايته في المشركين ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنه حدث أمر لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله، ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالاً نشر نجوت منه فاروعنا نفسك، والسلام (٢).

كتاب سعد بن أبي وقاص

وكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص:

أما بعد فإن إخواننا من شيعه عثمان بن عفان أهل الشورى من قريش الذين عرفوا حقه واختاروه على غيره، وقد نصره طلحه والزبير وهما

ص: ٢٣٠

١- الفتوح: ٢/٥٢٩.

٢- الفتوح: ٢/٥٢٩.

شريكاً في الأمر، ونظيراً في الإسلام، وخفت لذلك أم المؤمنين، فلا تكرهن ما رضوا به، و (لا تردن) ما قبلوا، فإنما نريدها شورى بين المسلمين، والسلام(١).

وكتب إليه سعد:

أما بعد! فإن الشورى لم يدخل فيها عمر بن الخطاب إلا من يحل له الخلافه، ولم يكن أحد من أهل الشورى أحق بالخلافه من صاحبه بالاجتماع عليه، غير أن علياً كان فيه ما فينا، ولم يكن فينا ما فيه، وهذا أمر كرهننا أوله وكذا نكره آخره، وأما طلحه والزبير فلو لزمنا بيوتهما لكان خيراً لهما، والله يغفر لأمة المؤمنين ما أتت، والسلام(٢).

كتاب محمد بن مسلمة الأنصاري

وأرسل معاوية كتاباً إلى محمد بن مسلمة. يحاول فيه: استمالة إلى طرفه جاء فيه:

أما بعد، فإنني لم أكتب إليك وأنا أرجو مبايعتك، ولكنني أذكرك النعمه التي خرجت منها، إنك كنت فارس الأنصار، وعده المهاجرين، فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وآله أمراً لم تستطع فيه الإمضاء، فهذا منعني عن قتال أهل الصلاه.

كتاب محمد بن مسلمة إلى معاوية:

أما بعد فقد أخبرت بالذي هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت

ص: ٢٣١

١- وقعه وصفين: ٧٥، الفتوح: ٢/٥٢٩-٥٣٠.

٢- الامامه والسياسه: ١/٩٠.

سيفى، ولزمت بيتى واتهمت الرأى على الدين. إذ لم يصح لى معروف آمر به، ولا- منكر أنهى عنه، ولعمرى يا معاويه ما طلبت إلا- الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى، ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً، لقد خذلته حياً، ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار أولى بالصواب(١).

ص: ٢٣٢

١- أنساب الأشراف، البلاذرى: ٨٧/٣-٨٩.

رسالة عمرو بن العاص لابن عباس

إن معاوية بن أبي سفيان طلب - بعد أن كانت وقعت بين جيش الامام عليه السلام والجيش الأموي الذي بان الضعف فيه - من عمرو بن العاص أن يكتب إلى «عبد الله بن عباس» كتاباً يستميله به، وقال معاوية:

«فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه على وقد أكلتنا الحرب».

فقال عمرو: إن ابن عباس أريب لا يخدع ولو طمعت فيه لطمعت في علي، قال: صدقت انه لأريب ولكن أكتب إليه على ذلك. فكتب إليه:

من عمرو بن العاص إلى عبد الله بن عباس.

أما بعد: فإن الذي نحن وأنتم فيه، ليس بأول أمر قاده البلاء وساقته العافية، وأنت رأس هذا الأمر بعد علي، فأنظر فيما بقي بغير ما مضى، فو الله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة، وأعلم أن الشام لا يملك إلا بهلاك العراق، وأن العراق لا يملك إلا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم؟ وما خيركم بعد! أعدادكم منا، ولست أقول: ليت الحرب عادت ولكن أقول: ليتها لم تكن، وإن فينا من يكره اللقاء كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت، فأما السفية فليس

بأصل أن يعد من ثقات أهل الشورى ولا خواص أهل النجوى(١)،

وكتب في آخر كتابه أبياتاً:

طال البلاء فما يرجي له اس أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا والسلم فيه بقاء ليس يجهله بعد الإله سوى رفق

ابن عباس طعم الحياه لحرب ذات أنفاس إلا الجهول وما النوكى كأكياس فلما قرأ ابن عباس الكتاب عرضه على الامام على عليه السلام، فقال على:

قاتل الله ابن العاص ما أغره بك، يا بن عباس أجهه، وليرد عليه شعره فضل ابن العباس(٢).

جواب ابن عباس

وكتب إليه عبد الله بن عباس:

أما بعد: فيأني لا- أعلم رجلاً- من العرب أقل حياء منك، إنه مال بك إلى معاويه الهوى وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت للناس في عشواء طخياء - الليله المظلمه - طمعاً في هذا الملك، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين، وأظهرت فيها زهاده أهل الورع، ولا تريد بذلك إلا تهيب الحرب وكسر أهل العراق، فإن كنت أردت الله بذلك، فدع مصر وأرجع إلى بيتك فإن هذه الحرب ليس لمعاويه فيها كعلي، ابتدأها على بالحق وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاويه بالبغى وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل الشام فيها

ص: ٢٣٤

١- الامامه والسياسه: ١/١٣١.

٢- صفين: ٤١٢.

كأهل العراق، بايع علياً أهل العراق وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاويه وهم خير منه، ولست أنا وأنت فيها بسواء أردت الله، وأردت مصر، فإن ترد شراً لا نسبتك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه. [والسلام] (١)، ثم دعا [أخاه] الفضل بن العباس فقال له: يا ابن أم، أجب عمرا.

فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس إلا تواتر طعن في نحوركم هذا الدواء الذي يشفى جماعتكم أما على فإن الله فضله إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسه قد كان منا ومنكم في عجاجتها قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبه

لا بارك الله في مصر لقد جلبت يا عمرو إنك عار من مغارمها فاذهب فليس لداء الجهل من آسى يشجى النفوس ويشفى نخوه الراس حتى تطيعوا عليا وابن عباس

بفضل ذى شرف عال على الناس أو تبعثوها فإننا غير أنكاس ما لا يرد وكل عرضه الباس هذا بهذا وما بالحق من باس شرا وحظك منها حسوه الكاس والراقصات ومن يوم الجزا كاسي (٢)

ولما قرأ معاويه الكتاب قال: ما أغنانا عن هذا (٣).

ص: ٢٣٥

١- وقعه صفين: ٤١٢-٤١٣.

٢- وقعه صفين: ٤١٣.

٣- شرح النهج، محمد عبده، ٢/ ١٣٥، الكتاب: ٧٥.

البدايه: الدعوه للبيعه

أما بعد، فقد علمت أعداري فيكم وإعراضى عنكم حتى كان ما لا بُدَّ منه ولا دفع له، والحديث طويل، والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر، وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، وأقبل إلى في وفد من أصحابك (١).

إن استعدادى لحرب أهل الشام وجريير عندهم، إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن قد وقت لجريير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً، والرأى عندي مع الأناه (٢).

كتاب الامام عليه السلام إلى جرير

أما بعد فإذا أتاك كتابى فاحمل معاويه على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيِّره بين حرب مجليه أو سلم مخزيه، فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ بيعته -

والسلام (٣).

ص: ٢٣٦

١- وقعه صفين: ٥٥، شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ٢/٣٢٢، بتفاوت بين النص فيهما.

٢- الامامه والسياسه: ١١٦/١، شرح النهج، محمد عبده: ٢/٨.

٣- شرح نهج البلاغه: ١/٤١٥، خطبه (٢٠٠).

قال الامام عليه السلام يصف معاويه وما هو عليه:

والله ما معاويه بأدهى منى، ولكنه يغدر ويفجر(١).

وأما طلبك إلى الشام فإنى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس(٢).

وقد أكثرت فى قتله عثمان، فادخل فيما دخل الناس، ثم حاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله تعالى، وأما تلك التى تريد فإنها خدعه الصبى عن اللبن(٣).

فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك، وخذلته حيث كان النصر له(٤).

وأما ما سألت من دفع قتله عثمان إليك، فإنى نظرت فى هذا الأمر، فلم أره يسعنى دفعهم إليك ولا إلى غيرك.

وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان، وقد علمت حيث وقع الدم عثمان، فأطلبه من هناك إن كنت طالباً(٥).

وذكرت إنك زائرى فى المهاجرين والأنصار، وقد انقطعت الهجره

ص: ٢٣٧

١- شرح النهج: ٢/١٦، كتاب (١٧).

٢- شرح النهج: ٢/١٢٤، كتاب (٦٤).

٣- شرح النهج: ج ٢، ص ٦٢، كتاب (٣٧).

٤- شرح النهج: ٢، ص ٩، وس ١١.

٥- المعجم المفهرس لألفاظ النهج: ص ١٠٤، كتاب (٦٤).

يوم أسر أخوك، فإن كان فيك عجل فاسترقه(١).

وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً وأخرج إلى، واعف الفريقين من القتال.

فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعه عنك والآخرة قريبة منك(٢).

فقلنا تعالوا نداوى ما لا يدرك اليوم بإطفاء الثائره، وتسكين العامه، حتى يشتد الأمر ويستجمع، فنقوى على وضع الحق مواضعه، فقالوا بل نداويه بالمكابره(٣).

قال الامام على عليه السلام:

(قاتلت الناكثين - أهل الجمل - وهؤلاء القاسطين - معاوية وحزبه - وسأقاتل المارقين - الخوارج -)(٤).

وصف الامام عليه السلام لعمر بن العاص

الملاحظ على مواقف الامام عليه السلام من الأحداث وأشخاصها عند تقييمه لها أو قراءتها دائماً يستند المرجعيه الإسلاميه في ذلك، ففي تقييمه وقراءته لنفسيه ابن العاص يرتكز أولاً الرجوع إلى الأثر النبوي المبارك «المؤمن لا يكذب» قارناً لهذا الارتكاز السلوك المتجسد لعمر والمشخص من معاصريه، فيكون تشخيصه والحال هذا مؤثر في

ص: ٢٣٨

١- شرح النهج: ٢، ص ٥٧.

٢- شرح النهج، محمد عبده: ح ٢، ص ١١٤.

٣- أنساب الأشراف: ٣/ ٨٠.

٤- أنساب الأشراف: ١/١٤٧. وقد قال (ع): هذا قبل التحكيم وقاتل الخوارج.

سامعيه أولاً، ومن ثمَّ منظور فيه التأسيس البُعدي الرسالي كداله شاخصه للإنسان المسلم - الأجيال الإسلاميه المتتابعه - على الامتداد الظرفي، فيكون للرساله دورها الفاعل في حياته، حتى لا يلتبس عليه موقف أو مواقف حيال ظواهر وأحداث سبقتة في وقوعها، أو ستتجسم في آخرين خارجين على المرجعيه الإسلاميه، محاولين الاستغلال بها. وقد ورد عنه في عمرو بن العاص، قوله عليه السلام:

«أما شر القول الكذب، إنه - يعني عمرو بن العاص - يقول فيكذب ويعد فيخلف: ويسأل فيحلف ويخون العهد ويقطع الأمل، فإذا كان عند الحرب فأى زاجر وأمر هو ما لم تأخذ السيوف مأخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم أسته.

وإنه - أي عمرو بن العاص - ليمنعه من قول الحق نسيان الآخره، انه لم يبايع معاويه حتى تشرط أن يؤتية آتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيعه(١).

ولم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعه ثمننا، فلا ظفرت يد البايع، وخزيت أمانه المبتاع(٢).

فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا أمرئ مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للرغام، يلوذ إلى مخالفه ويتنظر ما يلقي إليه ما فضل فريسته

ص: ٢٣٩

١- أنساب الأشراف: ١/٦٧، والاحتجاج، الطبرسي: ١/٢٦٩، وشرح النهج: ٦/٢٨٠، والرضيخه العطييه.

٢- أنساب الأشراف: ٢، ص ٦٤.

فأذهبت دنياءك وآخرتك»(١).

وقد روى البلاذري أن عمراً قال:

معاوى لا أعطيك دينى ولم أنل به

منك دنيا فانظر كيف تصنع(٢).

تشخيص الامام عليه السلام لجنده ومقاتليه

يتضح من سياق النقل التاريخى، إن تشخيصاته عليه السلام لجيشه ولمن كان يقاتل معه، بعد رفع المصحف ونكولهم عن الحرب، وعندما كان معاويه يأمر قاداته بشن الغارات على المسالح المحاذيه للشام أو البعيده عن الكوفه، فكان الامام عليه السلام يستحثهم على قتال أهل البغى، ففى البدايه وحتى يوم (الهرير) كانت مواقفهم جيده وأثنوا أهل الشام بجراح كبيره وكادوا يهزموهم لولا خدعه رفع المصحف، ومن قبل قد هزموا قاده الجمل - صحابيان من أهل الشورى وأم المؤمنين - وأتباعهم؛ فمن إشاراتة عليه السلام فى هذه الاتجاه:

أيها الناس: إنه لم يزل أمرى معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت؛ ... وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون(٣).

ألا- وأنى دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً- ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم فى عقر

ص: ٢٤٠

١- أنساب الأشراف: ٢/٧٥.

٢- شرح النهج: ١/٢٤٠.

٣- الامامه والسياسه: ١/١٠٤، شرح النهج، ١/٦٨.

دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان(١).

فواعجبا والله يميم القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حاكمكم(٢).

وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حاكمكم، وبمعصيتكم امامكم فى الحق وطاعتهم امامهم بالباطل، وبأدائهم الأمان، إلى صاحبهم وخيانته(٣).

أيها الناس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهواؤهم...

صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب الشام يعصى الله وهم يطيعونه(٤).

خطبه الامام عليه السلام يصف فيها غاره على الأنبار

وهذا أخو غامد - أمير جيش معاوية - وقد قتل حسان بن حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحتها، ولقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعتها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم إنصرفوا وآخرين ما نال رجل منهم كلهم ولا أريق لهم دم...

ص: ٢٤١

١- شرح النهج: ١/٦٩.

٢- شرح النهج: ١/٦٤.

٣- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١/٣٣٢.

٤- الامامه والسياسه : ١/ ١٠٢. كنز العمال، المتقى الهندي: ١١/٣٥٥. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغه: ٢٠- ٢١، خطبه ٢٧.

فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى: يُغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون. وأفسدتم عليّ رأى بالعصيان والخذلان؛ حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين! و (لكن لا رأى لمن لا يطاع) (١).

خطبه الامام الحسن بن علي عليه السلام

ثم قام الحسن بن علي خطيباً فقال:

الحمد لله لا إله غيره. وحده لا شريك له، واثنى عليه بما هو أهله.

ثم قال: إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم نعمه ما لا يحصى ذكره.

خطبه الامام الحسين عليه السلام:

ثم قام الحسين بن علي خطيباً، فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

يا أهل الكوفة أنتم الأحبه الكرماء، والشعار دون الآثار؛ جدوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفه ما ذاع منكم. إلا أن الحرب أثرها ذريع، وطمعها فظيع، وهي جرع ممشاه فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألَم لكونها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك ممن لا ينفع قومه؛ وأن يهلك نفسه، نسأل الله العون أن يدعكم

ص: ٢٤٢

هاشم بن عتبة المرقال: قال مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسيه قلوبهم الذين ينبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحزّموا حلاله، واستدلاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأمانى حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرجبتنا فى الآخرة. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً، وأفضل الناس سابقه وقدماً وهم يا أمير المؤمنين مثل الذى علمنا لكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطه لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحه لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جدله على من خالفك وتولى الأمر دونك. والله ما أحب أنا لى ما فى الأرض مما أقلت، وما تحت السماء مما أظلت، وأنى واليت عدواً لك، أو عاديت ولياً لك.

فقال على: اللهم أرزقه الشهاده فى سبيلك والمرافقه لنييك (ص) (٢).

معاويه يساوم مبعوث الخليفه

ينتقل معاويه من المطالبه بدم الخليفه المظلوم والخلافه إلى مساومه مبعوث الامام على عليه السلام إليه إلى ولايه مصر والشام و جبايتهما،وقد ذكر المؤرخون أن معاويه قال لجرير: إنى قد رأيت رأياً.

ص: ٢٤٣

١- وقعه صفين: ١١٢.

٢- الامامه والسياسه: ١، ص ٨٦.

قال جرير:

هات. قال أكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر جبايه، فإن حضرته الوفاه لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعه، وأسلم إليه هذا الأمر، وأكتب إليه بالخلافه.

قال جرير: اكتب ما شئت.

كتاب علي إلى جرير

وكتب الامام علي عليه السلام إلى جرير:

أما بعد: فإن معاويه إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعه، وأن يختار من أمره ما أحب، وقد كان المغيره بن شعبه: أشار علي وأنا بالمدينه أن استعمله علي الشام، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني اتخذ المضلين عضدا، فإن بايعك الرجل وإلا فأقبل (١).

موقف مالك بن حبيب

قال مالك بن حبيب - وهو علي شرطه علي - وهو أخذ بعنان دابته عليه السلام:

يا أمير المؤمنين، أخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلفني في حشر الرجال؟

فقال له علي: إنهم لن يصبوا من الأجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه، وأنت ها هنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم.

فقال - مالك -: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين. فخرج علي حتى

ص: ٢٤٤

إذا جاز حدّ الكوفه صلّى ركعتين (١).

كتاب الامام عليه السّلام إلى عماله

ولما عسكر الامام عليه السّلام في النخيله كتب إلى عماله يستحثهم بالقدوم عليه، ولما اجتمع إلى على قواصيه، وانضمت إليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيله، وأرسل زياد بن النضر وشريح بن هانئ، بعد أن عقد لكل واحد منها على سته آلاف فارس، ليكونا مقدمته في لقاء عدوه (٢).

سيد التابعين

عن ابن عباس سأله رجل عن أويس القرني (رحمه

الله)، قال ابن عباس:

ويحك! أويس القرني له شأن عظيم، وهو سيد التابعين! وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول لأصحابه: «يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني، يدخل في شفاعته عدد ربيعه ومضر، لو أقسم على الله لأبر قسمه، فمن لقيه من بعدى فليقرئه، مني السلام».

قال ابن عباس، فقال له على: يا رسول الله: وفيما من يلقاه؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم يا على أنت تلقاه فإذا لقيته فأقرئه مني السلام وأسأله أن يدعو لك بخير».

وسأل الامام على عليه السّلام الرسول صلى الله عليه وآله أن يصفه له فوصفه له وأعلمه بصفته وملبسه وهياته.

ص: ٢٤٥

١- الأخبار الطوال: ١٦٥-١٦٦.

٢- الفتوح: ابن أعثم: ٢/٥٤٤-٥٤٥.

وقتل أويس القرن (رحمه الله) بصفين، فعن أبي البختری قال:

أصيب أويس القرنى مع على بصفين(١)، وإن الدلالة فيما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله فى أويس: هى ذات الدلالة فى قوله صلى الله عليه وآله لعمار (تقتلك الفئة الباغية)، فضلاً عن كونها أخبار عن أمر مستقبلى، فهى بيان للحق وأهله وتميزاً لهم عن الفئة الباغية التى يجب قتالها وبتالى لتكون الحجة بالغه على الناس فيما هم مكلفون به فيستحقوا بذلك الثواب والعقاب، وهما تعبير عن التكليف والمسؤولية الشرعية.

التوجه إلى صفين

ولما عزم الامام عليه السلام بالخروج إلى صفين وبعد أن أتم تعبئه جيشه خطبهم حاثاً لهم على الجهاد وقتال أهل البغى.

الخطبه

(سيروا إلى قتال أهل الشام العماء الطغاه سيروا إلى أولياء الشيطان وأعداء السنه والقرآن سيروا إلى الكذبه الفجار وقتله المهاجرين والأنصار! سيروا فقد أمرت بقتال الناكثين والقاسطين (المارقين)، فوالله لقد قرأت ما بين دفتى المصحف، فقلبت هذا الأمر ظهراً لبطن فما وجدت إلا قتالهم أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله(٢).

ص: ٢٤٦

١- الفتوح: ٢، ٥٥٠.

٢- المعيار والموازنه: أبو جعفر الاسكافى: ١٤٧. وفى شرح النهج، ابن أبى الحديد: وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعى النوم، فما وجدتني يسعنى إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه - وآله - وسلم، فكانت معالجه القتال أهون على من معالجه العقاب، وموتات الدنيا أهون على موتات الاخره: ٤/٦.

وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي

سيروا فخير الناس أتباع علي(١)

الإخبار عن مقتل الحسين عليه السلام

إن الامام علي عليه السلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنا لك نخيلاً؛

فقال: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين ما أعرفه،

فقال: أما! أنك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكى لبكائي،

قال: ثم بكى على رضى الله عنه بكاء شديداً، حتى أخضلت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره، ثم جعل يقول: مالي ولآل أبي سفيان! ثم التفت إلى الحسين (رضى الله عنه) فقال: أصبر أبا عبد الله فلقد لقي أبوك منهم مثل الذى تلقى من بعدى.

ثم جعل علي (رضى الله عنه) يجول فى أرض كربلاء كأنه يطلب شيئاً، ثم نزل ودعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة، ثم قام فصلى ما شاء أن يصلى والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى إلى شاطئ الفرات(٢).

ص: ٢٤٧

١- الفتوح: ٢/٥٥١-٥٥٢.

٢- الفتوح: ٢/٥٥٢.

ثم إنَّ الامام عليه السَّلام خطف برأسه خطفه فنام، وأنتبه فرعا، وحدث عليه السَّلام ابن عباس بما رأى، وقد رأى عليه السَّلام أن رجلاً بيض الوجوه فى أيديهم أعلام بيض، وهم متقلدون بسيف لهم، فخطو حول هذه الأرض خطه، وقد رأى عليه السَّلام أن الامام الحسين عليه السَّلام قد غرق فى الدم وأنه يستغيث فلا يغاث، وأن الرجال البيض نزلوا من السماء وهم ينادون: صبراً آل الرسول صبراً ثم تقدموا إلى الامام على عليه السَّلام فعزوه بولده وقالوا: أبشر يا أبا الحسن فقد أقر الله عينك بابنك الحسين غداً يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقال الامام عليه السَّلام لابن عباس:

فو الذى نفس على بيده! لقد حدثنى الصادق المصدوق أبو القاسم صلى الله عليه وآله أنى سأرى هذه الرؤيا بعينها فى خروجى إلى قتال أهل البغى علينا، وهذه أرض كربلاء الذى يدفن فيها ابنى الحسين وشيعته وجماعه من ولد فاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله، وأن هذه البقعه المعروفه فى أهل السماوات تذكر بأرض كرب وبلاء، وليحشرن منها قوم يدخلون الجنة بلا حساب(١).

النزول بصفين

وأشرف عساكر على وأصحابه على أهل الشام، فلما نظر معاويه إلى إبل مجننه بالخيلى، أقبل على عمرو بن العاص فقال:

أبا عبد الله! أما أبو الحسن فقد وفى لك بما قال إنه يجنب الخيل بالقلاص؛ فقال عمرو بن العاص: صدقت يا معاويه: ولكن أشدد حيازيمك لملاقاته، فإنك تعلم قد وافاك، والله من لولى أهل الشام

ص: ٢٤٨

بأجمعهم وهو وحيد لم يخالجه خوف ولا رهبة فقال معاويه صدقت، ولكن معه رجال ومعنا رجال.

ونزل على (رضى الله عنه) بالعساكر والأثقال، وذلك فى النصف من المحرم سنة ثمان وثلاثين؛ وأمر معاويه أصحابه فنزلوا على شاطئ الفرات وحالوا بين على وأصحابه وبين الماء(١).

ولما أنطلق السقاءون والغلمان إلى طريق الماء، حالت خيل معاويه بينهم وبين الماء(٢).

ص: ٢٤٩

١- الأخبار الطوال : ١٦٨.

٢- الامامه والسياسه: ١/٩٤.

الغلبه على الماء

أرسل معاويه بن أبى سفيان أبا الأعور السلمى حين نزل صفيين ليحولوا بين جيش الامام عليه السّلام وبين الفرات، ثم لما نزل الامام عليه السّلام وأصحابه صفيين منعوا الماء وحالت خيل معاويه بينهم وبينه، وشكى أصحاب الامام عليه السّلام ما هم فيه، وموقف معاويه وجنده.

وأرسل الامام عليه السّلام صعصعه بن صوحان إلى معاويه وفى روايه الامامه والسياسه(١)، بعث الأشعث بن قيس إليه ليفاوضه حول مسأله الماء وأنه مباح ولو سبقنا إليه لما منعاهم إياه.

الخُلقه الأمويه

ودعا أمير المؤمنين عليه السّلام صعصعه بن صوحان؛ فقال له:

أئت معاويه وقل له: إنا سرنا مسيرنا هذا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، والناس غير منتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا

ص: ٢٥٠

بين الناس وبين الماء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أحب إليكم أن نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

إستشاره معاويه

وبعد أن أبلغ صعصعه بن صوحان رساله الامام عليه السلام معاويه استشاره أصحابه؛

وقال: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبه: أمنعهم الماء كما منعه عثمان بن عفان، حصره أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء، ولين الطعام، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله عطشاً(١).

وقال عبد الله بن أبي سرح - وكان أخا عثمان لأيمه-: (أمنعهم الماء إلى الليل، لعلمهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة، فيكون انصرافهم هزيمه)(٢).

بيد أن عمرو بن العاص أشار على معاويه أن يخل عن القوم يشربوا. فقال معاويه: هذا أول الظفر لا سقاني الله من حوض الرسول إن شربوا منه، حتى يغلبوني عليه(٣).

وإن عبد الله بن أبي سرح قد أكبر كلام الوليد؛ وقال لمعاويه:

صدق الوليد في قوله: فامنعهم الماء، منعهم الله إياه يوم القيامة!

فقال صعصعه بن صوحان إنما يمنعه الله يوم القيامة الكفره الفجره

ص: ٢٥١

١- الأخبار الطوال: ١٦٨.

٢- الامامه والسياسه: ٩٤/ ١.

٣- الفتوح: ٣/٦.

مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سماه الله في الكتاب فاسقاً الوليد بن عقبه الذي صلى بالناس الغداه أربعاً وهو سكران ثم قال: أزيدكم؟ فجلد الحد في الإسلام (١).

فوثب رجل من أهل الشام يقال له المعري بن الأقبل وكان ناسكاً؛

فقال يا معاوية، سبحان الله، الآن سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعوهم منه؟

أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه...

أليس أعظم ما تتالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلوا على فرضه أخرى فيجازوكم بما صنعتم؟

ثم قال لمعاوية هذا والله أول الجور. لقد شجعت الجبان، وبصرت المرتاب وحملت من لا يريد حقاً لك على قتالك، فأغظ له معاوية.

ثم سار الرجل في سواد الليل، فلحق بعلی (٢).

وإن الامام عليه السلام فعلاً لم يمنع أهل الشام الماء حين استولى جنده عليه.

الدعوة إلى الطاعة والجماعة

إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال عليه السلام:

اثتوا هذا الرجل - معاوية فادعوه - إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين، ألا تطمعه في سلطان توليه إياه، ومن زله يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟

ص: ٢٥٢

١- صفين: ١٦٣-١٦٤، الفتوح: ٣/٧.

٢- تاريخ الطبري: ٥/٦١٢-٦١٣.

فقال علي: ائتوه فاقوه واحتجوا عليه، وانظروا ما رأيه - وهذا في أول ذى الحجه، سنة ٣٦هـ - فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمره بشير بن عمرو وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عز وجل محاسبك بعملك، وجازيك بما قدمت يداك، وإني أنشدت الله عز وجل أن تفرق جماعه هذه الأمة، وإن تسفك دماءها بينها!

فقطع - معاوية - عليه كلامه، وقال: هلاً أوصيت بذلك صاحبك؟

فقال أبو عمره: إن صاحبي ليس مثلك، صاحبي أحق البريه كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقه في الإسلام، والقرايه من الرسول صلى الله عليه وآله.

قال - معاوية - فيقول ماذا؟

قال: يأمرك بتقوى الله، وإجابه ابن عمك إلى ما يدعوا إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في عاقبه أمرك.

قال معاوية: ونطل - نبيح - دم عثمان لا والله لا أفعل ذلك أبداً(١).

اتق الله يا معاوية، ثم بادره شيب بن ربيع، فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

يا معاوية، إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه والله لا يخفى علينا ما تعزو وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تغوى به الناس وتستميل به أهواءهم، وتستخلص طاعتهم إلا قولك: قُتل امامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام - أراذل

ص: ٢٥٣

١- تاريخ الطبري: ٥/٦١٣-٦١٤.

الناس - وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المن-زله أصبحت تطلب، ورب متمنى أمر وطالبه والله عز وجل يحول دونه بقدرته، وربما أوتى المتمنى، أمنيته وفوق أمنيته، والله مالك في واحده منها خير، لئن أخطأت ما ترجو أنك لشرب العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق صلي النار، فاتق الله يا معاويه ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله.

فقال معاويه أما بعد: فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفه علمك، قطعك على هذا المشيب الشريف سيد قومه منطقه، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت، ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافى في كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا من عندي فإنه ليس بينى وبينكم إلا السيف (١).

معاويه وزياذ بن خصفه

وبعث معاويه إلى زياذ بن خصفه التيمي فخلا به، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

أما بعد يا أخا ربيعه، فإن علياً قتل امامنا، وآوى قتله صاحبنا، وإنى أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثم لك عهد الله جلّ وعزّ وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أى المصرين أحببت.

وعن المحل بن خليفه قال:

سمعت زياذ بن خصفه يحدث بهذا الحديث، قال: فلما قضى معاويه كلامه حمدت الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه، ثم قلت: أما بعد،

ص: ٢٥٤

١- وقعه صفين: ١٨٧. تاريخ الطبرى: ٥/٦١٨. وبين المصدرين تفاوت بسيط فى المنقول التاريخى.

فإني على بينه من ربي وبما أنعم علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين ثم قمت (١).

حجه أخرى قبل الحرب

كان الطرفان قد توادعوا حتى ينصرم المحرم (٣٧هـ-)، فلما انصرم أمر علي مرثد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس:

ألا- أن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد استدمتكم واستأنيت بكم لتراجعوا الحق وتنبؤوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عز وجل، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى الحق، وإني قد نبذت لكم على السواء إن الله لا يحب الخائنين (٢).

ما ورد من الأحاديث في معاوية

نقل الرواه أحاديث تحمل فضائل لمعاوية بن أبي سفيان. قال عنها السيوطي: أنها لا تثبت (٣)، وإن القارئ لها يجدها متهافته تتعارض وواقع مواقفه وسلوكه، أو مع ما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق بعض الصحابه، كعمار وحجر بن عدى، فضلاً عما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وآله بدم معاوية وأبيه وأخيه.

فعن ابن الزبير عن جابر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري

ص: ٢٥٥

١- وقعه صفين، نصر بن مزاحم المنقري: ١٩٩، وتاريخ الطبري: ٥، ص ٦٢٢.

٢- صفين: ٢١٧-٢١٨. تاريخ الطبري: ٤/٦، (٨) مجلدات، طبعه الأعلمي.

٣- - تاريخ الخلفاء، السيوطي: ٦.

فأضربوا عنقه(١). قال الحسن البصرى -: فما فعلوا ولا أفلحوا.

وعن الحسن قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه».

قال فحدثني بعضهم قال:

قال أبو سعيد الخدرى: فلم نفعل ولم نفلح، وعن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اللهم ألعن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيعس».

فقال ابن البراء لأبيه من الأقيعس؟ قال: معاوية(٢).

فرقوا بين معاوية وعمرو.

عن جعفر بن محمد قال: دخل زيد بن أرقم على معاوية، فإذا عمرو بن العاص جالس معه على سرير، فلما رأى ذلك زيد جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو بن العاص:

أما وجدت لك مجلساً إلا أن تقطع بينى وبين أمير المؤمنين؟

فقال زيد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غزا غزوه وأنتما معه، فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً، ثم رآكما اليوم الثانى واليوم الثالث، كل ذلك يديم النظر إليكما، فقال فى اليوم الثالث: (إذا رأيتم معاوية وعمرو بن

ص: ٢٥٦

١- لسان الميزان: ٢/ ٢٤٧، وانظر: ميزان الاعتدال: ٢/ ٣٣٧.

٢- وقعه صفين: ٢١٨-٢١٩، شرح الأخبار، القاضى النعمان بن محمد التميمى المغربى، وفاته عام ٣٦٣هـ-، مؤسسه النشر الاسلامى، قم: ٢/٥٢٧.

العاص مجتمعين ففرّقا بينهما، فإنهما لن يجتمعا على خير(١).

وعن طاووس عن عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله فسمعتة يقول:

(يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت وهو على غير سنتي، فشق على ذلك وتركت أبي يلبس ثيابه ويجيء، فطلع معاوية)(٢).

إلى كثير من الأحاديث والروايات الأخرى في هذا المضمون لسنا بصدد الإحصاء لها أو سردها وإنما أخذنا قدر الحاجة إشارة ليس إلا.

بدء القتال

وبعد انتهاء المواعيد وتصرم الشهر الحرام - حسب بعض الروايات - بدأ القتال بين الطرفين وكان يبرز الشخص للآخر من هذا الطرف أو ذاك، ثم تبرز الجماعه للجماعه حتى كان ليله الهرير التي هجم بها جيش الامام عليه السّلام على جيش معاوية وكاد النصر أن يكون لجيش الامام عليه السّلام الذي تمكن من إلحاق خسائر فادحة بالجيش الشامي حتى بلغ بعض قادة جيش الامام عليه السّلام فسطاط معاوية، غير أن خدعه ابن العاص أخذت مأخذها بين صفوف جيش الامام عليه السّلام، فتفرقوا بين داع للصلح والمهادنه، وبين مصر على استمرار القتال. وكان الامام عليه السّلام رافضاً لمسأله التحكيم وعذل أصحابه عن قبول خدعه عمرو إلّا- أنهم أخيراً أكرهوا الامام عليه السّلام على وقف القتال فنجى معاوية من هزيمه نكراء، وتحول الموقف لصالح معاوية في آخر المطاف بالكيد والخديعه، وإن

ص: ٢٥٧

-
- ١- صفين: ٢٢٠. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، وفاته عام ٣٦٠هـ-، مكتبه ابن تيميه، القايره، الطبعه الثانيه، بدون تاريخ: ٧/٢٨٩، شرح الأخبار، القاضي النعماني المغربي: ٢/٥٣٧.
 - ٢- صفين: ٢٧٤-٢٧٥.

الامام على عليه السّلام قد طلب من معاويه أن يكفيا الناس القتل والقتال ودعاه لمبارزته، فعن عمرو بن شمر قال:

ثم قام على بين الصّفين، ينادى يا معاويه: يكررها - فقال معاويه: اسألوه، ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لى فأكلمه كلمه واحده(١).

فبرز معاويه ومعه عمرو بن العاص.

قال الامام عليه السّلام لمعاويه: ويحك علام يقتل الناس بينى وبينك، ويضرب بعضهم بعضا؟

أبرز إلّى فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاويه إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما هاهنا، أبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل(٢).

فقال معاويه:

إنك تعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلاّ قتله، ولكنك طمعت فيها - الإمره والخلافه - بعدى(٣).

وقال معاويه:

ويحك يا عمرو ما أحمقك أترانى أبرز إليه ودونى عك والأشعرون وجذام؟

ثم إنصرف معاويه إلى آخر الصفوف وعمرو معه؛ فلما رأى على عليه السّلام ذلك

ص: ٢٥٨

١- وقعه صفين : ٢٧٥. شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ٨/٥٣.

٢- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٧/٢٨٢.

٣- صفين: ٢٧٥.

ضحك وعاد إلى موقفه (١).

أهل الشام ومعاوية

ولما سمع أهل الشام نداء الامام عليه السلام وصيحاته بمعاوية ليخرج لمبارزته، نهوه عن مبارزه علي: فقام أبرهه بن الصباح الحميري فقال: يا هؤلاء! أظن أن الله تبارك وتعالى قد أذن في هلاككم، ويحكم خلوا بين الرجلين فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً.

فقال معاوية لأصحابه:

نحوا هذا واجعلوه في آخر الصفوف، فإنني أظنه مصاباً في عقله؛ فقالت أهل الشام: لا والله يا معاوية! ما أبرهه بالمصاب في عقله وإنه لأكملنا عقلاً ورأياً وديناً وفهماً، ولكنك كاره في مبارزه علي (٢).

وكان عتبه بن أبي سفيان قال لأخيه معاوية:

إله عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه، فإنك تعلم أنه قتل غلامك حريثاً، وفضح عمرو بن العاص، وليس أحد من العرب يقدم علي مبارزه علي (رضى الله عنه) إلا وهو من نفسه آيس، فأياك ومبارزته أو والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياه بعدها أبداً (٣)، وكان معاوية قال لعتبه: والله لقد دعاني إلى النزال حتى لقد استحييت من قريش.

ص: ٢٥٩

١- الفتوح: ٣/١٠٤.

٢- الفتوح: ٣/١٠٣-١٠٤.

٣- الفتوح: ٣/٤٧.

لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله

وخرج عمرو بن العاص يوماً، ومعه شقه سوداء على قناه، فقال الناس: (هذا اللواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقال على رضى الله عنه:

(أنا مخبركم بقصه هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال من يأخذه بحقه؟ فقال عمرو: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: لا تفر به من كافر، ولا تقاتل به مسلماً). فقد فرّ به من الكافرين فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قاتل به المسلمين اليوم^(١).

وقام عليه السّلام خطيباً، بعد أن أنهكت الحرب جيش معاويه وبان الضعف والوهن فيه، كما لا ينكر أنه قد فقد خلص أصحابه وأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كعمار بن ياسر وعبد الله بن بديل وهاشم بن عتبة بن أبى وقاس وغيرهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنه قد بلغ بكم وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإن الأمور إذا أقبلت أعتبر آخرها بأولها، وقد قاتلكم القوم على غير دين، حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا عاد عليهم بنفسى بالغداه أحاكمهم. إلى الله^(٢).

ص: ٢٦٠

١- الامامه والسياسه: ١٠٨/١-١٠٩.

٢- الامامه والسياسه: ١٠٩/ ١.

الفصل الرابع

اشاره

ص: ٢٦٢

كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعه عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج فى أيام الصحابه على الأئمه الراشدين أو كان بعدهم من التابعين بإحسان والأئمه فى كل زمان، واعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين على رضى الله عنه (١) جماعه ممن كان معه فى حرب صفين وأشدهم خروجاً عليه ومروفاً من الدين الأشعث بن قيس الكندى ومسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطائى حين، قالوا: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف؛ حتى قال:

أنا أعلم بما فى كتاب الله انفروا إلى بقيه الأحزاب انفروا إلى من يقول: كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله (٢)، قالوا: لترجعن الأشتى (٣).

الراسبى / وهب بن عبد الله

لقد عُرف الراسبى «زعيم الخوارج» ومن خرج معه وما هم عليه من دين وصلاته

ص: ٢٦٤

-
- ١- هذا التحديد من الشهرستانى لا- دليل عليه؛ فالخوارج أعم من ذلك وأهل الجمل أول الخارجين على الامام الحق، ومن ثم معاويه وأهل الشام، فالكل يقع تحت هذا العنوان وهذا التعريف، ولا مبرر للحصر بأهل النهروان.
 - ٢- - الممل والنحل، الشهرستانى: ١/١١٢.
 - ٣- الممل والنحل، الشهرستانى: ١/١١٢.

وصيام منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله في قصه اشتهرت بين المسلمين رويت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في الراسبي وجماعته وما يؤول إليه أمرهم.

روى البخارى (١) عن الزهرى، قال: أخبرنى أبو سلمه بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدرى، قال: بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصره وهو رجل من بنى تميم، فقال:

يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك ومن يعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل؛ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال صلى الله عليه وآله: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضبه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قدذه فلم يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقه من الناس، قال أبو سعيد: فأشهد أنى سمعت هذا الحديث من رسول الله وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذى نعته.

وهكذا رواه مسلم (٢) من حديث أبى سعيد، ورواه البخارى أيضا

ص: ٢٦٥

١- صحيح البخارى: ٣/١٣٢١، ح ٣٤١٤.

٢- صحيح مسلم: ٢/٧٤٠، ح ١٠٦٣.

من حديث الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمه والضحاك عن أبي سعيد، وأخرجه البخاري أيضا من حديث سفیان بن سعيد الثوري عن أبيه ومسلم عن هناد عن أبي الأحوص سلام بن سليم عن سعيد بن مسروق عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبي سعيد الخدري به، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث داود بن أبي هند والقاسم بن الفضل وقتاده عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:

قال رسول الله: تمرق مارقه عند فرقه المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق،

ورواه أيضا من حديث أبي اسحاق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد مرفوعاً، وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن مسهر عن الشيباني عن بشير بن عمرو، قال:

سألت سهل بن حنيف هل سمعت رسول الله يذكر هؤلاء الخوارج، فقال: سمعته وأشار بيده نحو المشرق، وفي روايه نحو العراق يخرج قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّه محلقة رؤوسهم، وروى مسلم من حديث حميد بن هلال عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر نحوه وقال سيماهم التحليق شر الخلق والخليقه(1).

ورواه البيهقي عن سفیان عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن عمران بن جرير عن لاحق قال كان الذين خرجوا على علي بالنهروان أربعة آلاف في الحديد فركبهم المسلمون فقتلوهم ولم يقتلوا من المسلمين إلا تسعه رهط، وإن شئت فاذهب إلى أبي برزه فإنه يشهد بذلك قلت الأخبار بقتال الخوارج متواتره عن رسول الله لأن ذلك من

ص: ٢٦٦

طرق تفييد القطع عند أئمه هذا الشأن ووقوع ذلك فى زمان على معلوم ضروره لأهل العلم قاطبه وكما تواتر كلفه خروجهم وسببه ومناظره ابن عباس لهم فى ذلك ورجوع كثير منهم إليه.

وأخرج أحمد بن حنبل عن محمد بن كعب بن خيثم عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله لعلى حين ولى غزوه العشيره:

يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذى عقر الناقه والذى يضربك يا على على هذه يعنى قرنه حتى يبيل هذه يعنى لحيته.

وقد روى البيهقى بإسناد صحيح عن زيد بن اسلم عن أبى سنان المدركى عن على فى إخبار النبى بقتله، وروى من حديث هيثم عن إسماعيل بن سالم عن أبى إدريس الأزدي عن على قال:

إن ما عهد إلى رسول الله أن الأمه ستغدر بك بعدى ثم ساقه من طريق قطر بن خليفه وعبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبه بن يزيد الحمامى، قال: سمعت عليا يقول: إنه لعهد النبى الأُمى إلى إن الأمه ستغدر بك بعدى (١).

وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبى النضر عن

ص: ٢٦٧

١- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ١٠٧/٤؛ بغيه الباحث عن زوائد مسند الحارث، على بن أبى بكر الهيثمى، وفاته عام ٥٨٠٧هـ؛ مسعد عبد الحميد السعدنى، دار الطلائع: ٢٩٦؛ البدايه والنهائيه: ٦/٢٤٤.

محمد بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضاله الأنصاري وكان أبوه من أهل بدر، قال: خرجت مع أبي عائدا لعلى بن أبي طالب في مرض أصابه، قال: فقال:

أبي ما يقيمك بمنزلك هذا فلو أصابك أجلك لم يكن إلا أعراب جهينه تحملك إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال علي: إن رسول الله عهد إلى أن لا أموت حتى تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته، فقتل وقتل أبو فضاله مع علي يوم صفين.

وقال أبو داود الطيالسي (١): حدثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب، قال:

جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له: اتق الله فإنك ميت، فقال: لا والذي فلق الحبه وبرأ النسمه ولكن مقتول من ضربه علي هذه تخضب هذه وأشار بيده إلى لحيته عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افتري.

وفي الصحيحين (٢) من حديث الأعمش عن خيثمه عن سويد بن غفله عن علي سمعت رسول الله يقول:

يخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البريه لا يجاوز إيمانهم حناجرهم؛ فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم إلى يوم القيامة.

ص: ٢٦٨

١- مسند الطيالسي: ١/٢٣، ح ٥٧. انظر المستدرک علی الصحيحين: ٣/١٥٤.

٢- صحيح البخاري: ٣/١٣٢١، ح ٣٤١٥، صحيح مسلم: ٢/٧٤٦، ح ١٠٦٦.

كان للفترة التي قضاها معاويه في الشام والتي تقرب من ربيع قرن تقريباً من عام (١٢ - ٥٣٥هـ) دور بارز في إعطاء معاويه مركز منوط الأركان، وجيش لم يخض حرباً لفترة طويلة، وما كان من سياسته معاويه في إبعاد أهل الشام عن الاختلاط بالمسلمين من الأمصار الأخرى خوفاً على تغير طبائعهم وتأثرهم بسلوك وخلق أهل الأمصار، حتى انه في وصيته ليزيد أشار عليه أن يبعد الشاميين عن الاختلاط بالآخرين جهده وإذا ما أضيف إلى ذلك عامل عرف به معاويه وأشتهر به، وهو أن لا تحجبه وسيله ولا تمنعه عن بلوغ غايته، فهو لا يتحرج من اتخاذ كل طريقه وكل سبيل من أجل طموحه في السلطه والملك، وقد أبرز ذلك الأحداث من يوم استدعاه عثمان لنجدته وتماهله عنه وحتى نهايه حكمه بموته عام ٥٦٠هـ - حيث عهد ليزيد بالخلافه؛ فتحولت إلى ملك عضوض، فمعاويه الذي استمال عمرو بن العاص بان جعل له مصر (طعمه)، حاول الكثير

مع بعض أصحاب الامام على عليه السّلام وقاده جيشه، فخاب مع من عرف الحق، ونجح مع أهل المصالح كالأشعث بن قيس الذي ألبس على الناس وأكره الامام عليه السّلام على قبول التحكيم، وبالتالي أنقسم الجيش وكادت تقع الفرقة لولا أن حسم الامام على عليه السّلام الموقف بإرساله للأشعث أن يترك موقعه ويأتيه، فأصرار الأشعث ورهطه من أهل اليمن والخوارج وموقفهم وحواراتهم التي تنبأ أن يفعلوا بالامام عليه السّلام

- كما صرحوا - كما فعلو بعثمان بن عفان كل هذه العوامل قد أجبرت الامام عليه السّلام على هذا الموقف الذي أدى إلى ظهور الخوارج وتولى معاويه الخلافه؛ فصحيح أنّ رفع المصاحف قد أبدل هزيمه محققه لمعاويه، وتحسم القضيه له وبالهمزيمه النفسيه لجند الامام عليه السّلام، إلا أنّ العوامل السابقه كانت ممهده ومتسبب في النتائج، فضلاً عما أصاب

الجيش المنظم إلى الامام عليه السلام من فرقه وانقسام، ولما كان قد ألم به يوم الجمل، فربما كان لذلك وللأسباب السابقه كلها أن تكون النتيجة لصالح معاويه، والذي يقول لما عاد الأشر إلى على كدت أطلب منه الأمان، وهممت بالهرب لولا رفع المصاحف.

مواقف من التحكيم

كان رفع المصاحف بدايه التمهيد لقضيه التحكيم والحكمين، ومن ثم التأسيس لقيام الدوله الأمويه كما يرجع إليه ما حصل من فرقه واختلاف في جيش الامام على عليه السلام، وإن الحكمين وبالصوره التي ظهرت كانا من نتائج رفع المصحف أيضاً.

ونورد هنا جملة من الأقوال، لتوضيح سير الأحداث بعد رفع المصحف من قبل جيش الشام وما كانت نتائج ذلك وتأثيره على الطائفتين:

روى أن شقيق بن ثور البكرى وثب، فقال:

يا أهل العراق: أنكم تعلمون أننا كنا دعونا، أهل الشام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإنّ رددناه عليهم حل لهم مثلما حل لنا منهم، ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله، وإن علياً رضى الله عنه ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلاّ البقاء في المواعده والسلام ...

ثم وثب خالد بن معمر السدوسي فقال:

فإن إذ سبقنا إلى الكلام، فإننا لا نرى البقاء إلاّ فيما دعاك القوم إليه، فإن رأيت ذلك فأجبههم وإن لم ترى ذلك فأريك أفضل.

ثم وثب رفاعه بن شداد البجلي وكان من أفاضل أصحاب على رضى الله عنه،

فقال:

أيها الناس: إنه لا يفوتنا شيء من حقنا وقد دعونا القوم إلى ما دعوناهم إليه في أول أمرنا، فإن يتم الأمر على ما نحب وحكم بالقرآن على ما فيه من الحق فبعد بلاء شديد وقتل ذريع، وإن تكن الأخرى أثرناها عجاجة، فهذه سيوفنا في رقابنا وأرماحننا في أكفنا(١).

وبعيد هذه السجلات الكلامية وغيرها، جاء إلى أي إلى الامام على عليه السلام زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، قد اسودت جباهم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، وزيد ابن حصين وعصابه من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا يأمره المؤمنين يا على، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان(٢)، والله لنفعلها بك إن لم تجب القوم إلى كتاب الله(٣).

موقف الامام عليه السلام

فقال الامام على عليه السلام لهم:

ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنى

ص: ٢٧١

١- - الفتوح: ٣/١٨٣ - ١٨٥.

٢- وقعه صفين: ٤٨٩-٤٩٠.

٣- الفتوح: ٣/١٨٥.

إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، لكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا بالعمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فأبعث إلى الأشتر ليأتيك. وقد كان الأشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله (١).

حكاية لمصعب بن الزبير

سأل مصعب بن الزبير إبراهيم بن الأشتر - وهو ممن شهد صفين - حين دخل عليه بعد مقتل المختار - كيف كانت رفع المصاحف، فقال إبراهيم:

كنت عند على حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، فأرسل إليه على يزيد بن هانئ: أن ائتنى، فأتاه فبلغه فقال الأشتر: فقل له: ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى... فرجع يزيد بن هانئ، إلى على فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق، ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم (٢).

قالوا: فابعث إليه - أى لمالك الأشتر - فليأتك وإلا والله عزلناك (٣)، وفى روايه وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان (٤).

ص: ٢٧٢

١- صفين: ٤٩٠.

٢- صفين/٤٩٠، ويراجع تاريخ الطبرى: ٥/٦٦١-٦٦٢.

٣- الفتوح: ٣/١٨٦.

٤- صفين/٤٩١.

وحين عاد الأشتر قال لهم بعد أن وبخهم:

(أمهلوني فواقا، فإنني قد أحسست بالفتح، قالوا: لا.

قال: فأمهلوني عدوه الفرس، فإنني قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل في خطيبتك.

قال: فحدثوني عنكم وقد قتل أمثالكم وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين، أحين كنتم تقتلون أهل الشام، أم أنتم الآن في إمساكم عن القتال محقون؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار.

قالوا: دعنا منكم يا أشتر(١).

موقف عقائدي

وقال رجل للأشتر: يا هذا! إن أمير المؤمنين قد قبل الحق ورضى بحكم القرآن ولم يسعه إلا ذلك فلا تقتل نفسك.

فقال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد رضى فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين.

معاويه يطلب الأمان

فكان معاويه بعد ذلك يقول:

والله لقد رجعت عنى الأشتر يوم رفع المصاحف وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من على(٢).

ص: ٢٧٣

١- صفين ٤٩١.

٢- الفتوح: ٣/١٨٨.

وجاء الأشعث بن قيس - لما رفعت المصاحف - إلى علي فقال له:

ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجيئوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، فنظرت فيما يسأل، قال: ائته إن شئت.

الأشعث ومعاوية

فأتى الأشعث معاوية، فقال:

يا معاوية لأي شيء رفعت هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا ثم نأخذ عليهما أن يعملأ بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحق، فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال معاوية.

فقال الناس: فإننا قد رضينا وقبلنا، فقال أهل الشام: فإننا قد اخترنا عمرو بن العاص.

فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري.

الامام عليه السلام وأبو موسى

قال علي: فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إنني لا أرى أن أولى أبا موسى.

فقال الأشعث وزيد بن حصين الطائي ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلاّ به، فإن ما كان يحذرنا منه وقعنا فيه.

قال علي: فإنه ليس لي بثقه، قد فارقتني، وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنت به بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.

قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس: لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاويه سواء.

قال علي: فإني أجعل الأشر.

قال الأشعث: وهل سعر الأرض غير الأشر؟! وقال: هل نحن إلا في حكم الأشر؟ قال علي: وما حكمه(١).

قال: (يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله)(٢).

قال الامام عليه السلام: فقد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم (اللهم إني أبرأ إليك من صنعهم)(٣)، ثم بعثوا إلى الأشعري وكان قد اعتزل القتال، وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر(٤).

مواقف ضد اختيار الأشعري

إن أصحاب الامام عليه السلام، الذين عرفوا (الأشعري) وموقفه من الامام عليه السلام وحروبه وخلافته، طلبوا منه أن يرسل غيره، وكان أولهم مالک الأشر، ثم جاءه الأحنف بن قيس وطلب منه أن يرسله بدلاً عن أبي موسى لعدم أهليته في مواجهه عمرو بن

ص: ٢٧٥

١- تاريخ الطبري: ٥/٦٣٣-٦٦٤.

٢- الأخبار الطوال: ١٩٢.

٣- الفتوح: ٤/١٩٩.

٤- وقعه صفين: ٥٠٠.

العاص، فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب.

فقال الأحنف:

فان أبيتتم إلا أبا موسى فادفؤا ظهره بالرجال(١)، ثم قال لهم الامام على عليه السّلام: غير أنى أراكم قد أجمعتتم على أمر لا أرى فيه مخالفتكم(٢).

ويروى ابن أعثم:

أن أبا الأعور السلمى أقبل من عند معاويه وعلى رأسه المصحف حتى وقف قريباً من عسكر على رضى الله عنه، ثم نادى بأعلى صوته: ... قد جئتكم فى أمر لنا ولكم فيه حياه، وعذر وصلاح وحقن الدماء وألفه الدين وذهاب الفتن، أن نجعل القرآن بيننا وبينكم حكما ويحكم بيننا حكمان مرضيان: أحدهما من أصحابنا والآخر من أصحابكم، يحكمان بما فى كتاب الله عزّ وجلّ فإنه خير لنا ولكم، ونقطع هذه الفتن، فاتق الله يا على! فيما دعيت إليه وأرض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فصاحت به الناس: إننا قد رضينا بحكم القرآن.

فقال أبو الأعور:

فالحمد لله على ذلك، ووقفنا وإياكم لصالح الأمور، ثم إنصرف إلى العسكر.

فقال على رضى الله عنه: ويحكم! إن معاويه لم يكن ليختار لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح

ص: ٢٧٦

١- تاريخ الطبرى: ٥/٦٦٤.

٢- الفتوح: ٢/١٨٩.

للقرشى إلا مثله، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمراً لا يعقد عقده إلا حلها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه، ولا ينقض أمر إلا أبرمه.

فقال: الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مضرين أبداً حتى تقوم الساعة: ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن؛ فقال على رضى الله عنه: إنى أخاف أن يخذع يمانيكم، فإن عمرو بن العاص ليس من الله فى شىء؛ فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما تحب وهما مضرين(١).

ثم اجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكريين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يمتوا ما أمات القرآن، فرضى الفريقان جميعاً بالحكمين، وجعلوا المده فيما بين ذلك إلى سنه كامله(٢).

ص: ٢٧٧

١- الفتوح: ٤/١٩٨.

٢- الفتوح: ٤/١٩٧.

الاختلاف فى كتابتها

فغمد الناس أسيافهم ووضعوا أسلحتهم وعزموا على التحكيم. والتقوا فى المنصف بين العسكريين ودعوا بالكاتب، عبيد الله بن رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو كاتب على عليه السلام واجتمع الناس من أهل العراق والشام (١).

وقالوا: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين) فقال معاوية: (بس الرجل أنا إن أقررت بأنه أمير المؤمنين، ثم أقاتله).

فقال عمرو بن العاص: (بل أكتب اسمه واسم أبيه).

فقال: على الله أكبر سنه بسنه، أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا يوم الحديبيه - قريه قريه من مكه - وامتناع قريش أن يكتب محمد رسول الله (٢)، فكتبت ذلك بأمر الرسول صلى الله عليه وآله، فقال يا على! إن لك يوماً مثل هذا، أنا أكتبها للآباء وتكتبها للابناء (٣).

ص: ٢٧٨

١- الفتوح: ٤/٢٠١.

٢- الأخبار الطوال/١٩٤.

٣- الفتوح: ٤/٢٠١.

وكان أبو سفيان حاضراً في الصلح، فقال للنبي صلى الله عليه وآله:

يا محمد! إنى لو أقررت أنك رسول الله لما قاتلتك، ولكن أكتب لناصحيفتك باسمك واسم أبيك، ثم قال الامام على عليه السلام، فكتبت ذلك(١).

نص الصحيفة

إن مما يلحظ على المنقول التاريخي في المصادر المختلفه، أن هناك تفاوتاً في النقل فضلاً عما اشتمل بعضه على إرباك وعدم وضوح وربما أن ما أورده صاحب الفتوح أدق وأكثر تماسكاً من غيره على وجازه نقله(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وأهل الحجاز وأهل العراق من شيعه على وأهل الشام من شيعه معاوية، إنهم ينـزلون على حكم كتاب الله وأنّ كتاب الله بين على ومعاوية من فاتحته إلى خاتمته. وأن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن، والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص.

وإن على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أخذوا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بما أنزل الله في كتابه، فإن لم يجد في كتاب الله فبالسنه الجامعه غير المفرقه، وإن عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص قد أمنا من الجندين جميعاً على

ص: ٢٧٩

١- الفتوح: ٤/ ٢٠١، وتاريخ الطبرى: ٥/٦٦٤-٦٦٥.

٢- الأخبار الطوال: ١٩٤، وقعه صفين: ٥٠٤، تاريخ الطبرى: ٥/٦١٥ وما بعدها.

دمائهما وأموالهما، وإن الأسمه لهما أنصار على ما تقاضيا عليه، والعهد والميثاق على الفريقين جميعا أن يرضوا بما فى هذه الصحيفه، وأن يرجع أهل العراق، إلى عراقهم وأهل الشام إلى شامهم، وأن يكون المجتمع للحكم بدومه الجندل، والمده بين على ومعاويه سنه كامله - والسلام(١).

وكتب أهل العراق بهذا كتاباً لأهل الشام بخط عبيد الله بن أبى رافع كاتب على، وكتب أهل الشام بهذا كتاباً لأهل العراق بخط عمار بن عباد الكلبي كاتب معاويه، وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام، وشهود أهل الشام على أهل العراق(٢). وإن الكتاب قد (كتب يوم الأربعاء لثلاث عشره ليله بقيت من صفر سنه سبع وثلاثين)(٣).

ص: ٢٨٠

١- الفتوح: ٤/٢٠٥، ويراجع وقعه صفين للمقارنه: ٥١٥.

٢- انظر: وقعه صفين: ٥٠٦-٥٠٧، حول أسماء الشهود من الطرفين.

٣- الأخبار الطوال/١٩٦.

وروى نصر بن مزاحم انه: لما كتبت الصحيفه دعى لها الأشر فقال:

لا صحبتنى يمينى ولا نفعتنى بعدها الشمال إن كتب لى فى هذه الصحيفه اسم على صلح ولا موادعه، أو لست على بينه من ربى،
ويقين من ضلاله عدوى؟!!

أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!!

فقال له رجل من الناس: إنك والله ما رأيت ظفراً ولا فوزاً، هلم بك مع الناس.

قال مالك: بلى والله، إن بى لرغبه عنك فى الدنيا للدنيا وفى الآخره للآخره.

ولقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندى ولا أحرم دما.

فقال عمار بن ربيعه: فنظرت إلى ذلك الرجل - أى الأشعث بن قيس- وكأنما قبح على أنفه الحمم - أى الرماد والفحم وكل ما
احترق من النار- ثم قال مالك: ولكن قد رضيت بما صنع أمير المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه؛ فإنه لا
يدخل إلا فى هدى وصواب(١).

ص: ٢٨١

سليمان بن سرد الخزاعي

عن عون بن أبي صحيفه قال:

أتى سليمان بن سرد علياً أمير المؤمنين بعد الصحيفه ووجهه مضروب بالسيف، قال نظر إليه علي قال: {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً} (١)، فأنت ممن ينتظر وممن لم يتبدل.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما لو وجدت أعواناً ما كتب هذه الصحيفه أبداً.

أما والله لقد مشيت في النار ليعودوا إلى أمرهم الأول فما وجدت أحداً عنده خير إلا قليلاً (٢).

محرز بن جريش

وقام محرز إلى علي فقال:

يا أمير المؤمنين ما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل، فوالله إنى لأخاف أن يورث ذلاً.

فقال علي: أبعد أن كتبناه نقضه، إن هذا لا يحل (٣).

شعار الخوارج

(لا حكم إلا لله): وقد رفعوه حين أخذ الأشعث بن قيس، كتاب الصلح - صحيفه

ص: ٢٨٢

١- الاحزاب، ٢٣.

٢- وقعه صفين/٥١٩.

٣- وقعه صفين/٥١٩.

التحكيم- يمر به على كل، رايه رايه، وقبيله قبيله فيقرؤه عليهم، فمر برايات عن-زه، وكان مع

على منهم أربعة آلاف رجل، فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم، اسمهما جعد ومعدان: (لا حكم إلا لله) ثم شدا على أهل الشام، فقاتلا حتى قتلا، وهما أول من حكم.

ثم نادى بهذا الشعار أيضاً أو بما يعطى دلالتة، صالح بن شقيق من مراد، وبني راسب وبني تميم، وقال عروه بن أدية:

(أتحكمون في دين الرجال، فأين قتلانا يا أشعث؟) ثم حمل بسيفه على الأشعث فأخطأه، فانصرف الأشعث إلى قومه (1).

خطبه الامام على عليه السلام بعد الصلح

روى نصر بن مزاحم عن الشعبي، أن علياً قال:

يوم صفين حين أقرّ الناس بالصلح، إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولا ليحيبوا إلى كلمه السوء حتى يرموا بالمفاسر تتبعها العساكر، وحتى يرموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر بيلادهم الخميس - الجيش - يتلوه الخميس وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم ... صدق صبر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلهم وموتاهم في سبيل الله إلا جدا في طاعه الله، وحرصاً على لقاء الله.

ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابنائنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على

ص: ٢٨٣

١- الأخبار الطوال / ١٩٦-١٩٧، وفي أنساب الأشراف اختلاف في أول من حكم (عروه بن أدية أو يزيد بن عاصم المحاربي): ٣:

أمضى الألم، وجد على جهاد العدو، والاستقلال بمبارزه الأقران، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول
الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمره لنا من عدونا، ومره لعدونا منا.

فلما رأنا الله صبر صدقا أنزل الله بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر. ولعمري لو كنا نأتى مثل الذى أتيتم ما قام الدين ولا عزّ
الإسلام.

وايم الله لتحلبنها دمًا - يعنى الخوارج - فاحفظوا ما أقول لكم(١).

وصايا لأبى موسى الأشعري

سبق أن أشرنا إلى موقف أبى موسى من بيعه الامام عليه السلام وكذا موقفه عن حرب الجمل وتخذيل الناس ومحاولة إبعادهم
عن الالتحاق بالامام عليه السلام ومنعهم من مشاركته فى حروبه، وإن الامام عليه السلام لما أكره على التحكيم لم يرض بأبى
موسى للسبب السابق ذكره، ولأن أبا موسى لا يستطيع من مواجهه منكر وأحاييل عمرو بن العاص؛ لذا قال الامام عليه السلام
لهم: أن أرموه عبد الله بن عباس، فإنه لا يعقد عمرو عقد إلا حله ... غير أن القوم أكرهوا الامام عليه السلام أيضاً على أن يكون
الأشعري ممثلاً عنهم وحكماً فيما بينهم وبين معاويه، إن أبا موسى ليس نداءً لعمرو ولا أهل فى أن يكون قبالتة؛ لذا فان بعضهم
تقدم إلى أبى موسى موصياً أياه بالحذر والتحفظ فى التعامل مع عمرو لما عرف عنه بالغدر والمكيده.

ص: ٢٨٤

١- وقعه صفين: ٥٢٠-٥٢١.

شريح بن هاني

أقبل شريح على أبي موسى وقال له:

إنك قد نصبت لأمر لا يجبر صدعه ولا يستقال عثرته، فاعلم أنك إن قلت شيئاً لك أم عليك ألزمتك حقه وزال عنك باطله، فاتق الله وأنظر كيف تكون، فإنك قد رميت بعمر بن العاص، وهو رجل لا دين له، لأنه باع دينه بدنياه، فإياك أن يخدعك فإنه خداع مكار، والسلام(١).

الأحنف بن قيس

ويروى ابن مزاحم أن آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس، أخذ بيده ثم قال له:

يا أبا موسى، أعرف خطب هذا الأمر، والله أن له ما بعده، وأنت إن أضعت العراق فلا عراق، فاتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت عمراً غداً فلا- تبدأه بالسلاام، فإنها وإن كانت سنه إلا أنه ليس من أهلها، ولا تعطيه يدك فأنها أمانه، وإياك أن يقدمك على صدر الفراش فإنها خدعه. ولا- تلقه وحده، وأحذر أن يكلمك في بيت مخدع تخبأ فيه الرجال والشهود(٢).

عدي بن حاتم الطائي

ووثب عدي بن حاتم الطائي فقال:

أما والله يا عمرو! إنك لغير مأمون العيب فأما أنت يا أبا موسى فغير مأمون الضعف.

ص: ٢٨٥

١- الفتوح: ٢٠٧/٤-٢٠٨.

٢- صفين: ٥٣٦.

فقال عمرو بن العاص:

والله يا عدى! مالك ولا لغيرك مع كتاب الله ورد ولا صدر، فامسك عنك هذا.

ثم قال عمرو لأبي موسى:

والله لقد كنت أحب أن لا يشهد هذا الأمر من يفسده علينا(١).

عبد الله بن عباس

وإن ابن عباس التقى بأبي موسى بعد لقاء أبي موسى بعمرو بن العاص، وقال له:

(ويحك يا أبا موسى، أحسب والله عمراً قد اختدعك، فإن كنتما قد اتفقتما على شيء فقدمه قبلك ليتكلم، ثم تكلم بعده، فإن عمراً رجل غدار، ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت به فى الناس خالفك).

قال أبو موسى:

(قد اتفقتنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله)(٢).

ص: ٢٨٦

١- الفتوح: ٤/٢١٠.

٢- الأخبار الطوال: ٢٠٠.

لقد رُسمت صورته لها معالم وملامح واضحة بنسبه ما، لشخصيه كل من عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، مما قد رواه المؤرخون والمحدثون، والذي:

درجناه تحت العناوين السابقه ابتداء من بيعه الامام عليه السلام وما سبقها من أحداث إلى يوم التحكيم، حيث وضحت لنا الوصايا والتحذيرات لأبي موسى وحوارات معه ومع عمرو بن العاص - تلك الملامح والمعالم - ممن شهد وقعه صفيين من صحابه وتابعين بإحسان، وما سبق ذلك من أحداث وما تلاها.

أخبار الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكمين

روى اليعقوبى المتوفى سنة (٢٨٤هـ-) والمسعودى المتوفى سنة (٣٤٦هـ-) و ابن كثير الدمشقى المتوفى سنة (٧٧٤هـ-).

إن الرسول صلى الله عليه وآله أخبر عن حكمين يخرجان فى أمته يُحكما فيضلان ويضلا من يتبعهما، كما كان قد حدث ذلك فى بنى إسرائيل، ولم يذكر المسعودى سند الروايه وفى اليعقوبى كما دون فى الهامش (بياض فى الأصل)، ويروى عن عبد الرحمن بن حصين بن سويد^(١)، وذكر ابن كثير الدمشقى سند آخر، والروايات الثلاث لها مضمون واحد

ص: ٢٨٧

١- بعد مراجعته كتب الرجال ظهر أن عبد الرحمن بن حصين أو حصين، بن اويس وليس سويد، وجميع المصادر ينقل عن عبد الله بن عمر. انظر: التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٢هـ- : ١٩٣، والجرح والتعديل، الرازى: ٥٠، أى أن لم يرد راوى بالاسم الذى ورد فى تاريخ اليعقوبى.

ودلاله واحده أيضاً، وإن اختلفت في الألفاظ فضلاً عما فيها من نقص أو زياده(١).

روايه يعقوبى

قال ابن الكلبي:

أخبرني عبد الرحمن بن حصين بن سويد(٢) قال: إنى لأساير أبا موسى الأشعري على شاطئ الفرات، وهو إذ ذاك عامل لعمر - ابن الخطاب - فجعل يحدثني، فقال: إن بنى إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض، حتى حكموا ضالين أضلا من اتبعهما.

قلت - أي سويد بن غفله -:

فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكمين، قال فقال لي: إذاً لا ترك الله لي في السماء مصعداً ولا في الأرض مهرباً إن كنت أنا هو.

فقال سويد:

لربما كان البلاء موكلاً بالمنطق. ولقيته بعد التحكيم،

فقال أبو موسى:

إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب(٣).

ص: ٢٨٨

١- تاريخ يعقوبى: ٢/١٩٠-١٩١، المسعودى، مروج الذهب: ٢/٣٩٢ والبدايه والنهايه: ٦/ ٢٢٠.

٢- ربما اشتباه من الناسخ، أو أن عبد الرحمن بن حصين ينقل عن سويد.

٣- يعقوبى: ٢/١٩٠-١٩١.

ويجد القارئ من خلال المقارنه بين النصوص الثلاثه أن الذى يتحدث مع أبى موسى، هو سويد بن غفله، وأخرى هو ينقل عن أمير المؤمنين ما رواه عن النبى صلى الله عليه وآله بخصوص حكيم يظهران عند اختلاف يكون بعد عصر النبى بين فئتين فيحكموهما فى أمر فيضلان ويضلا غيرهما، وهو الذى يحاور أباً موسى بعد التحكيم، فيريه أنه روى الحديث وعاش الحادث وهو أحد الفاعلين فيه ولكن من غير وعى بمآل الحال، فمن سل ربك العافيه، إلى إذا قضى الله أمراً لم يغالب، - فرب ناقل فقه وهو ليس بفقيه، أو ينقله إلى من هو أفقه منه - وتلك حاله تُرى فى أحد الحكمين، والآخر يسعى بقصد وهدفه ليكون معاويه أو سواه أميراً لحاجه فى نفسه، وهو يعى دور معاويه وسواه من خلال ما يكون له من موقع هنا أو هناك، لا يفوته فى كل أحواله مكانه يطلبها، لأنه لا يجد فى ابن أبى طالب ضعف، ووهن يستطيع اختراقه بما يملك من خبث، ومكر.

روايه المسعودى

قال المسعودى:

كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعه صفين ويقول: إن الفتن لم تزل فى بنى إسرائيل ترفعهم وتضعهم حتى بعثوا الحكمين يحكمان بحكم لا يرضى به من اتبعهما، وإن هذه الأمه لا تزال بها الفتن ترفعها وتخفضها حتى يبعثوا حكيمين يحكمان بما لا يرضى به من اتبعهما، فقال سويد بن غفله: إياك أن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين، قال: أنا؟ قال نعم أنت، قال: فكان يخلع قميصه ويقول: لا جعل الله لى إذاً فى السماء مصعداً، ولا فى الأرض مقعداً، فلقيه سويد بن غفله بعد ذلك فقال: يا أبا موسى! أتذكر مقاتلك؟ قال: سل ربك العافيه.

ص: ٢٨٩

فقد ذكر ابن كثير بطريق آخر - أى غير الذى ذكره اليعقوبى - عن عبد الله بن يزيد وحييب بن بشار عن سويد بن غفله قال:

إنى لأمشى مع على بشط الفرات فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فضلا وأضلا من اتبعهما، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكمين ضالا وأضلا من اتبعهما(١).

وروى صاحب ميزان الاعتدال الروايه، والغريب ما استنكره الطبرانى لما يمكن أن يعتبر قرينه ومدعم من روايتى اليعقوبى والمسعودى على صحه المنقول وصدوره عن صاحب الرساله (ص) مع غض الطرف عن الروايات التى وردت عنه (ص) ولسانها الاشتشراف والاستقبال محدث بمآلات الأمة والصحابه، فقد ذكر الذهبى: ان الطبرانى قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلم الرازى ثنا إسماعيل بن موسى

السدى ثنا جعفر بن على بن عابس عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت عن سويد بن غفله قال: سمعت أبا موسى الأشعري يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون فى هذه الأمة رجلان ضالان ضال من تبعهما فقلت يا أبا موسى أنظر لا تكون أحدهما، قال: فوالله ما مات حتى رأيت أحدهما. وقال الطبرانى: هذا باطل عندى لأن جعفر بن على شيخ مجهول..(٢)

ص: ٢٩٠

١- البدايه والنهائيه، ابن كثير: ٦/٢٢١.

٢- ميزان الاعتدال، الذهبى، وفاته عام ٧٤٨هـ-، تحقيق على محمد، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ : ٢٤٧.٨/٧١.

لقد تضمنت صحيفه التحكيم ما اشترطه الطرفان على الحكّمين، بعد أن أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه، وذمته وذمه رسوله أن يتخذا القرآن اماما ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجداه في الكتاب رداه إلى سنه رسول الله الجامعه، لا يتعمدان لها خلافاً، ولا يبغيان فيها بشبهه(١).

كما أن الصحيفه تضمنت ما للحكّمين من حقوق، أن يكونا في آمان من الطرفين - في حكومتها على الشرطين - على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأهاليهما وأولادهما ما لم يعدوا الحق، رضى به راضٍ أو سخط به ساخط، وإن الأمه أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما هو في كتاب الله(٢).

وصيه الامام على عمرو بن العاص

لما كان موعد اجتماع الحكّمين أرسل الامام عليه السلام وصيه إلى عمرو بن العاص مع شريح بن هانئ - فعن النضر بن صالح قال:

كنت مع شريح بن هانئ في غزوه سجستان، فحدثني أن علياً أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص، قال له: قل لعمرو إن لقيته: إن علياً يقول لك:

إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده،

ص: ٢٩١

١- الأخبار الطوال: ١٩٤-١٩٥.

٢- نفس المصدر.

وأبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده.

والله يا عمرو: إنك لتعلم أين موضع الحق، فلم تتجاهل؟ إن أوتيت طمعا يسيرا كنت به لله وأوليائه عدوا فكأن والله ما أوتيت قد زال عنك ويحك فلا- تكن للخائنين خصيماً ولا- للظالمين ظهيراً، أما إنى أعلم بيومك الذى أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عداوه ولم تأخذ على حكم رشوه(١).

قال شريح: فأبلغته ذلك فتمعر - أى تغير وعلته صفره - وجه عمرو وقال: متى كنت أقبل مشوره على أو أنيب إلى أمره واعتد برأيه؟!

فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغه أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبهم صلى الله عليه - وآله - مشورته(٢)، فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه، ويعملان برأيه، فقال: إن مثلى لا يكلم مثلك فقلت له: وبأى أبويك مترغب عنى! بأبيك الوشيظ - الخسيس والتابع - أم بأمك النابغه - لقب أم عمرو(٣).

اجتماع وتداول الحكيمين

لما رفع أهل الشام المصحف، خاطب أمير المؤمنين عليه السّلام أصحابه قائلاً: إن هذه خديعه وأن هؤلاء لم يعلموا القرآن ولا عملوا به، أو لستم على بينه من ربكم؟ فأمضوا لشأنكم وقاتلوا عدوكم. فلم يفعلوا وغلبوه فأجاب إلى ترك القتال.

ص: ٢٩٢

١- تاريخ الطبرى، (٨) مجلدات طبعه الأعلمى: ٥١-٤/٥٠.

٢- وقعه صفين/٥٤٢-٥٤٣.

٣- تاريخ الطبرى: ٥/٤٨٣.

وروى ابن طباطبا:

فتراضى الناس جميعاً بذلك إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنه رضى كارهاً ونفر يسير من أصحابه كالأشتر وابن عباس رضى الله عنهم^(١)، وفى المصادر الأخرى قد ذكرت أسماء أخرى من أصحاب الامام عليه السلام ممن لم يرضوا بالتحكيم وقالوا: إن رفع هذه المصاحف خدعه رفعت حين عرف أهل الشام أنهم مغلوبون^(٢).

ويقول ابن طباطبا:

(ثم أرسل - أمير المؤمنين عليه السلام - إلى معاوية، رسولاً يقول له: ما الذى تريد برفع هذه المصاحف؟

قال: نحكم منا رجلاً ومنك رجلاً ونقسم على الرجلين أن ينصحا الأمة ويعملا بما فى كتاب الله عزّ وجلّ وما لم يجدها فى كتاب الله حملاه على السنه والجماعه فأى شيء حكما به قبلنا^(٣).)

وبعد مضى أشهر ووفقاً لبعض المرويات أن الحكمين اجتمعا فى عام ثمان وثلاثين، وجرت بينهما مداولات وتحاورا، ثم أعلننا ما اتفقا عليه، ومن خلال تتبع المنقول التاريخى، كان المحور الذى ركز عليه أحد الحكمين - عمرو بن العاص - مسأله الخليفه عثمان ومظلوميته، وإن معاوية ولى الدم.

وأما الحكم الآخر فكان يركز على إعادته الأمر تاره إلى الأمة وأخرى يطلب من

ص: ٢٩٣

١- الفخرى، فى الآداب السلطانيه، ابن طباطبا: ٩١.

٢- سبق أن أشرنا لذلك، وقد ذكرنا مصادره.

٣- الأخبار الطوال: ١٩٩.

عمرو بن العاص إحياء سنة عمر بمبايعه ولده عبد الله بن عمر، وفي بعض المصادر لم يذكر ذلك.

تداول وحوار الحكمين

إن أهم ما يثار هنا:

أولاً: ما هو دور المصحف؟ وأين موقعه من الحكمين؟ أو بكلمه أدل ما المقصود بهذا الشعار «كتاب الله بيننا وبينكم»؟

ثانياً: ما الأمر المبحوث عنه في المصحف؟

حتى إذا لم يجد الحكمان فيه عن هذا الأمر شيئاً، بحثا عنه في السنه غير المفرقه؟

ثالثاً: أكان الحكمان، يبحثان، عن خلع على، وإثبات معاويه؟ أم أنهما كان يحكمان في أمرين لا ثالث لهما: وهما خروج معاويه على شرعيه الخليفه والأمه، هذا من طرف على ومن تابعه من الصحابه، مهاجرين وأنصار وتابعين بإحسان.

والأمر الثاني إن يصح من طرف معاويه، وهو الاقتصاص من قتله عثمان، وهذا شعار معاويه ومن تابعه وهدفه المعلن، واحتجابه به واحتجابه وذريعته بقتال الخليفه وأنه أبدى للشاميين ولغيرهم، أنه ليس كعلى في سابقته ودينه، ... إلا أنه آوى قتله امامكم، ولو سلمهم لبايعته وتابعته...!

ومما يستغرب منه أن المنقول التاريخي عموماً لم يشير إلى هذه المطالب المثاره، فضلاً عن تجاهل لدور المصحف المرفوع في الأمر كله؛ فلم يكن له حيزاً بين الحكمين في تداولهما، اللهم إلا- أن لا- يغفل ما تنازلا به الحكمان، [فأحدهما يلهث في حاله، والآخر يحمل أسفاراً]، لا تعليق هنا.

ص: ٢٩٤

وإذا تركنا الناقلين، وحجبتهم ما يشار، فلا- يسعنا إلا أن نسجل للتاريخ أيضاً غرابه موقف، وتغيب آخر وليس أخير حول هذه المطالب، من قبل متأخرين مكاناً وزماناً عن تلك الأحداث وملابساتها، إلا- أنهم أبوا إلا- أن ينظروا ويفكروا بنفس منظور السابقين، وبذات تفكيرهم.

ولكن من أجل من؟

ويؤرخ لهذا التوجه في القرن العشرين من عام ١٩٢٧، وإلى أواسط التسعينيات، أى يبدأ بكتاب (الدولة الأموية في الشام) أنيس النصولي، ولا ينتهى بكتاب سليم العوا (في النظام الإسلامى) حيث شغل الحكمان ومتعلقتهما حيزاً يعتد به من مساحه الكتاب دفاعاً عنهما مصوراً كل المنقول التاريخى فى هذا الاتجاه وهماً وما يشاكله، ولم يعقب على المتواتر بين المسلمين - خصوصاً له وعموماً لغيره - بل لم يدر بخلده حتى مجرد وهم حول مجريات الأمور التى تسببا فى خلقها، فيقف متأملاً، أى حديث «متفق عليه» روى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حول الحكامين، أو ما فى دلالتة يفضى مشيراً إلى داله توجه نحو الحق أو رجالاته؛ فما وروى أبو سعيد الخدرى، وأبو أيوب وسواهما، فيما يخص قتال، الناكثين، والمارقين، والقاسطين، أو ما له مثل هذه الظلال أو العطاء والتجلى، وليس التجنى، وهو كثير، وقد أشرنا إلى بعض منه (١).

ص: ٢٩٥

١- انظر: الدولة الأموية فى الشام، أنيس زكريا النصولي، مطبعة دار السلام فى بغداد، ١٩٢٧، الدولة الأموية يوسف العشى، تاريخ الدولة الأموية، د. نبيه عاقل، دارالفكر، ط ٣، ١٣٩٤هـ- . إلى غير ذلك من المؤلفات .

ولنعد لحوارات الحكمين وما دار بينهما، وما خلاصا إليه:

روى ابن قتيبه:

(إن عمراً غدا على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى قد عرفت حال معاوية في قريش، وشرفه في بني عبد مناف، وأنه ابن هند، وابن أبي سفيان، فما ترى؟

فقال أبو موسى: أما معاوية فليس بأشرف في قريش من علي، ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية، كان أخوال ذى أصبح - وفي مصادر أخرى أبرهه بن صباح - ولكنني أرى وترى، وباعده أبو موسى، ثم غدا عليه عمرو، فقال:

يا أبا موسى إن قال قائل: إن معاوية من الطلقاء، وأبوه رأس الأحزاب، لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق، وإذا قال: إن علياً أوى قتله عثمان، وقتل أنصاره يوم الجمل (١)، وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق، وفينا وفيكم بقيه، وإن عادت الحرب ذهب ما بقي، فهل لك أن نخلعهما جميعاً، ونجعل الأمر لعبد الله بن عمر، فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يبسط في هذه الحرب يداً ولا لساناً، وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه، فقال أبو موسى: جزاك الله بنصيحتك خيراً.

وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر أحداً، - بزعمه - لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومكانه من أبيه، لفضل عبد الله في نفسه، واقترباً على هذا الأمر، واجتمع رأيهما على ذلك (٢).

ص: ٢٩٦

١- سبق التحقيق في مسأله أهل الجمل ودورهم في مقتل عثمان.

٢- الامامه والسياسه: ١/١١٧-١١٨.

فلما كان من الغد أقبل - عمرو بن العاص - إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدهم للذى يريد أن يصنع؛ فدخل على أبي موسى واجتمعت الناس للكلام، فقال عمرو:

يا أبا موسى: أنشدك الله من أحق بهذا الأمر؟ من وفى أم من غدر؟

فقال أبو موسى: لا بل من وفى. قال: فما تقول فى عثمان أقتل ظالماً أو مظلوماً؟ فقال أبو موسى: بل مظلوماً.

قال: فما تقول فى قاتله أقتل به أم لا؟

فقال أبو موسى: بل يقتل به.

قال عمرو: فمن يقتله؟

قال: يقتله أولياء عثمان، لأن الله عزّ وجلّ قال: {ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً} (١).

قال عمرو: فهل تعلم أن معاوية من أولياء عثمان؟

فقال أبو موسى: نعم، هو من أولياء عثمان وفى الأخبار الطوال قال أبو موسى: فأولى منه - أى من معاوية - ابنه عمرو بن عثمان (٢) - قال عمرو: أيها الناس أشهدوا على ما قاله أبي موسى!

قال أبو موسى: نعم، فاشهدوا ثم أشهدوا على ما أقول: إن معاوية من أولياء عثمان، أقم يا عمرو! فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس.

فقال عمرو: سبحان الله! أقوم أنا قبلك، وقد قدمك الله على فى الإيمان والهجرة، لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت، وأقوم أنا من بعدك.

ص: ٢٩٧

١- الأسراء: ٣٣.

٢- الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/١١٨.

إعلان ما اتفق عليه الحكمان

وهنا أيضاً يجد قارئ التاريخ الإسلامى أن المنقول والنصوص التى رويت فى هذا الأمر الذى اتفق عليه الحكمان متفاوت ومتباين من مصدر إلى آخر ومن روايه إلى أخرى، فقد نقل ابن قتيبه: إن أبا موسى قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن خير الناس للناس. خيرهم لنفسه، وأنى لا- أهلك دينى بصلاح غيرى، إن هذه فتنة قد أكلت العرب، وأنى رأيت وعمرو، أن نخلع علياً ومعاويه ونجعلها لعبد الله بن عمر، فانه لم ييسط فى هذه الحرب يداً ولا لساناً(١) فى حين أن البلاذرى يروى، أن عمراً خلا- بعبد الله بن عمر فقال: أنت أحق بهذا الأمر؛ فأجابه عبد الله بن عمر: ما أنا بالذى أقاتل الناس فتؤمرونى عليهم، ولا حاجه لى فى الإمرة(٢).

ثم نعود إلى روايه الدينورى: ثم قام عمرو فقال:

أيها الناس هذا أبو موسى شيخ المسلمين، وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا وقد خلع علياً وأنا أثبت معاويه.

فقال أبو موسى مالك؟ عليك لعنه الله: ما أنت إلا كمثل الكلب تلهث! فقال عمرو: لكنك مثل الحمار تحمل أسفاراً.

ص: ٢٩٨

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه: ١/١١٨.

٢- انساب الأشراف: ٣/ ١١٩.

غير أن بعض المصادر ورد فيها أن الحكمين قد اتفقا على جعل الأمر شورى ليختار الناس لأنفسهم.

فقد روى الدينورى عن اتفاق الحكمين وتقديم عمرو لأبى موسى، فصعد أبو موسى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(أيها الناس إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به الألفه هذه الأمه ويصلح أمرها، فلم نر شيئاً هو أبلغ فى ذلك من خلع هذين الرجلين، على ومعاويه، وتصيرها شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلاً، وإنى قد خلعت علياً ومعاويه فاستقبلوا أمرهم وولوا عليكم من أحببتهم ثم نزل، وصعد عمرو، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إن هذا قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه إلا وأنى قد خلعت صاحبه كما خلعه، وأثبت معاويه، فإنه ولى أمير المؤمنين عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)(1).

إن أبا موسى يشبه عمرواً بالكلب والأخير يشبه أبا موسى بالحمار، وهما صحابيان ووصفتها أقوال من كتب عنهم بزهد وتقوى أو ما شابه ذلك، فأيهما يُسمع قوله؟ وأيها أعدل، لنعدل به عن صاحبه، وما هما وخلع أو تثبتت وهما ليس من أهل السابقه، ولا ممن أنس برأيه فى شورى أو بيعه على طول خط تداول السلطه «سقيفه، عهد أبى بكر، وشورى عمر»!

وهل رضيت الأمه بهما حكمين كيما يتسابا بالقرآن؟ وهل حكما القرآن؟ أم تحكما به؟

ص: ٢٩٩

١- الأخبار الطوال: ٢٠١.

واختلط الناس بعد ذلك، فقالوا:

والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتانا عما نحن عليه، وما صلحكما يلزمنا وإنا اليوم على ما كنا عليه بالأمس، ولقد كنا ننظر إلى هذا قبل أن يقع - وما أمات قولكما حقاً، ولا أحيا باطلاً(١)- ثم تشاتم أبو موسى وعمرو، ثم إنصرف عمرو إلى معاويه، ولحق أبو موسى بمكة، وفي مصادر أخرى هرب من أهل الشام وأهل العراق(٢).

وفي روايه أبي حنيفه:

وأنسل أبو موسى، فركب راحلته وهرب، حتى لحق بمكة(٣).

وانصرف القوم إلى علي، فقال عدى:

أما والله يا أمير المؤمنين، لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال، وجعلت الحكم لله.

فقال علي عليه السلام: أما إنى قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى، فأبيتتم علىّ، ولا سبيل إلى حرب القوم حتى تنقضى المده، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قم يا حسن فتكلم فى أمر هذين الرجلين: أبى موسى وعمرو. فقام الحسن عليه السلام- فتكلم فقال: أيها الناس، قد اكثرتم فى أمر أبى موسى و عمرو، و إنما بعثنا ليحكما بالقرآن دون الهوى، فحكما

ص: ٣٠٠

١- الفقره تحتاج تأمل، الامامه والسياسه: ١/١١٨.

٢- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١/١١٩.

٣- الأخبار الطوال: ٢٠١.

بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكماً، ولكنه محكوم عليه، وقد كان من خطأ أبى موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر، فأخطأ فى ثلاث خصال: خالف (يعنى أبى موسى) أباه عمر، إذ لم يرضه لها - أى للخلافه - ولم يره أهلاً لها، وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا - ادخله فى الشورى إلا على أنه لا شىء له فيها، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى، فهذه واحده، وثانيه لم تجمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين يعقدون الامامه، ويحكمون على الناس، وثالثه: لم يستأمر الرجل فى نفسه، ولا علم ما عنده من رد أو قبول.

ثم قال على عليه السلام لعبد الله بن جعفر: فتكلم. فقام وقال:

أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلى، والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبى موسى، فقلتم قد رضينا هذا، فارض به، وإيم الله ما أصلحاً بما فعلا الشام، ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حق على ولا أحييا باطل معاويه، ولا يذهب الحق قله الرأى، ولا نفخه الشيطان، وإنا لعلى اليوم كما كنا أمس عليه(١).

آخر خطبه

روى ابن قتيبه(٢) ولما أراد على - عليه السلام- الانصراف من النهروان، قام خطيباً، فحمد الله ثم قال:

أما بعد، فإن الله قد أحسن بلاءكم، وأعز نصركم، فتوجهوا من

ص: ٣٠١

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١/١١٩.

٢- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١/١٢٨-١٣٠.

فوركم هذا إلى معاويه وأشياعه القاسطين، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً، فبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. فقالوا: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا، وكلت أذرعنا، وتقطعت سيوفنا، ونصلت أسنه رماحنا، فارجع بنا نحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عده، فإن ذلك أقوى لنا على عدونا. فأقبل على الناس حتى نزل بالنخيله، فعسكر بها، وأمر الناس أن يلزموا معه عسكرهم، ويوطنوا أنفسهم على الجهاد، وأن يقلوا من زياره ابنائهم ونسائهم، حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام، فأقاموا معه أياماً، ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة، ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم، حتى تركوا علياً وما معه إلا نفر من وجوه الناس يسير، وترك العسكر خالياً.

فقام على عليه السلام على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربه إلى الله، ودرك الوسيله عنده، فأعدوا له ما استطعتم من قوه، ومن رباط الخيل، وتوكلوا على الله، وكفى به وكيلاً، ثم تركهم أياماً، ودعا رؤساءهم ووجههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذى ثبّطهم؟ فمنهم المعتل، ومنهم المتكره، وأقلهم من نشط، فقال لهم على: عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا فى سبيل الله اناقتم إلى الارض أرضيتم بالحياه الدنيا من الآخره بدلا، ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا، كلما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم، كأنكم من الموت فى سكره، وكانت قلوبكم قاسيه، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كمه(1)،

ص: ٣٠٢

١- كمه: اجمع أكمه، وهو الذى ولد بون عينين (محقق).

فأنتم لا- تبصرون، لله أنتم، ما أنتم إلا أسود رواعه(١)، وثعالب رواعه عند الناس، تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تحاشون، وأنتم فى غفله ساهون: إن أخوا الحرب اليقظان.

حَقِّكُمْ وَحَقِّي عَلَيْكُمْ

أما بعد: فإن لى عليكم حقاً، ولكم على حق، أما حقكم على: فالنصيحه فى ذات الله، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقى عليكم: فالوفاء بالبيعه، والنصح لى فى الاجابه حين أدعوكم، والطاعه حين آمركم، فإن يرد الله بكم خيرا تن-زعوا عما أكره، وترجعوا إلى ما أحب، تنالوا بذلك ما تحبون، وتدرکوا ما تأملون أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم، ما عزت دعوه من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهى الصم(٢)، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إذا أمرتكم بالمسير قلت كيت وكيت، أعاليل بأضاليل، هيهات، لا يدرك الحق إلا بالجد والصبر، أى دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أى امام بعدى تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيبي(٣)، أصبحت لا أطمع فى نصرتكم، ولا أصدق قولكم، فرق الله بينى وبينكم، وأعقبنى بكم من هو خير لى، وأعقبكم بعدى من هو شر لكم منى، أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً. وسيفاً قاتلاً. وأثره يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنه. تفرق جماعتكم. وتبكي

ص: ٣٠٣

١- رواعه: خوافة جمع رواع و هو شديد الروع و هو الخوف (محقق).

٢- الصم: جمع أصم: و المراد الجبال الصم و هى الشديده الصلابه، و يوهى يضعف (محقق).

٣- السهم الذى لا يصيب مرماه (محقق).

عيونكم. وتدخل الفقر بيوتكم. تمنون والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني. وستعرفون ما أقول لكم عما قليل. استنفرتكم فلم تنفروا. ونصحت لكم فلم تقبلوا، وأسمعتكم فلم تعوا، فأنتم شهود كأغياب، وصم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظه النافعه، وأحثكم على جهاد المحليين (١)، الظلمه الباغين، فما آتى على آخر قولي حتى أراكم متفرقين، إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقا عزين، تضربون الامثال، وتناشدون الاشعار، تربت أيديكم، وقد نسيتم الحرب واستعدادها، وأصبحت قلوبكم فارغه عن ذكرها، وشغلتموها بالباطيل والاضاليل، ويحكم! اغزوا عدوكم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا- ذلوا، وايم الله ما أظنكم تفعلون حتى يفعل بكم! وايم الله لوددت أنى قد رأيتهم فلقيت الله على نيتى وبصيرتى، فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم، ويحكم! ما أنتم إلا كإبل جامحه ضل عنها رعاؤها، فكلما ضمت من جانب، انتشرت من جانب، والله لكأنى أنظر إليكم وقد حمى الوطيس، لقد انفرجتم عن على انفراج الرأس، وانفراج المرأه عن قبلها.

ص: ٣٠٤

١- الذين أحلوا أنفسهم من بيعه الامام على عليه السلام بعد أن وجب عليهم و لزمتهم (محقق).

اقتد بفعل عثمان

فقام إليه الاشعث بن قيس الكندي، فقال:

يا أمير المؤمنين فهلا فعلت كما فعل عثمان؟

قال له علي:

ويلك وما فعل عثمان، رأيتني عائذا بالله من شر ما تقول، والله إن الذي فعل عثمان لمخزاه علي من لا دين له، ولا حجة معه، فكيف وأنا علي بينه من ربي، والحق معي، والله إن امرأ أمكن عدوه من نفسه، فنهش عظمه، وسفك دمه، لعظيم عجزه، ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فو الله دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفي، يطير له فراش الرأس، وتطيح منه الاكف والمعاصم، وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

استشراق المستقبل

والله يا أهل العراق، ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم، فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنى أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت، وأراهم جادين فى باطلهم، وأراكم وانين فى حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لى عاصين. أما والله لئن ظهروا عليكم بعدى

لتجدنهم أرباب سوء، كأنهم والله عن قريب قد شاركوكم فى بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم، وكأنى أنظر إليكم تكشون كشيخ الضباب، لا تأخذون لله حقاً، ولا تمنعون له حرمة، وكأنى انظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم، وكأنى أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم، ويدينون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف ونزل الخوف، لندمتم وتحسرتم على تفريطكم فى جهاد عدوكم، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية، حين لا ينفعكم التذكار.

شاهد

ثم قام أبو أيوب الانصارى، فقال:

إن أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية، وقلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم به كرامه ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وخير المسلمين وأفضلهم وسيدهم بعده، يفقهكم فى الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلين، فوالله لكأنكم صم لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون. عباد الله، أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع فى الإسلام، فذو حق محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقى بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق، ونشر العدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمه الله عليكم، ولا تتولوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. اشحذوا السيوف، وجددوا آله الحرب، واستعدوا للجهاد، فإذا دعيتم فأجيبوا، وإذا أمرتم فأطيعوا تكونوا بذلك من الصاقدين.

ص: ٣٠٦

ثم قام رجال من أصحاب علي فقالوا:

يا أمير المؤمنين، اعط هؤلاء هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي، ممن يتخوف خلفه على الناس وفراقه. وإنما قالوا له: هذا الذي كان معاويه يصنعه بمن أتاه، وإنما عامه الناس همهم الدنيا، ولها يسعون، وفيها يكدحون؛ فأعط هؤلاء الاشراف، فإذا استقام لك ما تريد عدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم، فقال علي: أتأمرني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الإسلام؟ فوالله تكون نصره أحدكم كنصره العبد لسيدته: إذا شهد أطاعه، وإذا غاب سبه. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتظن ذلك كائنا؟ قال: ما هو بالظن ولكنه اليقين. لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم، والله لو كان لي مال لسويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالكم. (١)

تركه أمير المؤمنين وخليفه المسلمين عليه السلام

قال هبيرة بن شريم:

سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب، فذكر أباه وفضله وسابقته، ثم قال: والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادما (٢).

ص: ٣٠٧

١- الامامه و السياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١ / ١٣٢ (محقق).

٢- الامامه و السياسه، ابن قتيبه الدينورى ١ / ١٤٠؛ المستدرک، الحاكم النيشابورى، ٣ / ١٧٢، (في هذا المصدر نقل من على بن الحسين عليهما السلام)؛ صحيح ابن حبان، ابن حبان، ١٥ / ٣٨٥ في هذا المصدر نقل من هبيرة بن يريم (محقق).

وجاء رجل من مراد إلى علي، فقال له:

يا أمير المؤمنين، احترس، فإن هنا قوما يريدون قتلك: فقال: إن لكل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا.

آخر وصاياہ عليه السلام

قيل: ولما ضرب علي دعا أولاده، وقال لهم:

عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا علي ما صرف عنكم منها، وانفضوا إلى عباده ربكم، وشمروا عن ساق الجد، ولا تثاقلوا إلى الأرض، وتقروا بالخسف، وتبوءوا بالذل، اللهم اجمعنا وإياهم على الهدى، وزهدنا وإياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى، والسلام(١).

وبعد ذلك رجع الامام عليه السلام وجنده إلى الكوفة، وهنا اعتزل الخوارج واتجهوا إلى حروراء، وبها سموا «حروريه» ثم كان بُعيد ذلك إفسادهم في الأرض ومناجزه أمير المؤمنين عليه السلام لهم، فكانوا مانعاً من مقاتل معاوية بن أبي سفيان.

فكانوا ممهدين لتحول الخلافة إلى ملكك عضوض، حيث ورث الامام الحسن عليه السلام تلك النتائج مع جيش قليل العده والعدد كما أتضح من خطاب أمير المؤمنين عليه السلام حيث انفض الأعم الأغلب من الجند وتركوا معسكرهم «النخيله» فارين إلى خفض العيش والدعه والمسكنه، وبالتحقيق ربما لم يبق إلى صف الامام الحسن عليه السلام إلا تلك المقدمه -

ص: ٣٠٨

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوري، تحقيق الزيني: ١/ ١٤٠.

وهى أربعون ألفاً لا يزيدون - التي قادها عبيد الله بن العباس لمواجهة القاسطين إلا أنه أصبح في معسكر معاوية خاذلاً امامه وخائناً أمانته، فقادهم قيس بن سعد بن عباده الذي أصر إلى آخر لحظه على عدم مبايعه معاوية.

وإن ما جرى في مسكن ومحاولة أحدهم لإغتيال الامام عليه السّلام وسلب متاعه إلى غير ذلك يؤكد ما نذهب إليه من قله جنده، وإضطراره لحفظ البقيه من خلص أصحابه وتأخير الحرب إلى وقت آخر كما في تصريحه عليه السّلام، فكل ذلك عوامل أنتجت الصلح وما أعقبه من ظواهر ومواقف للفرقاء.

ص: ٣٠٩

ذكر المؤرخون، أن لما قتل الامام علي بن أبي طالب عليه السّلام ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعه، فبايعوه (١)، وكان ذلك بعد فراغ الامام الحسن عليه السّلام من قتل عبد الرحمن بن ملجم - قاتل الامام علي عليه السّلام -، حيث أتجه حشد كبير من أهل الكوفه إلى الامام الحسن عليه السّلام، وقد غص بهم مسجد الكوفه - علي سعته - فقام خطيباً، حيث كان يقف أمير المؤمنين عليه السّلام، وحوله من بقى من صحابه الرسول صلى الله عليه وآله - مهاجرين وأنصار - فقال بعد أن حمد الله وصلى على محمد وآله:

لقد قبض في هذه الليله رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فبقيته بنفسه، وأينما وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله كان جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه» (٢)...

ص: ٣١٠

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوري: ص ١٨٣.

٢- الأرشاد، الشيخ المفيد: ٢ / ٨، مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ص ٣٢- ٣٣. دارالكتاب، إيران، شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ٣٠ / ١٦.

وبعد استعراضه ما كابده الامام عليه السلام وقاساه في سبيل الرسول صلى الله عليه وآله و رسالته قال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذي افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: {قل لا أسألكم عليهم أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً} (١) فاقترااف الحسنه مودتنا أهل البيت، ودعا الناس إلى بيعته؛ فاستجابوا له، وقالوا: ما أحبه إلينا، وأحقه بالخلافه، فبايعوه، ثم نزل عن المنبر (٢).

وإن أول من بايعه، هو قيس بن سعد بن عباده، فقال له:

أبايعك على كتاب الله وسنه نبيه، ثم بايعه الناس بعده (٣).

وكان ذلك يوم دفن الامام على عليه السلام لثمان ليال بقيت من رمضان سنه أربعين هجريه. وقال ابن الكثير:

الخلفاء الأربعة: أبو بكر، عمر، عثمان، وعلى خلافتهم محققه، ثم بعدهم الحسن بن على - كما وقع - لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق... الخ (٤).

ص: ٣١١

١- الشورى، الآية: ٢٣.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ص ٣٣؛ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٢٧٠؛ المعجم الأوسط، الطبراني، ٢ / ٣٣٦، على اختلاف يسير في مصدرين الاخرين (محقق)..

٣- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ج ٨، ص ١٦.

٤- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ج ٦، ص ٢٥٥.

وإنه لما قتل الامام على ابن أبي طالب عليه السلام سار الناس إلى الحسن بن علي عليهما السلام بالبيعه.

موقف الامام الحسن عليه السلام من معاويه

كان الامام على عليه السلام يعد جنده قبيل اغتياله لقتال معاويه وأهل الشام، وقد حال استشهاده عن ذلك، وكان معاويه في الوقت نفسه يدس الرجال إلى الكوفه والبصره وغيرها للقيام بالأعمال التخريبية والقتل غدراً ومكيداً على طريقته في الكيد: «أن لله جنوداً منها العسل»^(١).

فكتب إليه الحسن عليه السلام - بعد أن قتل المسلمون أحد رجاله: -

أما بعد، فإنك دسست إلى الرجال، كأنك تحب اللقاء، وما أشك في ذلك، فتوقعه إن شاء الله، وقد بلغني أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى^(٢).

صلح الامام الحسن عليه السلام الأسباب والدوافع:

إن لفهم موقف الامام عليه السلام، ومن ثم صلحه مع معاويه لا بد من استحضار نقطتين أساسيتين تتعلقان بمهمه الامام عليه السلام ووظيفته، وهما:

ص: ٣١٢

١- النص: «قال معاويه أيضاً حين بلغه أن الأشر سقى شربه عسل فيها سم فمات: إن لله جنوداً منها العسل»، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس السعدي، متوفى ٦٦٨، دار مكتبة الحياه، بيروت، تحقيق، د. نزار رضا: ١٧٤؛ تاج العروس، الزبيدي: ٢/٣٢٦.

٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ص ٣٣.

١- الحفاظ على سلامه مبادئ رساله الإسلاميه، والتجسيد الكامل لها فى واقع الأمه.

٢- تحصين الأمه الإسلاميه، وإعداد الجيش العقائدى لتأمين ذلك التحصين ضد الانحراف الذى سعت إليه أطراف كثيره مدفوعه إليه بدوافع متباينه، ففى ذلك تواجه الامام ثلاثه احتمالات، هي (١):

الأول: أن يحارب معاويه رغم الظروف السيئه، ورغم النتائج المؤلمه التى تترتب على هذا الموقف (٢)، مع يقين الامام الحسن عليه السلام بأن الموقف سيكون لصالح معاويه.

الثانى: أن يسلم السلطه إلى معاويه، ويتخلى عن أهدافه ودوره (٣).

الثالث: أن يتخذ الموقف المنسجم وطبيعته رساله الإسلاميه محافظاً على مهمته ووظيفته لكونه الشخص الأمين على رساله، والامتداد الطبيعى للنبي فى خط الامامه المعصومه، فيتخلى عن الصراع المسلح مؤقتاً ريثما تتوفر الظروف المناسبه للمواجهه والإطاحه بالحكم الفاسد.

فعلى أساس ذلك أبرم الامام عقد الصلح مع معاويه.

ص: ٣١٣

١- ثوره الحسين، محمد مهدي شمس الدين: ص ١٤٢. دار التعارف، بيروت، ط ٥، ١٣٩٩.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

١- كراهه الناس للحرب:

قول الامام الحسن عليه السلام لحجر بن عدى:

«إنى رأيت هوى عظم الناس فى المصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن احملهم على ما يكرهون فصالحت بقياً على شيعتنا (خاصه) من القتل»^(١)

٢- تأجيل الحرب:

فرايت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو فى شأن^(٢)، أى تأجيلها والأعداد لها فى غير وقت معاويه.

كما يؤكد ذلك قول الامام الحسن عليه السلام لسفيان بن ليلى:

«ما أردت بمصالحتى معاويه إلا أن ادفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابى عن الحرب، ونكولهم عن القتال»^(٣).

٣- ضعف الوازع الدينى:

وهو العامل الأهم كما يصوره الامام الحسن عليه السلام فى أحد خطبه:

«وكنتم فى مسيركم إلى صفين ودينكم امام دنياكم، وأصبحتم اليوم

ص: ٣١٤

١- الأخبار الطوال، الدينورى: ص ٣٢٠.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

ودنياكم امام دينكم»(١).

وكانت تركيبه جيش الامام عليه السلام كما يحددها في خطبته أعلاه:

١- طائفه تريد الثأر لقتلاها في النهروان(٢).

٢- طائفه متخاذله «فأما الباقي فخاذل».

٣- طائفه مواليه، والذين وصفهم بقوله: «وباكي تائر»(٣).

جيش الامام الحسن عليه السلام:

اختلف المؤرخون في تعداد جيش الامام الحسن عليه السلام الذي تهيأ به لقتال معاويه مع اتفاق بينهم على أن مقدمته كانت اثنا عشر ألفاً، وهي التي التقت جيش معاويه في منطقه (مسكن)، والتي فيها حاول معاويه استماله قاده جيش الامام الحسن: قيس بن سعد، وعبيد الله بن عباس، حيث أغراهم بالمال والمناصب الحكوميه، ولكن قيس بن سعد - القائد الثاني في جيش الامام - رفض إغراءات معاويه، وقال لمعاويه: «لا التقيك إلا السيف والرمح بيني وبينك».

وبشكل عام استطاع معاويه تفتيت تماسك جيش الامام، وقد عبر الامام الحسن عليه السلام عن تخاذل جيشه غير مره في خطب له عديده، وإن خطبه الامام عليه السلام، يوم بيعته وحثه القوم للقاء معاويه القادم إليهم بجيش الشام، تدل على عدم إجابته له عليه السلام، وعدم رغبتهم في الحرب، ونكوصهم للراحه والدعه.

ص: ٣١٥

١- الارشاد، الشيخ المفيد: ص ١٧٠.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

وذهبت هباءً محاولات بعض الأصحاب لاستنهاض جيش الامام، كمحاولة عدى بن حاتم الذى حث القوم على الجهاد وحرب أهل البغى. وكان خالص أصحاب الامام عليه السّلام يطرفون فى أزقه الكوفه، وينادون بالجهاد، ويطلبون من الناس أن يؤازروا امامهم وينصحوها له، ولكن الناس تتباطأ فى التجهز للحرب، وما كان من انتهاب فسطاط الامام عليه السّلام، ومحاولة اغتياله وهو فى معسكره فى المدائن، الأمر الذى يؤكد اضطرار الامام عليه السّلام للصلح مع معاويه.

ص: ٣١٦

إن صلح الامام الحسن عليه السلام مع معاويه يُعد أهم ظاهره فى خلافه الامام الحسن عليه السلام، لما يبتنى عليه من فهم لتأسيس مرجعى فى حاله كتلك التى أكرهته - أى الامام على موقفه - فصالح معاويه؛ هذا من ناحيه، كما أن موقفه كان مظهراً للسليبات التى أسهمت بها الفترات السابقه التى أهلت معاويه لولايه الشام والأجناد الأربعة، وما تلا ذلك من اتساع النفوذ الأمويه فى الولايات الأخرى وتركز رؤوس الأموال بأيديهم ومراكز القوه أيضاً، فضلاً عما أنتاب الأمه من حاله نكوص وانكفاء عن مرجعيتها الفكرية ومن ثم فقدانها الدافع للوقوف بوجه الظلم؛ ميلاً للدعه والمسكنه، وحباً بخفض العيش، كل تلك وغيرها من الأسباب أسهمت بشكل وأخر فى ما آل إليه أمر الأمه، فشكل فيما بعد منعطفاً تاريخياً كبيراً فى حياه الأمه الإسلاميه.

ولابد من وقفه مع الدارسين والباحثين العذنين توافروا على قراءه الصلح كظاهره فى تاريخ التجربه الإسلاميه، فكانوا فرقاء فى مواقفهم التى هى مظهر لما ارتكزوه من متبنيات ورؤى سابقه شككت ذهنيه انحيازيه تاره ومهادنه أخرى، وقليلاً ما تجد الموضوعيه واستناد الرساله كمرجعيه فى الحكم والمحاكاه للأحداث والظواهر وما أنتجت من واقع قريباً كان أو بعيداً عن مبادئ الرساله الإسلاميه.

واختلفوا فى تقييمه والحكم عليه، ولعل البعض منهم - فيما كتب - انغلق فى حدود

نصوص مضطربة ومتضاربة في حكاية الأحداث التي حفل بها التاريخ الإسلامي والتي كتبت بذهنيه أمويه ومداد عباسي.

وكان نتيجة ذلك إهمال بعض المؤرخين لكثير من التفاصيل التي تتعلق بتلك الحوادث، ومالوا للإجمال فيما يخص حوادث أخرى لأن بها الكثير مما يחדش سلطان الغلبة والقهر وينتصر للرسالة والرساليين الأمينين على حفظ الدين وتحصين الأمة من "فتنه الانقلاب على الأعقاب".

وإن الدراسة أو البحث في مواقف الأئمة عليه السّلام، ومنها "صلح الامام الحسن" لا يمكن أن يوصف بالموضوعية أو يتسم بالعلمية إذا ما فقد النظرة الشمولية في البحث والدراسة لأمرين هامين، قد تمثلا بدور الأئمة تجاه الرسالة:

أولاً: بالعمل على الحفاظ عليها سليمة من التحريف "كمرجعيه مفهوميه" للارتفاع بالواقع وفقاً لها.

وثانياً: تجاه الأمة بتحسينها من الانحراف ومحاولة بناء الجيش العقائدي الذي يحقق أهداف الرسالة.

وعلى وفق هذين الأمرين تتم دراسته صلح الامام الحسن عليه السّلام.

فأما بالنسبة للأمر الأول، وهو ما يتعلق بالحفاظ على الرسالة، فيتضح من خلال خطبه الامام الحسن عليه السّلام في الكوفة خلال مراسم الصلح، قال عليه السّلام:

«... وإن معاوية زعم أني رأيت للخلّافه أهلاً ولم أر نفسي لها أهلاً فكذب معاوية، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبيه» (١).

ص: ٣١٨

١- الأماي، الشيخ الطوسي، ص ٥٥٩؛ صلح الامام الحسن (ع)، محمد جواد فضل الله: ٣٥. دار الزهراء، بيروت/ط٣، ١٤٠٨هـ-.

والنص يؤكد حرص الامام عليه السّلام على التزام موقفه السياسى وراثسه الدوله الإسلاميه فى إطار مسؤولياته التغييريه الكبرى، أما إذا كان مدعاه إلى إعطاء فرصه لمعاويه وسواه ممن يحاوله توظيف الرساله ومبادئها لخدمه أغراضه ولو على بحرٍ من دماء المسلمين؛ فالامام عليه السّلام لا يرى أن يتخذ كل وسيله للوصول إلى السلطه(١).

وأما بالنسبه للأمر الثانى، وهو تحصين الأمه والارتفاع بها، فيتضح لنا من خلال نقطتين اثنتين هما:

الأولى:

وهى ما عبّر عنه السيد الشهيد محمد باقر الصدر بـ «مرض الشك» الذى ابتليت به الأمه فى زمن الامام الحسن عليه السّلام، حيث كانت تشك فى مبدئيه الصراع بين الامام الحسن عليه السّلام ومعاويه إذ اعتبرته بين سلطانين على الملك، وليس صراعاً بين شرعيه الامام وأحقّيته وبين معاويه وانحرافه وظلمه وجوره.

وكان من المحال على الامام النهوض بالأمه لمواجهه معاويه وهى بهذا المستوى من الوعى، الأمر الذى دفعه لإيقاع الصلح مع معاويه بغرض الكشف عن حقيقته ولكى تعرف الأمه الفوارق بينه عليه السّلام وبين ابن أبى سفيان. وفعلاً حصل للامام ما يريد بعد حين عندما نكث معاويه شروط الصلح، فعرفت الأمه حينها أحقيه الامام، وتهيأت لاستقبال وضعاً آخر زمن امامه الحسين عليه السّلام.

ص: ٣١٩

١- انظر: أهل البيت تنوع أدوار ووحده هدف، السيد الشهيد آيه الله العظمى محمد باقر الصدر(رض)، موضوع ثلاثه أئمه فففيه تفصيل عن الموقف الموحد للأئمه (ع) من أجل حفظ الرساله، وكيان الدوله والأمه.

اشاره

وهى ما يتعلق بالقوه العسكريه التى ينهض بها الامام عليه السّلام، ومدى تفاعل الجيش مع أهداف الامام عليه السّلام ومستوى معنوياتهم - فالجيش قد خاض حروب ثلاثه الجمل وصفين والنهروان - إذ لا يمكن له أن ينهض ويقاوم، وكل الشروط المطلوبه لإنجاح مهمته وفقاً للمقاييس غير متوفره، بل إن الظروف لم تكن متوافره وحتى بالحد الدفاعى الذى يمنع إباده جيش الامام عليه السّلام وقد لا يشترط بها أن تكون أكبر من قوه العدو من الناحيه الماديه، بل يكفى فيها أن تمنع حصول تلك الإباده التى ليس فيها عطاء وفقاً لوحده الهدف فى مواقف الأئمه عليه السّلام.

والامام الحسن عليه السّلام لم يحصل على هذه القوه حتى بالحد الأدنى مما دفع الامام عليه السّلام مكرهاً ومضطراً للصلح.

بنود معاهده الصلح

اشاره

اشتملت المعاهده التى تم توقيعها من قبل الطرفين والاشهاد عليها على خمس مواد لم يف معاويه بأى منها(١).

الماده الأولى:

أن يُسلم الامام الحسن عليه السّلام الأمر إلى معاويه، على أن يعمل بكتاب الله ويسنّه رسوله صلى الله عليه وآله(٢)، وبسيره الخلفاء الصالحين(٣).

ص: ٣٢٠

١- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٨/٤١.

٢- شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد: ٤/٨، والامامه والسياسه، الدينورى: ١٨٥.

٣- النصائح الكافيه، ابن عقيل، ط ١: ١٥٦، وتاريخ الخلفاء، السيوطى: ١٩٤.

الماده الثانيه:

أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده (١) - عند موت معاويه -، فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين عليه السلام (٢)، وليس لمعاويه أن يعهد به إلى أحد (٣).

الماده الثالثه:

أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاه، وأن لا يذكر علياً إلا بخير (٤).

الماده الرابعه:

استثناء ما فى بيت مال الكوفه، فلا- يشمله تسليم الأمر، وعلى معاويه أن يفضل بنى هاشم فى العطاء والصلوات على بنى عبد شمس.

وإن يُفرق فى أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج (دار أبجرد) (٥).

الماده الخامسه:

إنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاويه ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً

ص: ٣٢١

١- البدايه والنهايه، ابن الكثير: ٨/٤١.

٢- عمده الطالب، ابن المهنا: ٥٢.

٣- شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد: ٤/٨.

٤- أعيان الشيعة، العلامة محسن الأمين: ٣/٤٣، ومقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني: ٢٦، وغيرهما.

٥- هذه النصوص متفرقه فى الامامه والسياسه، الدينورى، طبع دار المعرفه، بيروت: ٢٠٠ وتاريخ الأمم والملوك، الطبرى، ٦/٩٦، والبدايه والنهايه، ابن الكثير: ٨/١٤.

بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بأحنه(١).

وإن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا... (٢).

وأن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائله، سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق(٣).

وقد كتب معاوية في ختام المعاهده فيما واثق الله عليه من الوفاء بها بما لفظه: "وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك، عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه"(٤).

وبذلك تكون الخلافة قد أفضت إلى قوم تولوها بغير استحقاق(٥).

نتائج ومعطيات صلح الامام الحسن عليه السلام:

إشارة

إن مسألة الصلح لم تكن الحدث الأول في تاريخ الرسالة الإسلامية، فإن

ص: ٣٢٢

- ١- شرح نهج البلاغه، ابن الحديد: ٣/ ١٥.
- ٢- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، منشورات المكتبة الحيدرية النجف الأشرف، ١٣٨٥: ٢٦، وشرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد: ٤/١٥.
- ٣- النصائح الكافية، ابن عقيل: ١٥٦، ط ١، الهند، وكشف الغم، ابن أبي الفتح الأربلي: ٢/١٩٣، وبحار الأنوار، محمد باقر المجلسي: ١٠/١١٥.
- ٤- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينوري: ١/١٨٥. وانظر: صلح الامام الحسن، راضي آل ياسين: ٢٦٢؛ ففيه دراسه موضوعيه حوّل موقف الامام الحسن(ع).
- ٥- دائره معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى: ٣/٢٣١.

الرسول صلى الله عليه وآله - الأسوه للأئمه عليه السلام، ومن ثم للمسلمين عامه - كان قد صالح قريش، وهم آنذاك مشركين، وكان معاويه وأبوه وأقاربه في صف الشرك يومئذ، وكذا إن الامام على عليه السلام حين لم يجد بداً من التحكيم - للظروف السيئه التي أحاطت به، وخشيته على اقتتال أتباعه - صالح معاويه، وانتهى التحكيم بما انتهى إليه.

فصلح الامام الحسن مع معاويه بن أبي سفيان، لم يخرج عن السيره المشرفه للرسول صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، فهو ورثهما، والامتداد الطبيعي لهما.

وأما أهم نتائج ومعطيات الصلح فهي:

١- تزييف الشرعيه والطابع الديني الذي عمل معاويه على إضافتهما على ملكه وشخصيته لدى المسلمين.

٢- إظهار أحابيل، وكذب معاويه، وكشف أهدافه لدى عامه المسلمين، وهذا ما أشار إليه طه حسين في كتابه: (على وبنوه) بقوله:

«ما مات معاويه إلا وأكثر المسلمين وأهل العراق عامه يبغضون معاويه ويحبون أهل البيت، ويعتبرون ذلك ديناً لأنفسهم»^(١).

٣- إيضاح وبيان أن هدف معاويه في كل ما احتال له من شراء الذمم والضمان، إنما كان في سبيل الملك والسلطان ليس إلا.

٤- التمهيد والأعداد لثوره الحسين عليه السلام بعد موت معاويه، حيث تكون الأئمه قد عرفت الحق وأهله، والباطل وأهله، وستكون أكثر استعداداً لمواجهة الباطل.

٥- توعيه الأئمه على ضروره الارتباط بقياده أهل البيت عليه السلام، وتأهيلها للكشف

ص: ٣٢٣

١- الفتنه الكبرى، على وبنوه، طه حسين: ٢٩٥.

عن زيف القيادات الضاله والمنحرفه عملياً؛ فلم يمض وقت حتى وقف معاويه خطيباً بأهل الكوفه ليكشف لهم عن حقيقته بقوله لهم:

«إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأنأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون»(١).

ص: ٣٢٤

١- مقاتل الطالبيين، أبوالفرج الأصفهاني: ٤٥.

من ولاية الشام إلى خلافة المسلمين

إن الحديث عن ولاية معاوية للشام(1)؛ ومن ثم تمرکز القوه في يديه؛ وبالتالي تمكنه من السيطرة عليها، وما عرف عن طواعيه الشاميين له، يعنى قراءه لأحداث شغلت من الزمن - لم يطل التغيير والاستبدال خلالها معاويه من دون ولاه الخلفاء الثلاثة - ثلاثه عهود: خلافه أبى بكر وعهدى، خلافه الخليفه الثانى - على بعض المرويات هو الذى وضع الأجناد الأربعة تحت تصرف معاويه - وخلافه عثمان ثالث الخلفاء والذى عهده أمتد إلى عام [٣٥هـ-].

والمحصل إن الفتره «١٢-٣٥هـ»؛ أى ما يزيد على العشرين عاماً هى التى منحت معاويه المركزىه فى الشام وأكسبته الخبره فى ميادين مختلفه، فضلاً عن احتكاكه بجو الروم وما يحمل من تكريس كل شىء للسلطه ومن أجلها، مع ما يضاف إلى ذلك من تطلع بدوافع عديده ليس لدى معاويه فحسب، بل حتى أبوه كان يحثه على هذا التطلع نحو تولى الأمر، ولأبى سفيان رساله فى بدء تولى معاويه الشام أرسلها إليه يحثه على الطاعه والتزام ما يصدر إليه من الخلفاء لأنهم سبقوهم إلى الإسلام وأنهم تأخروا

ص: ٣٢٥

١- يراجع، تاريخ اليعقوبى: ١٢٧/٢ - ١٧٨، وتاريخ الطبرى (٨ مجلدات): ٢/٥٨٥، ٣/٩٨، وما بعدها، أحداث عام ١١ - ٣٥هـ- وغيرهما من كتب التاريخ.

فوضعهم هذا التأخر في دخول الإسلام، حتى إذا ما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان أظهر شيخ الأمويين ما كان يحمله للرسالة وما كان يكرهه ويرعاه ويسعى إليه وهو «الملك» فقال بحضرة عثمان وكان الزبير بن العوام حاضراً ولا يشعر به أبو سفيان لأنه كان أعمى -: (يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف فما هناك جنه ولا نار) (١)، فقال ل-ه الزبير: لا- كتمتها عليك؛ فجاء بها إلينا محبوبو أبي سفيان وسواهم وهي أثر يُدل العاقل !!

والقارئ لسيره معاوية يجده قد حافظ على السير بين خطين طموحه وما حمل وحملت عائلته عن الإسلام يوم بدر وأحد وفتح مكة وسواهما من الوقائع التي أهانت هبل ومشتقاته وأعلت كلمه الإسلام. فلا غرو أن يقف معاوية من على بن أبي طالب عليه السلام موقفه هذا، بل لا غرابه أن يتخذ كل وسيله إلى بلوغ هدفه وغايته ومن ثم تتحقق له، كما يتضح من سياق الأحداث التاريخيه المنحصره بين «١١-٣٥هـ»، وما بعدهما، ففيها كانت البادره ترعى، وفيها وضع الأثر البارز لفتهر التأسيس، حيث ثبتت مرتكزات التحرك والتحرير ل-ه في مجتمع عُرف بطاعه الولاه من أيام الحكم الرومى فى الشام وما جاورها؛ فكان ذلك عاملاً مساعداً للوالى، وأول الملوك على حد تعبير معاوية نفسه؛ فكانت هرقلية وقيصريه تطبيقاً، وكما وصفها، عبد الرحمن ابن أبى بكر وسواها من ابناء الصحابه ومن بقى منهم.

ص: ٣٢٦

١- تاريخ الطبرى: ٨/١٨٥، مؤسسه الأعلمى للمطبوعه، بيروت؛ السقيفه و فدك و فى «السقيفه و فدك»؛ للجوهري، ص: ٨٧، شرکه الطبع الكتبى للطباعه و النشر، بيروت: «يا بنى أميه تلقفوها الكره، فوالذى يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب، ولا جنه ولا نار ولا بعث ولا قيامه» (محقق).

النشوء وعوامل السقوط

كان المنعطف الأ-كبر بُعيد وقعه صفين والتحكيم، والذي تمثل فى روح الضعف التى دبت إلى الجسم الإسلامى حيث نما الشك والوهن وحب الدعه فى المجتمع الإسلامى، مما يسر لميكافيليه معاويه أن تجد لها طريق لشق الصف، وبالتالي أن تثمر دوله (بنى أميه) الملك العضوض الذى يرثه ابناء الطلقاء من آباء أرضعوهم عداء الرساله والرسول صلى الله عليه وآله والأمه إلا من والههم وسار فى ركابهم رضاً للسلطين لا- «الله» سبحانه ولا- «لرسوله صلى الله عليه وآله»، وفى تلك كانت أزمه الدوله والمجتمع حتى سقوط الدوله الأمويه عام [٥١٣٢هـ-].

وعلى وفق ذلك يفهم موقف الامام الحسن عليه السّلام، الذى ورث جيشاً مفككاً تتوزع مساحته أمراض وظواهر عصيه الحل: الشك، التخاذل - عقيب ثلاث حروب والتحكيم غير المنتج - مما أضطر أن يصلح معاويه لأجل لم يبلغ، وإن كان عامل هدم فى الملك الأموى وفضح عدم شرعيته على الامتداد الظرفى.

وإن جملة من العوامل يمكن أن تجمل قد أسهمت تمهيداً وتأسيساً، فتمظهر بهما الكيان الأمويه دوله وسلطان يتحكم فى رقاب الأمه موظفاً الدين للسياسى...

وهي العوامل - والتي يكون فاصلها الزمني بعيد نسبياً عن عصر النشأة والتأسيس - التي مهدت لمعاوية والأمويين في التغلغل في مؤسسات الخلافة والاستحواذ على مراكز المال والنفوذ فيها، ومن ثمَّ تولَّى أمر الدولة والأمة، وبذلك بدأت روح الإسلام تضمّر شيئاً فشيئاً حتى وُظف الدين وكرس للتسلط وتطلعات السلطان، وكان لاضطراب المسار السياسي والاجتماعي الذي شغل مساحه تنيف على العقدين ممتده من الإرساليه الأولى لجند الإسلام التي تولَّى يزيد ابن أبي سفيان قيادتها لتحرير الشام وما حولها - دوله أبي بكر [١١-٥١٣] - ومن ثمَّ تولَّى إمره الشام وأجنادها معاوية أخيه - دوله عمر بن الخطاب [١٣-٥٢٤] - حتى بلغ ذروته زمن الخليفة عثمان بن عفان [٢٤-٥٣٥]، وإلى حيث حروب الخارجين على الشرعيه [٣٦-٥٤١] - حيث تصل الأسره الأمويه إلى مآربها وتحقق طموحاتها في أواخر عهدي الخليفين الامام على ابن أبي طالب والامام الحسن بن علي عليهما السلام، فيؤرخ بذلك لنشأة الملك العضوض - الميكافيلي - الدنيوي وتغيب رساله ومبادئها السمحه عن ساحه الفعل والتأثير في ميادين الحياه المختلفه.

ومن أهم هذه العوامل:

١- أحداث السقيفه وما أعقبها من ظروف أدت بالأمويين إلى التناول من أجل استلام السلطه على خَلْفَيْهِ شعار أن «الأئمه من قريش»، وقد صرح أبو سفيان في حوار له مع الامام على عليه السلام عن التطلع الأموي للتسلط، عندما قال له:

«ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش»^(١).

ص: ٣٢٨

١- تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٢/٢٣٧.

وكان يريد في بني عبد مناف، وقد أشار معاوية نفسه إلى هذا الأمر أيضاً في خطبته في أهل المدينة عندما أراد أن يأخذ بيعتهم لابنه يزيد من بعده، فقال:

«وإنما هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وآله ولّى الناس أبو بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة»^(١).

وعليه فإن تجاوز الصحابه للنص ببيعه السقيفه وتنصيب أبا بكر خليفه على أسس عرفيه، هو الذى فتح الباب واسعاً امام الاجتهاد وتقديمه على النص المرجعي؛ فتأهل المتبوع الخامل ليصبح مرجعاً في التأسيس لتداول السلطه والتحكم في مصير الرساله والأمة، فتلك النتائج الاجتهاديه هي أهلت معاوية بن أبي سفيان لمنزعه الأمر أهله متأسياً بمن سبقه؛ متطاولاً متناسياً دور أبيه وأمه وعائلته في محاربه الرسول صلى الله عليه وآله ورسالته ذاكراً في كل أيامه قتلاه المشركين في بدر وأحد وغيرهما من الوقائع طالباً بدمهم المهدور وقد أشار معاوية إلى ذلك في رساله بعثها إلى محمد بن أبي بكر جاء فيها:

«قد كنا وأبو بكر فينا نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا مبروراً علينا، فلما أختار الله لنبيه عليه السلام ما عنده ... فكان أبو بكر وفاروقه أول من ابتزّه حقه»^(٢).

ص: ٣٢٩

١- الامامه والسياسه، المصدر السابق: ١/١٥٠.

٢- وقعه صفين، نصرين مزاحم المنقري: ١٢٠، المؤسسه الحديثه، مصر/ ط ٢.

إنَّ معاويه بن يزيد حفيد معاويه بن أبي سفيان لما طلب منه أهل الشام والأمويون أن يستخلف عليهم قال:
«والله ما ذقت حلاوه خلافتكم فلا أتقلد وزرها».

ثم صعد المنبر وقال:

«أيها الناس: إن جدى معاويه نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به من لقرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو على بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياها، ثم قلّمد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه، وأخلفه، الأمل وقصر عنه الأجل وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه»^(١).

٢- التغلغل إلى مراكز النفوذ في الدوله، حيث استمال الخليفه الأول أبا سفيان بعد مبايعته له، بإعطائه الصدقات، ومن ثم تأمير ولده يزيد على الجيش الذاهب لتحرير الشام، وكان معه معاويه، ولما علم أبو سفيان ذلك قال: «وصلته رحم»^(٢).

٣- ولما مات يزيد بن أبي سفيان ولى عمر بن الخطاب معاويه على الشام، ثم لما

ص: ٣٣٠

-
- ١- الولاه والقضاه، الكندى: ٤٥-٤٦، نقلاً عن تاريخ الاسلام السياسى د. حسن إبراهيم حسن: ١ / ٢٨٨. مكتبه النهضه المصريه، القايره/ ط١٩٦٤، ٧؛ و فى «ينابيع المودّه لذوى القربى، القندوزى: ٣ / ٣٦، دار الاسوه» باختلاف فى الالفاظ (محقق).
- ٢- تاريخ طبرى، طبرى: ٢ / ٤٤٩، مؤسسه اعلمى، بيروت، أخرج عن ثابت قال: لما استخلف أبوبكر قال ابوسفيان: ما لنا ولأبى فضيل، إنما هى بنو عبد مناف: قال: قيل له: انه قد ولى ابنك، قال - اى ابوسفيان - : و صلته رحم (محقق).

كانت خلافه عثمان أضيفت لولايه معاويه الأجناد الأربعة - حمص وقنسرين ودمشق وحلب - فتلك الفتره المتواليه التي قضاها معاويه في

الشام هي التي مهّدت ومكّنت له سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، يصف سيد قطب ذلك بقوله:

«إنّ ثلاثه عشر عاماً من حكم عثمان هي التي جعلت من معاويه، معاويه، إذ جمعت له قوه المال وقوه الجند وقوه الدوله في الأمصار الأربعة»^(١).

فكيف إذا أضيفت إليها الفتره الزمنيه السابقه خلال عهده الخليفه الأول والثاني قبل تولى عثمان بن عفان الخلافه، إثر مقتل عمر بن الخطاب، حيث أطلق اليد الأمويه في أمور الدوله والأمه، إذ أصبحت الولايات تدار من قبل الأمويين. فمعاويه في الشام والوليد بن عقبه في الكوفه وعبد الله بن عامر في البصره، وعبد الله بن أبي سرح في مصر...!! مما مهد فيما بعد للأمويين في إقامه دولتهم عن طريق ما أسسوا من تكتلات ونفوذ في تلك الأمصار من خلال استحواذهم على الأموال والاقطاعات.

٤- شكلية إسلام العائله الأمويه: فهم مسلمه الفتح الذين اسلموا مكرهين إذعاناً للأمر الواقع، الأمر الذي جعلهم يستبطنون عداً متأسلاً للإسلام، ويكيدون به وبأهله كيداً، وقد أشار إلى ذلك الامام على عليه السلام رداً على عميد الأسره الأمويه أبي سفيان، إذ قال الامام له: «طالما بغيت للإسلام شراً»^(٢)، ثم أن شكلية إسلام الأمويين، وعدائهم المتأصل يؤكدها تصريح أبي سفيان يوم أفقده الله بصره، قائلاً لعثمان بن عفان أيام خلافته: «تلاقفوها يا بنى أميه - أي الخلافه-»، وكان الزبير حاضراً فقال له: «لا اكتمك

ص: ٣٣١

١- العداله الاجتماعيه في الاسلام: ١٨٦.

٢- تاريخ الطبري: ج ٢، أحداث سنه ٥٤١-..

إياها وأذاعها عليه».

وقد برز الحقد الأموي على آل البيت النبوه على لسان يزيد بن معاوية وهو يرتجز بأبيات من الشعر بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام كاشفاً عن الروح الجاهليه التي استوعبت جميع الوجود الأموي - والشعر في الأصل لابن الزبيرى - حيث يقول فيها:

ليت أشاخي ببدر شهدوا

لأهلوا استهلوا فرحاً

لعبت هاشم بالملك فلا خيراً

جزع الخزرج من وقع الأسل

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

جاء ولا وحى نزل(١)

أما العداء الأموي من الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين عامه والأنصار خاصة - لأنهم أفنوا نواضحهم في مطارده أبى سفيان ورهطه يوم العير وبيدر وسوها من الوقائع - فمظهرهما موقف الأمويين يوم الحرة حيث استبيحت مدينه الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثاً، وأعملوا سيف الحقد في الصحابه من الأنصار ومن ساكنهم حرم الرسول صلى الله عليه وآله، وكان ذلك عام ٦٣هـ. وأما حرم الله «الكعبه» المقدسه فقد رميت بالمنجنيق وحُرقَت، وهدم جدرانها فهذا الدين الأموي وهو ديدنهم بالتعامل مع الرساله، ومسلمى الأمصار التي أنقصت أعطياتهم «أهل الحجاز والعراق»، ونفوا وشردوا وصلبوا...!!!

وإن كتاب الله قد مزقه الوليد الذى رام الذهاب إلى بيت الله الحرام ليشرب الخمر فوقه؛ فهو خليفه الله، وظله على أرضه، وأمير المؤمنين و... حتى مقتته الناس لفسقه؛ فخرجوا عليه وقتلوه... (٢).

ص: ٣٣٢

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١/١٧٨، وما بعدها.

٢- تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٢٥٠-٢٥٣.

وهي سمه وطبيعته أخلاق الأمويه تعتمد المكر والخديعه، وإتقان اللعبه السياسيه دون رادع من ضمير أو دين(١).

وقد تمكنوا بهذه الخصال من كسب المنافع الآنيه التي بواسطتها تمت سيطرتهم على الحكم الإسلامى وتحويله إلى ملك عضوض.

وإنَّ النص المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام يُعد قراءه واعيه لسيكولوجيه معاويه ورهطه الأمويين، قال عليه السلام:

«والله ما معاويه بأدهى منى، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلُّ غدره فجره، وكلُّ فجره كفره»(٢).

وقد ساهمت عوامل أخرى فى التحول السياسى والاجتماعى داخل المجتمع الإسلامى وتولى معاويه الأمر منها:

١ - الخروج على الشرعيه، الذى قاده بعض الصحابه فى الجمل - أمُّ المؤمنين عائشه، وطلحه والزبير - والذى راح ضحيته آلاف القتلى والشهداء، فضلاً عما سببه من اختلال أمنى سياسى، وترك آثار نفسيه ليس من السهل تجاوزها عند فئه من الناس.

٢ - تمرد معاويه وخروجه على شرعيه الخليفه، وشق وحده الأمه والدوله باستقلاله فى الشام وإعلان نفسه خليفه فى إيليا بعد مقتل عثمان.

٣- وقعه صفين، وتناجها السليبه، وشهاده معظم القاده الرساليين من صحابه

ص: ٣٣٣

١- العدالة الاجتماعيه، سيد قطب: ١٧٥-١٨٥.

٢- نهج البلاغه، ضبط د. صبحى الصالح، مؤسسه دار الهجره - قم: ٣١٨، الخطبه رقم: ٢٠٠.

النبى صلى الله عليه وآله وخيار المسلمين، مما أضعف موقف الامام العسكرى، والسياسى وتفكك جيشه خصوصاً بعد رفع المصاحف، والتحكيم ونتائج السليبه، وتمرد الخوارج، وما تبع ذلك من وقعه النهروان التى كانت نهايه للخوارج - المارقين حسب المأثور النبوى - كل هذه أعطت مواقع قوه لمعاويه، وكانت آثارها سلباً على موقف الامام على عليه السّلام ومن بعده الامام الحسن عليه السّلام الذى سيجد نفسه مضطراً للصلح والتنازل لمعاويه بشروط لم يفِ بأى منها.

٤ - الاستقرار السياسى والاجتماعى اللذين تتمتع بهما الشام.

٥ - اغتيال الامام على عليه السّلام فى التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام [٥٤٠-].

٦ - اغتيال الامام الحسن عليه السّلام من قبل معاويه بدس السم له، الأمر الذى مهد لتوليه يزيد بن معاويه خلفاً له، وبهذا يكون معاويه قد نقض المواثيق والعهود التى قطعها على نفسه امام الأمه وتضمنتها صحيفه الصلح(١).

أسباب سقوط الدوله الأمويه

إشاره

شغلت الدول الأمويه مساحه زمنيّه امتدت [٤١-١٣٢هـ] حيث قيام الدوله العباسيه ونهايه السلطنه الأمويه، وإن جملة من العوامل والأسباب كانت وراء ذلك الانهيار والسقوط، الذى أودى بالتراث الأموى حتى كذكر حسن بين ابناء الأمه، ومما

ص: ٣٣٤

١- انظر: موضوع سابق ((على هامش صلح الامام الحسن)).

تجدد الإشارة إليه أن تلك العوامل والأسباب هي نتاج وإفراز السلوك ملوك الدولة الأمويه وولائها تجاه رساله تطبيقاً حيث تم توظيفها للسلطان وطموحاته وتطلعه، وتجاه الأممه حيث العلاقه بينهما كانت تجسيدا للعنف والقهر والإكراه الذى مورس تجاهها وفي الأمصار المختلفه خلا الشام التى كانت تتمتع بحصانه للطاعه العمياء للوالى، فضلاً عن المأثور النبوى حول الطلقاء.

وتجمل تلك الأسباب فى:

أولاً: عدم شرعيه الدوله الأمويه

إشاره

لقد حمل المأثور النبوى المبارك تصريحات حول عدم أهليه الطلقاء فى تولى أمر الأممه، فكان ذلك مظهراً لعدم شرعيه الدوله الأمويه.

فعن أبى سعيد الخدرى، إنّه سمع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول:

«إذا رأيتم معاويه على منبرى فاقتلوه...»

كما حذرت روايات وأخبار أخرى من آل مروان وأشارت إلى أنهم سينزّون على منبر الرسول صلى الله عليه وآله، وعن أبى ذر فى حواريه له مع عثمان قال: إنه سمع الرسول صلى الله عليه وآله يقول:

إذا بلغت بنو أميه أربعين رجلاً- اتخذوا مال الله دوله بينهم وعباده خولاً(١).. وكان ذلك من عوامل نقمه الخليفه على أبى ذر (رض).

ويستجلى تأثير المروى هذا فى مواقف إسلاميه ممتده منذ دوله عثمان وحتى

ص: ٣٣٥

١- البدايه والنهايه، ابن كثير: ٢٤٢ / ٦، وفى روايه عن أبى سعيد (إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين). ٨/٢٩٥.

سقوط الدولة الأموية، واصبح مستند الخروج والطعن على الأمويين، فقد وسمّ ابناء الصحابه الدوله الأمويه بالكسرويه والهرقليه، ووصفوها بالملك العضوض.

من المروى التاريخى

إنّ معاويه بن أبى سفيان قصد المدينه المنور ليأخذ بيعه أهلها لابنه يزيد، فالتقى بالعبادله - عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير- كى يمهد للبيعه إذا ما حصل على موافقتهم، إلا أنهم رفضوا مقترحه، وقال عبد الله بن عمر لمعاويه:

«إنّ هذه الخلافه ليست بهرقليه، ولا- قيصريه، ولا- كسرويه، يتوارثها الابناء عن الآباء، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبى»^(١).

خليفتان

إنّ إعلان معاويه نفسه خليفه، أو حتى أن عصيان وخروجه على الشرعيه، كان يوجب على المسلمين أن يقفوا بوجهه ويحاربوه لشقه وحده الأمه.

يقول سبط ابن الجوزى: ثم العجب من منازعه معاويه لعلى الخلافه، وقد قطع الرسول صلى الله عليه وآله طمع من طمع فيها بقوله: «إذا ولي خليفتان فاقتلوا الأخير منهما»^(٢).

ثانياً:

خلفيه السلوك الأموى فى الذهنيه الإسلاميه إبان خلافه عثمان، وانحراف الممارسه

ص: ٣٣٦

١- الامامه والسياسه، ابن قتيبه الدينورى: ١٩٤، وما بعدها.

٢- تذكره الخواص، سبط ابن الجوزى: ٦٥.

السلطويه، وتوتر العلاقه بين الأمه والسلطه بمفاصلها جميعاً، فحين تولّى معاويه الأمر أستعاد هؤلاء مراكزهم، وعادوا إلى سابق عهدهم فى البعد عن مبادئ الرساله، وتكريس مسأله «قميص عثمان» ضد من يرون فيه مخالف لهم أو هوى علوى أو غير ذلك. فكان لهذه الخلفيه الأثر الكبر «ولاده ونمو الكره لدى الكثير من المسلمين، وأهل العراق خاصه ضد الأمويين قبل وخلال وبعد سقوط دولتهم»^(١).

ثالثاً: الثورات والحروب الداخليه

يؤرخ للثورات إبتداءً، بثوره الامام الحسين عليه السّلام عام [٥٦١-]، ومن وقعه الحره وتتابع الخروجات على الدوله الأمويه ولا تنتهى إلا بنهايتها وسقوطها عام [٥١٣٢-].

وكان سمه العهد الأموى عدم الاستقرار والاضطراب إذا ما استثنينا فتره معاويه وبعض الفترات الاخرى.

رابعاً: ولايه العهد وتوريث السلطان

وإن كانت ولايه العهد تاريخياً تنسب إلى الخليفه الأول حيث عهد إلى عمر بن الخطاب بتولى الأمر من بعده إلا أن الطابع لها ليس توريثاً مع مفارقه فى البين بينها وبين المنهج الذى وضعه معاويه بن أبى سفيان لتداول السلطه بعده، والتطور الذى أجرى عليه فيما بعد حيث يتم العهد لأكثر من واحد وليس بالضروره أن يكون المعهود له شخصاً واحداً فربما عهد لأكثر من واحد، ويكونان ليس من الابناء، بل أخ

ص: ٣٣٧

١- تاريخ الاسلام السياسى، د. حسن إبراهيم حسن، مكتبه النهضه المصريه، القايره، الطبعه الأولى ١٩٦٤: ١/٢٧٩.

وابن أو غير ذلك بحسب ما يراه السلطان المشرف على الهلاك...

وكان لهذه الظاهره آثارها السيئه على البنيه السياسه والاجتماعيه، فكان التحزب والتنافس بين الفرقاء سبباً يثمر دائماً النزاع والاحتراب، مما أدى إلى تفكك روابط الأسره الأمويه، وأدى بالنهايه إلى ضعف ووهن الدوله وكيانها.

خامساً: إحياء العصبه القبليه

عمد السلاطين وملوك الدوله الأمويه وولاتها إلى إحياء النعرات القبليه والأقليميه بين القبائل وسكان الأمصار الإسلاميه، وذلك كوسيله لتمد في عمر الدوله، وتفت في الوقت نفسه بالآصره بين ابناء الأمه، مما ييسر السيطرة عليها، فكان التمييز في العطاء أحد مظاهر هذا الإحياء فالعراق والحجاز وقعا تحت طائل التمييز والتمايز لموقف أهلها تجاه الأمويين قبل دولتهم وبعد أن آل الأمر لهم، يضاف إلى ذلك إذكاء الروح القبليه بين القيسيه واليمانيه إلى غير ذلك....

نموذج مروى:

خطبه الحجاج في أهل العراق

«يا اهل العراق ان الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الامخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وأشعركم خلافاً أخذتموه دليلاً تتبعونه وقائداً تطيعونه ومؤامراً تستشيرونه فكيف تنفعمكم تجربته أو تعظكم وقعه أو يحجركم إسلام

ص: ٣٣٨

أو ينفعكم بيان أستم أصحابي بالاهواز حيث رتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لوأذاً وتنهزمون سراعاً ثم يوم الزاويه وما يوم الزاويه بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءه الله منكم ونكوص وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى اعطائها لا- يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح وقصتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله، يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنزوه بعد الن-زوات إن بعثكم إلى ثغوركم غلتم وختمت وإن أمتت أرجفتم وإن خفتم نافقتم لا تذكرون حسنه ولا تشكرون نعمه هل استخفكم ناكث أو استغواكم غاو أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه وأوتموه ونصرتهم ورحبتموه، يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعت ناعب أو زفر زافر إلا- كنتم اتباعه وأنصاره، يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع، ثم التفت إلى أهل الشام، فقال: يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من

الذئاب، يا أهل الشام انتم الجنه والرداء وأنتم العده والحذاء فضيله الصبر على المصيبه»(١).

ص: ٣٤٠

١- البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب، دار مكتبه الهلال، بيروت، الطبعه الحادى عشره ١٤٠٨هـ- : ٢٨٦-١/٢٨٧. العراق فى العصر الأموى من الناحيه السياسيه والاداريه والاجتماعيه، ثابت إسماعيل الراوى، مكتبه النهضه بغداد، الطبعه الأولى ١٩٦٥ : ٢٣٢، وما بعده؛ شرح نهج البلاغه، ابن ابى الحديد: ١ / ٣٤٥، «اهل العراق و خطب الحجاج فيهم» دار احياء الكتب العربيه، على اختلاف فى الالفاظ (محقق).

الممارسه الأمويه وواقع التجربه الإسلاميه

إنَّ واقع التجربه الإسلاميه بعد وفاه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قد أفرز نمطاً معيناً من السلوك السياسى والاجتماعى صار فيما بعد مرجعاً لكثير من المسلمين يحتكمون إليه فى قياس درجه الانحراف الأموى عنه، إلا- أنَّ التقاطع والخروج الأموى السلطوى ظاهره عامه فى الممارسه والحكم الأمويين خلال عمر الدوله [٤١-١٣٢هـ]. فمعاويه مؤسس الدوله الأموى يصرح معترفاً بهذا الخروج على سُنَّته الخلفاء - أبو بكر وعمر، وعثمان- مبتدعاً بذلك منهجاً جديداً لا يمس من قريب أو بعيد السيره السابقه.

ففى لقاءٍ لمعاويه بأهل المدينه يقول:

«... ولقد رُمْتُ نفسى على عمل ابن أبى قحافه - أبى بكر الخليفه الأول- فلم أجدها تقوم بذلك، وأردتها على عمل ابن الخطاب - عمر الخليفه الثانى- فكانت أشدُّ نفوراً، وحاولتها على مثل سنياه عثمان - يصرح به- فأبت على...» (١).

وكان الرأى العامى الإسلامى تجاه السياسه الأمويه يتحدد فى «اتجاهين»:

الأول: يتمثل بضمور سياسه وسلوك الخليفين الأول والثانى والنحو بالدوله منحى القيصريه والكسرويه، بغض النظر عن الخليفه التى خرج منها الأمويون إلى

ص: ٣٤١

السلطه والحكم والانفراد بهما كونهم من الطلقاء المحاربين لله ورسول صلى الله عليه وآله والمتبعين غير سبيل المؤمنين.

الثانى: يتمثل بأعليه الصحابه وابنائهم وبنى هاشم ومن والههم تقفياً للآثار الوارده عن الرسول صلى الله عليه وآله سواء منها ما يختص بالنص على علي وابنائهم أو عدم شرعيه تولي الطلقاء وابنائهم الخلافه وأمر الرساله والأمه.

إنّ مقاييس العطاء بين المسلمين أيام الخليفه الأول كانت مطبوع بالمساواه لأن الفضل حسب - أبو بكر - عند الله جزاؤه، كما أنّ عمر فاضل في العطاء على اساس السبق والبلاء والخدمه في الإسلام - متذرعاً أنّ مَنْ قاتل الرسول صلى الله عليه وآله ليس كمن قاتل معه - فهذه الأصول لم تعد تقرر فرض العطاء بين المسلمين خلال التسلط الأموى، إذ اصبح الولاء للدولة وحكامها، بل وولاتها هو المعيار في فرضه، وتقرير مستحقه من سواه؛ لذا تنافست القبائل العربيه وزعماؤها في إظهار الولاء والتفانى في الدفاع عن السلطه الأمويه مقابل المكافئات الماليه والحصول على المناصب(1).

ونخلص إلى أن السلوك الأموى في الحكم كان سلوكاً تعسفياً استبدادياً لم يترك مجالاً من مجالات الحياه الاجتماعيه والسياسيه إلا وعبث فيه، وقد تجلى ذلك في التفريق بين المسلمين وتفضيل بعضهم على بعض على أساس الولاء الأموى أو هذا شامى وسواه عراقى أو حجازى، فضلاً عن احتكار السلطه، وظهور العنف المقنن - ضد

ص: ٣٤٢

١- الدوله العربيه الاسلاميه فى العصر الأموى، د. لييد إبراهيم أحمد، د. عبد الواحد ذنون طه، د. عبد القادر سلمان المعاضدى: ١٢٩، دار الكتب، الموصل - العراق، ١٩٩٢ وانظر تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى العصر الأموى، خالد جاسم الجنابى: ٩٢. دار الحريه - بغداد، ١٩٨٤.

معارضى الدولة أو من له موقف سابق إزاء عثمان أو الأمويين - وإشاعه الفساد والعمل على مخالفه السُّننه، والانغماس فى اللهو والمجون، فكانت ثوره المدينه بقياده عبد الله بن حنظله «غسيل الملائكه» رد فعل لهذه المظاهر، لما علموا أن «يزيد بن معاويه صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود ومنادمه على شراب»^(١)، «وهو رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاه»^(٢).

وكان ذلك سبب خلع بيعه يزيد من قبل أهل المدينه، ويتجلى ذلك فى أقوال عبد الله بن حنظله:

«إنَّ يزيد أسرف فى المعاصى»، وقوله أيضاً:

«والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجاره من السماء»^(٣).

وإنَّ التدنى الخلقى الذى بلغه سلاطين الدوله نجده فى ما روى عن سليمان بن يزيد بن عبد الملك، الذى قتل أخاه وقال عنه:

«بُعداً له أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد راودنى عن نفسى»^{(٤)!!}

ص: ٣٤٣

١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، على بن الحسين المسعودى: ٢٩٤، دار الكتب العلميه - بيروت.

٢- تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٢٤٩، دار الجيل - بيروت، ١٤٠٨هـ؛ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد؛ ٥ / ٦٦ دار صادر، بيروت (محقق).

٣- نفس المصدر: ٢٩٤.

٤- نفس المصدر، السيوطى: ٣٠٠.

ولتكتمل الصورة عن الممارسه والسلوك الأموى يضاف جملة من إشارات سابقه، وأخرى لم تذكر، كتمزيق القرآن الكريم، وعزم الخليفه وأمير المؤمنين أن يشرب الخمر على ظهر الكعبه، وقتل الامام الحسين، وسبى آل الرسول صلى الله عليه وآله، واستباحه المدينة، وقتل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والتمثيل بهم، والنفى والتشريد ... كلها دلائل البعد عن المرجعيه الإسلاميه، وتمثل لروح الجاهليه التي حملها الأمويون على طول الخط... (١).

ص: ٣٤٤

١- انظر العدالة الاجتماعيه فى الاسلام، سيد قطب: ١٨٥، تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٣٠٢.

مصادر و مراجع الكتاب

- ١) . أحكام القرآن، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، متوفى ٣٧٠هـ-، دارالكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ-..
- ٢) . الأحكام السلطانيه، علي بن محمد الماوردى، متوفى ٤٥٠هـ-، الإعلام الاسلامى، بدون تاريخ.
- ٣) . أخبار الدوله العباسيه، مؤلف من القرن الثالث، تحقيق، عبد العزيز الدورى، عبد الجبار المطلبى، الناشر دار الطليعه، بيروت.
- ٤) . الأخبار الطوال، أبي حنيفه أحمد بن داود الدينورى، متوفى ٢٨٢هـ-، دار إحياء الكتب العلميه، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٠.
- ٥) . اختيار معرفه الرجال، الطوسى، متوفى ٤٦٠هـ-، تحقيق مير داماد، مؤسسه أهل البيت عليه السلام، ١٤٠٤.
- ٦) . أسباب الن-زول، علي بن أحمد الواحدى، متوفى ٤٦٨هـ-، دار الكتب العلميه، بيروت.
- ٧) . أسد الغابه، ابن أثير، متوفى ٦٣٠هـ-، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ-.
- ٨ الأصابه، ابن حجر العسقلانى، متوفى ٨٥٢هـ-، دار الكتب العلميه،

- (٩) . إكمال الكمال، ابن ماكولا، متوفى ٤٥٠، دار الكتاب الاسلامى - القاهرة.
- (١٠) . الامامه والسياسيه، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن ابن قتيبه الدينورى، الدكتور تحقيق طه محمد الزينى، دار المعرفه، بيروت، لبنان.
- (١١) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى، متوفى ٢٧٩هـ-، دار الفكر، ط ١-١٤١٥هـ.
- (١٢) الاستيعاب فى معرفه الأصحاب، ابن عبد البر، دار الكتب العلميه، بيروت.
- (١٣) بغيه الباحث عن زوائد مسند الحارث، على بن أبى بكر الهيثمى، متوفى ٨٠٧هـ-، مسعد عبد الحميد السعدنى، دار الطلائع.
- (١٤) الباب الحادى عشر، العلامة الحلّى، طبع استان فقدس رضوى.
- (١٥) البدايه والنهائيه، ابن كثير الدمشقى، ٧٧٤هـ-، تحقيق على شيرى، دار إحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- (١٦) البدايه والنهائيه، ابن كثير الدمشقى، ٧٧٤هـ-، دار مكتبه المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
- (١٧) التابعين من الثقات، ابن حبان، مكتبه أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٢هـ-.
- (١٨) تاريخ ابن معين الدورى، متوفى ٢٣٣هـ-، تحقيق عبد الله أحمد حسن، دار القلم.

١٩) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ-، مؤسسه الأعلمی، بیروت، لبنان.

٢٠) تاريخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، متوفى ٩١١هـ-، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ-.

٢١) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، متوفى ٢٨٤هـ-، دار الصادر بيروت، بدون تاريخ.

٢٢) تاريخ دمشق، علي بن الحسن ابن عساكر، متوفى ٥٧١هـ-، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ-.

٢٣) السيره الحلبيه، علي بن برهان الحلبي، متوفى ١١٤٤هـ-، دار المعرفه، بيروت، بدون تاريخ.

٢٤) تذكره الخواص، سبط بن الجوزي، مطبعة نينوى، طهران.

٢٥) تذكره الخواص، سبط بن الجوزي، مطبعة نينوى، طهران.

٢٦) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلان، متوفى ٨٥٢هـ-، دار الكتب العلميه، بيروت.

٢٧) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ-، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الثانيه ١٤٠٥هـ-.

٢٨) التنبيه والأشرف، علي بن الحسين المسعودي، متوفى ٣٤٥هـ-.

٢٩) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ-، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-.

٣٠) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، متوفى ٣١٠هـ، دار الفكر- بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، متوفى ٤٧١هـ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب/ القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ.

٣٢) الجرح والتعديل، الرازي متوفى ٣٢٧، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٣٧٢.

٣٣) جمهره رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤) الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، لابن دقمان، عالم الكتب، بيروت.

٣٥) حليه الأولياء، أحمد بن عبد الله، متوفى ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٣٦) خصائص أمير المؤمنين، أحمد بن شعيب النسائي، متوفى ٣٠٣هـ، تحقيق هادي الأميني، مطبعة نينوى.

٣٧) الخلافة والامامة: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٣٨) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، متوفى ٩١١هـ، دار المعرفة، المطبعة الفتح - جده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.

٣٩) دلائل النبوه، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، متوفى ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٠) الدولة الأموية في الشام، أنيس زكريا النصولي، مطبعة دار السلام في بغداد، ١٩٢٧.

٤١) الدولة الأموية يوسف العث، دار الفكر.

٤٢) تاريخ الدولة الأموية، د. نبيه عاقل، دار الفكر، ط ٣، ١٣٩٤هـ -

٤٣) رجال الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، متوفى ٤٦٠هـ -، تحقيق جواد القيمومي الأصفهاني، مؤسسه النشر الاسلامي / قم، ١٤١٥هـ -.

٤٤) روح المعاني، أبو الفضل محمود الألوسي، ١٢٧٠هـ -، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ -، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ -.

٤٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشامى، متوفى ٩٤٢هـ -، دار الكتب العلميه، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -.

٤٧) السقيفة وفدك، أحمد بن عبد العزيز الجوهري، متوفى تحقيق ٣٢٣هـ -، د. هادى الأمينى، شركة الكتبي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -.

٤٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ -، الناشر مؤسسه الرساله، بيروت، الطبعة التاسعه، ١٤١٣.

٤٩) سيره ابن هشام، محمد بن إسحق المطلبى، متوفى ١٥١هـ -، تحقيق محمد محيى الدين حميد، الناشر محمد على صبيح وأولاده، ١٣٨٣هـ -.

٥٠) شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي، متوفى ٣٦٣هـ

ص: ٣٥٠

(٥١) شرح مسلم، أبو زكريا بن شرف النووى، متوفى ٥٧٦هـ-، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-.

(٥٢) شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد، مؤسسه الأعلمى، بيروت، لبنان، طبعه ملونه، ١٤١٥هـ-.

(٥٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل فى الآيات النازله فى أهل البيت عليه السّلام، الحاكم الحسكافى عبيد الله بن أحمد، متوفى فى القرن الخامس، تحقيق محمد باقر محمودى، مجمع الثقافه الإسلاميه، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-.

(٥٤) صبح الأعشى، أحمد بن على القلقشندى، متوفى ٨٢١هـ-، تحقيق د. يوسف على الطويل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

(٥٥) صحيح البخارى محمد بن إسماعيل البخارى، متوفى ٢٥٦هـ-، دار الفكر، طبعه بالأوفست عن طبعه دار الطباعة العامره باستانبول، ١٤٠١هـ-.

(٥٦) صحيح مسلم، مسلم بن الحسين القشيرى النيسابورى، متوفى ٢٦١هـ-، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).

(٥٧) صفين، نصر بن مزاحم، مطبعه المدنى، القاهره، ١٣٨٢ هـ.

(٥٨) الضعفاء الكبير، محمد العقيلى، دار الكتب العلميه، ط ٢، ١٤١٨.

(٥٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، متوفى ٢٣٠هـ-، دار الصادر، بيروت، (بدون تاريخ).

(٦٠) طبقات خليفه بن خياط، خليفه بن خياط، متوفى ٢٤٠هـ-، تحقيق سهيل

زكار، دار الفكر- بيروت، ١٤١٤هـ-.

(٦١) عقائد الاماميه، الشيخ المظفر، دار التبليغ الإسلامى، قم، بدون تاريخ.

(٦٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسى، متوفى ٣٢٨هـ-، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٨٣.

(٦٣) علل بن أبى حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهراڻ الرازى أبو محمد، وفاه المؤلف ٣٢٧، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفه، بيروت، ١٤٠٥.

(٦٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس السعدى، متوفى ٦٦٨، دار مكتبه الحياه، بيروت، تحقيق، د. نزار رضا.

(٦٥) الفتن، حماد بن نعيم المروزى، متوفى ٢٨٨، دار التوحيد، القاهره، ط١٤١٢، ١هـ-.

(٦٦) فتوح البلدان، يحيى بن أحمد البلاذرى، متوفى ٢٧٩هـ-، مطبعه لجنه البيان، مصر، ١٣٧٩هـ-.

(٦٧) الفتوح، ابن أعثم الكوفى، دار الندوه الجديده، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

(٦٨) الفتوح، ابن أعثم الكوفى، متوفى ٣١٤هـ-، تحقيق شيرى، دار الأضواء، بيروت، ط١.

(٦٩) الفخرى، فى الآداب السلطانيه، ابن طباطبا، إنتشارات الشريف الرضى.

ص: ٣٥٢

٧٠) القاموس المحيط، الفيروز آبادى، متوفى ٨١٧هـ-، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ-.

٧١) الكامل فى الأدب، محمد بن يزيد المبرد، متوفى ٢٨٥هـ-، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-.

٧٢) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير الجززى، متوفى ٦٣٠هـ-، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨٣.

٧٣) كتاب الثقات، ابن حبان، متوفى ٣٥٤هـ-، المطبعة مجلس دائره المعارف العثمانيه، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ-.

٧٤) كتاب السنه، عمرو بن أبى عاصم الضحاك، متوفى ٢٧٨هـ-، المكتب الإسلامى، بيروت، ط ٣، ١٤١٣هـ-، المصنف، ابن أبى شيبه، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٩هـ-.

٧٥) الكشاف فى من له روايه فى الكتب الستة، محمد بن أحمد الذهبى الدمشقى، متوفى ٧٤٨هـ-، مؤسسه علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٣.

٧٦) كنز العمال، المتقى الهندى، مؤسسه الرساله، بيروت- لبنان.

٧٧) لأكون مع الصادقين، الدكتور التيجانى، دار الفجر- لندن.

٧٨) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٥هـ-.

٧٩) مجمع البحرين، فخر الدين الشيخ الطريحي، متوفى ١٠٨٥هـ-، مكتبه نشر الثقافه الاسلاميه، الطبعة الثانيه ١٤٠٨هـ-.

٨٠) مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسى، متوفى ٥٦٠هـ-، مؤسسه

الأعلمى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-.

(٨١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمى، متوفى ٨٠٧هـ-، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٤٠٨هـ-.

(٨٢) مروج الذهب، المسعودى على بن الحسين، دار الأعلمى، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-.

(٨٣) المستدرک على الصحيحين، محمد بن محمد الحاكم النيسابورى، متوفى ٤٠٥هـ-، تحقيق الدكتور يوسف المرعشلى، دار المعرفه، بيروت، ١٤٠٦.

(٨٤) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، متوفى ٢٤١هـ-، دار الصادر، بيروت، لبنان

(٨٥) مسند ابن الجعد، على بن الجعد بن عبيد الجوهري، متوفى ٢٣٠هـ-، تحقيق عبد الله بن محمد البغوى، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلميه، بيروت، لبنان.

(٨٦) المصنف، أبى بكر عبد الرزاق الصنعانى، متوفى ٢١١هـ-، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى، الناشر المجلس العلمى.

(٨٧) المصنف، ابن أبى شيبه، متوفى ٣٢٥هـ-، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-.

(٨٨) معجم البلدان، ياقوت الحموى، دار الكتب العلميه، بيروت، لبنان.

(٨٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبرائى، متوفى ٣٦٠هـ-، مكتبة ابن تيميه، القاهره، الطبعة الثانيه، بدون تاريخ.

(٩٠) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، نشرات المكتبة الحيدريه النجف الأشرف، ١٣٨٥.

ص: ٣٥٤

٩١) مقدمه ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، متوفى ٨٠٨هـ-، مؤسسه الأعلمی، بیروت، لبنان، بدون تاریخ.

٩٢) الملل والنحل، الشهرستاني، دار الكتب العلمیه، بیروت.

٩٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، متوفى ٥٨٨هـ-، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، الطبعة الثانيه، ١٣٧٦هـ-.

٩٤) المناقب، الموفق بن أحمد المکی الخوارزمی، متوفى ٥٦٨هـ-، مؤسسه النشر الإسلامی، الطبعة الثانيه، ١٤١٢هـ-.

٩٥) المهذب البارع، أحمد محمد بن فهد الحلبي، متوفى ٨٤١هـ-، تحقیق الشیخ مجتبی العراقی، جامعه مدرسین، ١٤٠٧هـ-.

٩٦) المواقف، محمد بن إبراهيم الإيجی، دار الكتب العلمیه، بیروت.

٩٧) میزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ-، تحقیق علی محمد البجاوی، دار المعرفه، بیروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-.

٩٨) النصائح الكافیه، محمد بن عقيل، متوفى ١٣٥٠هـ-، دار الثقافه- قم، الطبعة الثانيه ١٤١٢هـ-.

٩٩) نظام الحكم فی الإسلام، د. محمد النبهان، جامعه الكويت، ١٩٧٨، إعادته طبع.

١٠٠) ينابيع الموده، الشیخ سلیمان بن إبراهيم القندوزی الحنفی، متوفى ١٢٩٤هـ-، تحقیق سید علی جمال أشرف الحسینی، أسوه - قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

